



المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

إبداع عالمية

355



مسرحيتان من الأدب الأيرلندي • صناعة تاريخ • ترجمات

تأليف: برايان فرييل
ترجمة وتقديم: د. محمود عبد الغني غنوم
مراجعة: محمد الأسعد



الفنان : جيرالد بيليني - الولايات المتحدة
الضوء الأخضر

أكريليك على قماش - ١٢٥ x ١٢٥ سم

مسرحيتان من الأدب الأيرلندي

● صناعة تاريخ

● ترجمات

تأليف: برايان فرييل

ترجمة وتقديم: د. محمود عبدالغني غنوم

مراجعة: محمد الأسعد

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا امريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران امريكيا

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا امريكيا
للمؤسسات	50 دولارا امريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا امريكيا
للمؤسسات	100 دولار امريكيا

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على
العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

ردمك ٤ - ١٧٠ - ٠٠ - ٩٩٩٠٦

رقم الايداع: ١٨ / ٢٠٠٥

إبداعاتنا

أمر كذا شهرين من

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:

بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

سليمان داوود الحزامي/المستشار

د. زبيدة علي أشكناني

د. سعاد عبد الوهاب عبد الرحمن

د. سليمان خالد الرياح

د. سليمان علي الشطي

د. ليلى عثمان فضل

د. محمد المنصف الشنوفي

مديرة التحرير

وسمية الولايتي

سكرتيرة التحرير

لياء القبندي

التضيد والإخراج والتفيد:

وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

E.Mail: ebdaat_alamia@yahoo.com

• صناعة تاريخ

• تربيته

العنوان الأصلي :

• **Making History**

• **Translations**

BY: Brian Friel

عن دار النشر

feber and Feber Limited

3 Queen Square London

Wein 3 AU

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2005م

إبداعات عالمية - العدد 355

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(١٩٩٠ - ١٩٢٣)

مسرحية «صناعة تاريخ»

مقدمة

يقول برايان فرييل عن مسرحيته «صناعة تاريخ» إنها «خيال ممسرح»، وهو يلقي الضوء فيها على عملية كتابة التاريخ وتفسير «الحقائق». وقد كان الكاتب شون أوفاولين قد نشر سنة ١٩٤٢ كتابا بعنوان «أونيل العظيم»، جاء في نهاية مقدمته أن مسرحيا موهوبا بإمكانه أن يكتب مسرحية ساخرة وممتعة ومثقفة، حول موضوع إنسان على قيد الحياة يراقب - عاجزا - ذاته تترجم إلى نجم في وجه جميع الحقائق التي أدت به إلى الفقر، والنفي، والهزيمة. وقد أنجز فرييل هذا المشروع بكتابة مسرحيته هذه التي مثلت لأول مرة في جايلد هول في ديري، في شهر سبتمبر سنة ١٩٨٨.

تتمثل الخلفية التاريخية للمسرحية في أن الملكة إليزابيث الأولى أرادت أن تقيم مستعمرة في أيرلندا، فاتبعت سياسة زرع السكان الإنجليز في أولستر سنة ١٥٧٠، فقامت ثلاث ثورات ضد هذا الوضع. اثنتان قام بهما آل ديزموند من مونستر، استطاعت إليزابيث إخمادهما بسهولة. وشارك هيو أونيل ذاته في إخمادهما. أما الثورة الثالثة فكانت ثورة هيو أونيل بالتحالف مع إسبانيا الكاثوليكية، وكانت هذه الثورة أخطر الثورات الثلاث ضد التاج البريطاني. وكانت الملكة قد عينت هيو أونيل، الذي نشأ في بلاطها، قائدا على

أولستر، لكنه اكتشف أنه بدل أن يكون قائداً غالياً مستقلاً أصبح رهينة للمذهب البروتستانتي البريطاني، ولذلك ثار ضد التاج، وحقق انتصاراً في معركة يلو فورد سنة ١٥٩٨، لكن الإنجليز هزموه بعد ثلاث سنوات في معركة كينسيل. واضطر هيو أونيل إلى توقيع معاهدة ميليفونت سنة ١٦٠٣، وتمت مصادرة نصف مليون فدان من الأراضي التابعة للشوار الأيرلنديين، وأعطيت للإنجليز المستعمرين، وفضل أونيل وعدد من القادة الأيرلنديين المنفى على البقاء تحت حكم التاج البريطاني، فغادروا إلى روما في هجرة جماعية أصبحت تعرف بهروب الإيرلات.

الموضوع الرئيسي الذي تناقشه المسرحية هو كيفية كتابة التاريخ، وسيجد القارئ أن ثمة طريقتين متصارعتين لكتابة التاريخ في المسرحية؛ يمثل الطريقة الأولى هيو أونيل ذاته الذي يرغب في كتابة تاريخه هو... بكل ما يحتوي من أحداث، سواء كانت أحداثاً عظيمة وانتصارات أو أحداثاً وضيعة من فقر ومنفى وهزيمة. هيو أونيل يريد تسجيل ما حدث بالضبط من دون تصنيف أو اختيار أو تأويل للأحداث. وتتمثل الطريقة الثانية في أسلوب بيتر لومبارد مطران عموم أيرلندا الذي يشهد الأحداث بنفسه، لكنه حينما يقرر أن يكتب سيرة حياة هيو أونيل، يختار أحداثاً منتقاة من أجل أن يشكل منها قصة شائقة للأجيال التالية في أيرلندا، فيصور

هيو أونيل على أنه بطل قومي أسطوري، ونجم في تاريخ أيرلندا يحتذى، ويخوض أونيل معركته الأخيرة مع بيتر لومبارد محاولاً أن يقنع المطران ليقول الحقيقة، لكن المطران - المؤرخ يمتلك أيديولوجيته الخاصة، والأحداث بحد ذاتها لا تعني له شيئاً، فهو الذي يبني التاريخ بلغته هو وحسب منظوره هو، وهذه الطريقة هي التي تنتصر في نهاية المسرحية.

سيكتشف القارئ أن برايان فرييل يناقش في مسرحيته الدور الخطير الذي يقوم به المؤرخ في عملية صناعة التاريخ؛ فهو الذي يختار ما يناسبه من الأحداث ويضفي عليها المعاني التي تخدم أهدافه، وفي هذا تحول من النظرة التقليدية إلى التاريخ، التي تراه مسجلاً أميناً للحقائق، إلى النظرة ما بعد الحداثية التي بدأت بالظهور في السبعينيات من القرن الماضي، التي ترى أن التاريخ ما هو إلا خطاب أو تركيب لغوي تكمن الحقيقة في داخله وليس في خارجه. إن تاريخ ما بعد الحداثة الذي يمثله لومبارد لا علاقة له بالأحداث بحد ذاتها، إذ إن هذه الأحداث لا معنى لها إلا إذا انتظمت في خطاب معين. وبذلك يكون منشئ الخطاب التاريخي مسيطراً سيطرة تامة على ما يريده من هذه الأحداث. إن لومبارد يدرك أيضاً تاريخانية الأحداث ذاتها، فهو يقول إن حياة هيو في المستقبل ربما تعاد كتابتها لتخدم هدفاً آخر. إذن فنحن

هنا أمام أسلوب جديد في كتابة التاريخ، إذ لم يعد ثمة تاريخ واحد بل عدة تواريخ، ولذلك فإننا نجد أن هيو أونيل لا يصنع التاريخ، بل إن التاريخ هو الذي يصنعه.

واضح إذن من خلال المسرحية أن ما يبنيه لومبارد هو قصة خيالية لا تمت إلى الحقائق بصلة، ما خلا الاحتفاظ باسم هيو أونيل الذي يتحول إلى بطل أسطوري، على الرغم من الهزيمة والفقر والنفي. فالهزيمة والفقر والنفي لا تخدم حاضر أيرلندا أو مستقبلها، ولذلك فإن لومبارد لا يتحدث عنها أبدا في تاريخه؛ كما أنه لا يتحدث عن تسع سنوات قضاها أونيل في لندن في بلاط الملكة، ولا عن ماييل زوجة أونيل البروتستانتية، ولا عن موقعة كينسيل حيث هزم أونيل شر هزيمة. بل يتحدث لومبارد عن سلالة أونيل وأجداده، وعن قدرته على توحيد رؤساء القبائل الغاليين حوله، وتجميع أكبر حملة ضد التاج البريطاني بالتعاون مع إسبانيا الكاثوليكية.

إن ثقافة أونيل هجينة، وتاريخه هجين. فهو ليس أيرلنديا غاليا فقط، بل فيه جزء بريطاني. وحياته تمثل التقاطع بين الثقافتين الغالية والإنجليزية. وتاريخه هجين، لأنه حارب مع قوات التاج البريطاني ضد ثورات آل ديزموند، ثم انقلب هو ذاته على التاج البريطاني. وسيتبين القارئ أن المسرحية تعرض علينا شخصين مختلفين: هما هيو أونيل البطل الأسطوري، وهيو أونيل المهزوم والفقير المنفي، الثمل. هذان

الشخصان النقيضان ربما ينتج عنهما شخص ثالث ورابع وخامس... إلخ، لأن التاريخ ليس تاريخ الماضي، بل هو تاريخ الحاضر الذي يكتب فيه التاريخ، بما يحكم هذا الحاضر من أيديولوجيات ورؤى قومية.

الأمر الإيجابي في المسرحية هو أن فرييل يعرض مسألة كتابة التاريخ بأقلام المستعمر وليس المستعمر البريطاني. فبيتر لومبارد أيرلندي متحمس يحاول مقاومة الاستعمار البريطاني الذي استباح وطنه، وتاريخه الذي يكتبه هو بصورة من الصور تاريخ مقاومة وانتصار ضروري للأجيال القادمة.

أما تصوير فرييل للشخصيات فقد كان ناجحاً بعامه، إذ جاءت شخصياته مقنعة، وبخاصة الشخصيات الرئيسية: أونيل ولومبارد وهاري هوفدين وأدونيل.

فشخصية أونيل تكاد تخرج من بين السطور من شدة واقعيته، إذ أحسن فرييل تصوير الصراع الداخلي الذي عاشته الشخصية من بداية المسرحية حتى نهايتها، وأونيل شخصية مركبة ثقافياً؛ فهو لا يمثل الثقافة الغالية النقية، فقد درس وتعلم في بريطانيا، وعاش لدى الطبقة الأرستقراطية طيلة تسع سنوات، كما أنه تزوج من مايبل، وهي بريطانية بروتستانتية.

أما شخصية لومبارد، فإنها تمثل رجل الدين السياسي الذي يحاول جمع التحالفات لمصلحة بلده. وهو يمثل الشعور

القومي المقاوم للغزو البريطاني، ويأخذ لومبارد على عاتقه كتابة تاريخ أونيل من وجهة نظر قومية تحتاج إليها المرحلة الحاضرة؛ فيصوره على أنه بطل أسطوري؛ مما يستدعي كتابة جديدة للتاريخ تأخذ من الأحداث ما يناسبها وتستبعد الأحداث غير المناسبة، وتنتهي المسرحية بمعركة حامية بين أونيل ولومبارد: أونيل الذي يريد للتاريخ أن يذكر الحقيقة من معارك وهزائم ومنفى وفقر... إلخ، ولومبارد الذي يصنع التاريخ حسب وجهة نظره هو، بما يناسب طموحات شعبه، وبالطبع ينتصر لومبارد في النهاية.

وتمثل شخصية أودونيل الصديق المخلص لأونيل، والقائد المتهور الذي لا يستطيع التخطيط، بل يقبل كل ما يطلب منه، ونراه بعد موقعة كينسيل يخبر أونيل بأسماء القادة الذين استسلموا، ويقرأ مع أونيل خطاب استسلامه للملكة. لكنه يتنازل عن قيادة قبيلته لأخيه الذي يعتبره أودونيل أكثر حكمة منه. وكما يذكر في النهاية فالأرض تبقى محبوبة الجميع، والمحبون هم الذين يتبدلون.

أما شخصية ميبيل - زوجة أونيل - فإنها تبدو أكبر من الواقع، إذ بدت أكثر قدرة من زوجها على التخطيط الإستراتيجي للمعركة؛ نصحته ألا يضع كل ثقله في اتجاه واحد، وأن إسبانيا ستخذه فالحرب ليست حرب إسبانيا، وأن بريطانيا سوف تحارب بكل ثقليها حتى تخمد ثورته، وهذا ما

حدث فعلا. ويتساءل القارئ: من أين لها كل هذه الخبرة في المسائل العسكرية والإستراتيجية؟ وتمثل شخصية هاري هوفدين البريطاني القديم المخلص لأونيل، الذي يظل مخلصا له حتى النهاية، حين يذهب أونيل إلى المنفى فقيرا ومهزوما.

نبذة عن المؤلف

ولد برايان فريل في أوماج التابعة لمقاطعة تايرون في سنة ١٩٢٩. له أعمال مسرحية كثيرة منها المسرحيات التالية: «يا فيلادلفيا ها آنذا قادم»، «غراميات كاس ماجوير»، «عشاق»، «حرية المدينة»، «المتطوعون»، «أماكن العيش»، «شافي الإيمان»، «الرقص في لوجناسا»، «وترالاتصال» و«صناعة التاريخ». ومسرحيات أخرى إضافة إلى مجموعة مبكرة من القصص القصيرة. أسس في سنة ١٩٨١ بالتعاون مع ستيفين ريا شركة الـ فيلد داي للمسرح المتنقل.

يقول ماييل إيثيرتون عنه في كتابه «مسرحيون أيرلنديون معاصرون» ما يلي:

يعد برايان فريل واحدا من أغزر وأشهر المسرحيين الذين يكتبون بالإنجليزية في هذه الأيام. تطور عمله حول رؤية شعرية مركزية أوجدت ونمت لغة مسرح قادرة على نقل الأفكار

الصعبة. هذه اللغة المسرحية تنجح من خلال حساسيات
شعرية أوسع نشارك بها مع الكاتب المسرحي لكننا فقدناها.
يجعل برايان فرييل أفهامنا أكثر حدة، ويمنحنا القدرة على
فهم وضعنا الإنساني، وسخریات عصرنا وتناقضاته العميقة.
وهذه هي رؤيته الشعرية.

المترجم

د. محمود عبدالغني غنوم

شخصيات المسرحية

هيو أونيل: إيرل تايرون

هاري هوفدين: سكرتير أونيل الخاص

هيو أودونيل: إيرل تايركونيل

بيتر لومبارد: مطران أرماغ الشرفي ورئيس أساقفة

عموم أيرلندا

ميبل كونتيسة: زوجة أونيل

ماري باغينال: أخت ميبل

الفصل الأول

قبل موقعة كينسيل

المشهد الأول (منزل أونيل في دونجانون)

حجرة جلوس واسعة في منزل أونيل في دونفانن في مقاطعة تايرن في أيرلندا. أواخر أغسطس (آب) ١٨٩١م. الحجرة فسيحة ومؤثثة بصورة شحيحة: طاولة كبيرة من النوع الطويل الضيق ثقيل القوائم، بعض الكراسي والمقاعد وخوان، ولا يوجد أي نوع من أنواع الزخرفة.

يتنقل أونيل في هذه الغرفة التي تتقصر أسباب الراحة بسرعة وحيوية، وهو يقطع سويقات الأزهار بصورة تنم عن قلة الخبرة، ويضع الأزهار في مزهريات متنوعة، ثم يضيف إليها الماء. إنه لا يصغي إلى هاري هوفدين الذي يراجع ويقرأ عدة أوراق مختلفة على الطاولة. أونيل في الحادية والأربعين من عمره. وهو رجل منعزل حاد الذهن ودّي وثرثار على نحو غير مميز في هذه اللحظة، يتحدث دائماً بلكنة إنجليزية تخص الطبقة العليا ما عدا في تلك المناسبات التي يحدده فيها النص المكتوب. أما هاري هوفدين، سكرتيه

الشخصي، فهو في سن أونيل نفسه تقريبا .
ويصفه أونيل بأنه رجل «يملك تأثيرا مريحا
ومهدئا».

هـاري: هذا في ما يتعلق بيوم الجمعة. وفي يوم
السبت حتى الآن لا توجد لديك التزامات
طيلة النهار. وفي يوم الأحد، الذي يصادف
الرابع عشر، ستكون عند أوهاجان في
توليهوج. هناك حفلة تعميد كبيرة. لقد
وصلت الدعوة يوم غادرت. وقلت بأنك ستلبي
الدعوة. أليس كذلك؟
(وقفة).

إن أول طفل للشاب برايان: أنت حضرت
حفلة زفافه في السنة الماضية. سيكون يوما
سعيدا.

(وقفة)

هيو؟

أونيل: نعم؟

هـاري: منزل أوهاجان، حيث نشأت.

أونيل: قل لي مرة أخرى، ما اسم هذا النبات؟

هـاري: رتم.

أونيل: رتم، هو ذاك.

هـاري: الاسم اللاتيني هو جينيستا Genesta، ويشير

إليه فيرجل في مكان ما.

أونيل: هل فعل هذا حقاً؟
هاري: في الحقيقة، جينيسا هذه مصدرها إسبانيا.
(ينظر أونيل إلى الأزهار مندهشاً).
أونيل: يا إلهي هل هذا صحيح؟ رتم إسباني، اسم رائع، أليس كذلك؟
هاري: أعطها الكثير من الماء.
أونيل: لونها رائع، أليس كذلك؟
هاري: هذه رسالة من رئيس البرلمان -
أونيل: إنها حقاً تغير شكل الغرفة. فكرتك هذه رائعة يا هاري. شكراً لك.
(يلفظ أونيل بصمت كلمة جينيسا مرة ثانية ثم يواصل توزيع الأزهار).
هاري: رسالة من رئيس البرلمان «يلح عليك فيها بشدة أن تجعل ابنك الأكبر يلتحق بكلية الثالوث الواحد المقدس المنشأة حديثاً في دبلن والتي أوجدتها الملكة إليزابيث الجليلة». إن عبارة «يلح بشدة» تبدو مشؤومة، أليس كذلك؟
أونيل: ماذا قلت؟
هاري: السير وليام فيتزويليام يريد منك أن ترسل هيو الصغير إلى كلية الثالوث الجديدة. لقد قيل لي إنه يحاول إقناع كل الأسر الغالية الكبيرة لترسل أبناءها إلى هذه الكلية.

إنه يودّ رداً سريعاً .

أونـيـل: هذه السترة، ما رأيك يا هاري؟ ليست
مفرطة... إلى حد ما... أليس كذلك؟

هــاـري: مفرطة؟

أونـيـل: أنت تعلم... فاقعة اللون... قليلاً؟

هــاـري: فاقعة؟

أونـيـل: حسناً، اللعنة، شبابية جداً؟

هــاـري: (ينظر في أوراقه) إنها مناسبة جداً يا هيو .

أونـيـل: أعتقد ذلك؟ ربما كان عليّ أن أحصل على
واحدة بلون أحمر داكن .

(يخرج لي جلب مزيدا من الأزهار) .

هــاـري: هذه رسالة تذكير بأن مهرجان العازفين
السنوي سيقام الشهر القادم في روزكومون .
لقد غيروا المكان إلى روسكي . أنت راعي
المهرجان وسوف يشرفهم إذا ما افتتحت
الحدث ببضع... .

(يكشف الآن أنه بمفرده، يتصفح أوراقه .
وقفزة قصيرة . يدخل أونيل ثانية بأزهار
ملء يديه) .

أونـيـل: جينستا .

هــاـري: نعم .

أونـيـل: رتم إسباني .

هــاـري: حقاً؟

أونـيـل: إنها تحتاج إلى الكثير من الماء.

هــارـي: هنا مشكلة بسيطة. يقول أوكين من ليمافادي، إنه لا يستطيع دفع إتاوته إلى أن يُضمّن الحصاد، وحتى يحين ذلك فإنه يرسل عشرة براميل صغيرة من الزبدة وعشرين برميلا من البيرة. إنه يكذب كالعادة. ربما تكون فكرة حسنة أن نؤوي إليه خمسين جنديا إضافيا للربيع التالي. وهذا سيكون درسا له. السير جاريت مور يدعوكم إلى أن تزوره في ميليفونت آبي وتقضي معه بضعة أيام في اصطلياد السمك في بوين. يقول إنه أفضل فصل سمك سلمون مر عليه. رئيس البرلمان سيكون هناك، والسير روبرت جاردنير. أنت عرفتته حين كنت في إنجلترا، أليس كذلك؟

أونـيـل: من هذا الشخص؟

هــارـي: السير روبرت جاردنير، وزير العدل.

أونـيـل: أوه، كان هذا قبل خمس وعشرين سنة. لم أره منذ ذلك التاريخ.

هــارـي: ربما يكون تجديد تلك الصداقة الآن أمرا بالغ الأهمية.

أونـيـل: (بلهجة مقاطعة تايرون) فقط لأريه أنني لم ارتد ارتدادا تاما إلى رمز، أليست هذه هي القضية؟

هــاري: لأسباب سياسية.

أونـيل: سنرى. هل وصل العازفون؟

هــاري: نعم.

أونـيل: والنظامون والبهلوانات؟

هــاري: لقد أخبرتك، كل شيء جاهز.

أونـيل: وأنت متأكد أن أحدا لم يسمع أي همسة؟

هــاري: قلت إنك في دبلن تحضر اجتماعا للمجلس.

كل شيء تحت السيطرة.

أونـيل: جيد.

(يتابع أونيل انشغاله بأزهاره).

هــاري: هناك المزيد من المشاكل: آل ديفلن وآل كوين

يمسك أحدهما بخناق الآخر مرة أخرى.

آل كوين على أراضي آل ديفلن ثلاث مرات

في الأسبوع الماضي، وقتلوا خمس نساء

وطفلين، وسرقوا ماشية وخيولا، وأحرقوا كل

حقل قش وقع بصرهم عليه. يذكرك

آل ديفلن مرة أخرى، كما يقولون، أن لهم

الحق في توقع الحماية من رئيسهم، وأنه إذا

لم يستطع هيو أونيل توفير الأمن والعدل لهم

في ظل قانون بريهون، فإنهم سيبحثون عن

الحماية في ظل القانون الإنجليزي الجديد.

وسيفعلون ذلك، أيضا.

أونـيل: أعرف ما سأفعله يا هاري.

هــاري: هذا نزاع يحتاج إلى تسوية سريعة.
أونـيل: سأحول الغرفة في الطابق العلوي إلى غرفة نومنا، وسوف أنقل تلك الوديعة من السروج الإسبانية إلى الأسفل إلى الغرفة الخلفية.
يجب أن تكون هذه السروج أقرب إلى الاسطبلات على أي حال. الغرفة في الطابق العلوي تواجه الجنوب، وهناك إطلالة جميلة على النهر في الأسفل. ألا تتفق معي في هذا؟

هــاري: ولم لا؟

أونـيل: ممتاز.

(يعود أونيل إلى أزهاره).

هــاري: أخبار سيئة من لندن. لقد أُلقي القبض على إسيكس الشاب وزجوا به في سجن القلعة.
(يتوقف أونيل عن العمل)

أونـيل: ما السبب؟

هــاري: هناك قائمة اتهامات. أحدها الخيانة.

أونـيل: اللعنة.

هــاري: «وذلك بسبب تباعثه سرا مع أحقر وأوضع خائن عاش على وجه البسيطة، هيو أونيل، بأسلوب ينم عن عدم الإخلاص إطلاقاً لجلالة الملكة إليزابيث».

أونـيل: اللعنة.

هــاري: كان مولعا بك.

أونـيـل: وأنا كنت معجبا به - رغم كل شيء.

هــارـي: أعرف.

أونـيـل: رجل مجنون.

(وقفة قصيرة).

هــارـي: هاري: ماذا هناك أيضا؟ هيو أودونيل وبيتر

لومبارد يريدان رؤيتك.

أونـيـل: حسنا. في يوم ما من أيام الأسبوع القادم.

هــارـي: إنهما هنا يا هيو.

أونـيـل: الآن؟!

هــارـي: ينتظران في الخارج.

أونـيـل: أوه، لا تمزح، يا هاري! أنا نادرا ما أكون في

البيت...

هــارـي: يعلم أودونيل أنك في البيت. ولا يزال

الأسقف هنا ينتظرك منذ أربعة أيام. وقد

أنجز قدرا هائلا من العمل (يشير إلى كومة

أوراق ضخمة). هذا نصف ملفه فقط.

أونـيـل: أوه، يا إلهي. حسنا - سأمنحهما عشر دقائق

لا غير.

هــارـي: هل علمت أنه بدأ بكتابة كتاب عنك؟

أونـيـل: (منتبها فجأة) لومبارد؟

هــارـي: هذا ما أخبرني به.

أونـيـل: لدينا مؤرخنا الخاص للأحداث.

هــارـي: هو يعلم هذا.

أونـيـل: كتاب من أي نوع؟
هــاري: قال شيئاً عن تاريخ، لا أعرف، يخيل إلي أنه
«حياة هيو أونيل وعصره».

أونـيـل: كان عليه أن يخبرني بهذا.
هــاري: لقد أمضى يوم الثلاثاء كله يدقق التواريخ
معي.

أونـيـل: لا أعتقد أن هذه الفكرة تروق لي أبداً.
هــاري: ربما أخطأت فهم الأمر كله. اسأله بنفسك.
وهذه (رسالة) ينبغي أن تقرأها بنفسك. لقد
وصلت منذ بضع ساعات.

أونـيـل: ما هي؟
هــاري: من نيوري.
(يمد يده بالرسالة الى أونيل. يهم أونيل
بأخذها، ثم يسحب يده).

أونـيـل: من بيجنال؟
هــاري: بيجنال.
أونـيـل: هل هو أبوها أم أخوها؟
هــاري: أخوها.
أونـيـل: أعطني ذلك! لا، لا، اقرأها لي.
هــاري: «من السير هنري بيجنال، قيم مراسيم الملكة،
نيوري إلى السير هيو أونيل، إيرل تايرون،
دونجانون...».
(أونيل يقطع أصابعه نافذ الصبر).

(مترددا) إنها... إنها مجرد قائمة من
الاتهامات والإهانات الشخصية. إن زواجك
الأول لم يفسخ فسخا مناسبا، ولهذا كان
زواجك الثاني غامضا. وكذلك الزواج الثالث
بالطبع.

أونـيـل: ابن

هــبـاري: إنه يهدد برفع دعوى ضدك بتهمة
الاختطاف.

أونـيـل: ما الذي يتحدث عنه؟

هــبـاري: لأنها تحت سن الحادية والعشرين.

أونـيـل: «اختطاف»!

هــبـاري: إنه يهدد بالمجيء ليعيدها بالقوة.

أونـيـل: وحق المسيح! هي بالتأكيد ليست هيلين

طروادة (يأسف على قوله هذا فورا).

وما تلك؟

هــبـاري: وضعنا أيدينا على نسخة من رسالة كتبها إلى

الملكة: «إنني أشعر بالخزي والعار العميقين

أن يكون على دمي، الذي أرقته أنا وأبي في

غالب الأحيان لقمع هذا العرق المتمرد، أن

يمتزج الآن بدم سلالة خائنة مثل هذه».

أونـيـل: «دمي»! هجين ستافوردشاير!

هــبـاري: إنه سيثير المتاعب يا هيو.

أونـيـل: لا غرابة أن يدعوهم شعراؤنا بلقب محدثي

نعمة، هذا هو كل شأنه.. محدث نعمة لعين!
تجاهله. سوف يتبجح لبضعة أيام. أنا ذاهب
لأفقد غرفة النوم تلك.
(وهو يهم بالخروج يدخل كل من أودونيل
ولومبارد).

أودونيل رجل في ريعان شبابه في أوائل
العشرينيات من عمره، مندفع ومتحمس
وسخي، ويكُن حبا عظيما لأونيل.
أما الأسقف لومبارد فهو في سن أونيل. من
حيث المهنة فهو ديبلوماسي كنسي، يظهر
حرصا ودقة في سلوكه. لكنه أيضا رجل نكتة
وذكاء، ولم تقلل مهنته على أي حال من
الأحوال من شأنه، يحمل الآن شمعدان
ضخما وقفص طيور أنيقا.

أودونيل: عرفتُ أنني سمعت الصوت!

أونيل: الشاب أودونيل!

أودونيل: كيف حالك يا رجل؟

أونيل: تسرني رؤيتك يا هيو، أهلا بك.

أودونيل: تسرني رؤيتك أيضا.

(يتعانقان بحرارة كبيرة).

إنني لم أرك منذ سباحة الخيول في
لوف أويل - في اليوم الذي ركبت الـ...!
(يتوقف فجأة) يا إلهي، أيها الشبان، ماذا عن

ذلك - ها؟ أليس ذلك منظرا للعيون الرمداء!

أونـيـل: هل تحبه؟

أودونـيـل: أراهنكم أن ذلك عمل رائع - ها؟

أونـيـل: بالطبع.

أودونـيـل: ورائحته العطرة!

أونـيـل: بيتـر.

لومـبـارد: كيف حالك يا هيو؟

أونـيـل: أهلا بعودتك إلى دونجانون.

لومـبـارد: أشكرك.

أودونـيـل: لم يمض على وفاة أختي البائسة سبعة شهور

وأراهن أنك أيها التافه تبحث عن فريسة مرة

ثانية! (إلى هاري) أأست على حق؟ (بيسط

هاري كفيه).

لومـبـارد: هذه هدايا لك يا هيو من البابا.

أونـيـل: ما كل هذا؟

لومـبـارد: قفص طيور فضي، وشمعدان من ذهب

وفضة.

أودونـيـل: انظر إلى هذه الصنعة المتقنة.

أونـيـل: جميلة. لطيفة حقا.

أودونـيـل: لقد أرسل لي هدية أيضا. حزر ما هي، إنها

بركة بابوية!

لومـبـارد: (إلى أونيل) مع أحر تمنياته الطيبة.

أونـيـل: ليس معنى هذا أنه يكافئني ويصرفني من

الخدمة، هل صرفني؟

لومبارد: إنه يسانئك بقوة من حيث المبدأ.

أونيل: هو يساندي دائما. ولكن... ألا نقود؟

لومبارد: هذه أشياء تستغرق وقتا يا هيو. لدي رسالة منه إليك أيضا.

أونيل: (يتحدث جانبا إلى هاري) تحرّ تلك الغرفة الآن. (إلى لومبارد) إذن لقد عدت للتو من روما؟

لومبارد: لقد وصلت البيت قبل أسبوع منذ الأحد الماضي. جئت مرورا بإسبانيا. ولدي الكثير لأقوله.

أونيل: جيد. هلا جلست هنا يا بيتر؟
(يخرج هاري. يذهب أودونيل إلى الخوان حيث توجد زجاجات وخمرة وكؤوس).

لومبارد: (يجلس) شكرا لك.

أودونيل: هل بإمكاننا أن نقوم بخدمة أنفسنا، يا هيو؟

أونيل: طبعاً. آسف. تفضل بيتر؟

لومبارد: ليس بي رغبة. شكراً. لدي هنا نسخ للجميع.

أودونيل: هل تعلم أن أرض القاعة هناك سوف تتهار بسبب النخر الجاف؟

لومبارد: هذه كل المراسلات الأخيرة مع إسبانيا...

قضيتنا التي رفعناها إلى فيليب الثاني وزدوده،

بما في ذلك رده الأخير الذي لم تره بعد.

أودونيل: لدينا نخر جاف في المنزل في بالي شانون وكان على أمي أن تقتزع كل قطعة من الخشب حيث مكان النخر.

لومبارد: وهذه خلاصة لشرحي، وهي عبارة عن أطروحة أعمل على إنجازها فيما يتعلق بالوضع في أيرلندا. قضيتي باختصار هي هذه: بسبب سوء إدارتها ادعت إنجلترا حق السيطرة على هذا البلد. وأجبر الزعماء الأيرلنديون على حمل السلاح دفاعاً عن دينهم. وبسبب محتدك وثقافتك وسماتك الشخصية، فأنت القائد الطبيعي لهذه الثورة. وسوف أفصل لك هذا في وقت لاحق.

أودونيل: أعلم ما فعلت أمي؟ لقد نزعتم خشب البلوط من حطام أسطول الأرمادا المتناثر على الساحل، وبدلت به كل أرضية غرفة ونافذة في المنزل. إنه عمل رائع. وبإمكانك أن تجعل حصانا يعدو فوق أرضيات تلك الغرف الآن. عليك أن تفعل هنا مثلما فعلت أمي، يا هيو.

أونيل: وبلغني أنك تكتب تاريخنا يا بيترو؟

لومبارد: آه، ذلك كان كلام هاري.

أونيل: هل بدأت؟

لومبارد: لا، لا، فقط أتحقق من بعض الأحداث والتواريخ.

أونـيـل: وماذا بعد أن ينتهي تحقيقك؟
لومـبـارد: عندئذ أعتقد أنني سأحاول ترتيب المادة في شكل معين - في نهاية المطاف.

أونـيـل: وتفسر ما قمت بجمعه؟
لومـبـارد: لا أفسر يا هيو، بل أصف وحسب.
أونـيـل: من دون تعليق؟
لومـبـارد: سوف أحاول فقط أن أروي قصة ما رأيته وشاركت فيه بقدر ما أستطيع من دقة.

أونـيـل: لكنك ستقول الحقيقة؟
لومـبـارد: أنا لست مؤرخا يا هيو... ولست حتى واثقا من أنني أعرف ما هي وظيفة المؤرخ، ناهيك عن الحديث عن منهجه.

أونـيـل: لكنك ستروي الحقيقة؟
لومـبـارد: إن كنت تسألني فيما إذا كانت قصتي ستكون دقيقة قدر الإمكان، فإنها ستكون كذلك بالطبع. لكن هل الحقيقة والزيغ هما المعيار الملائم؟ لا أدري. ربما عندما يحين الوقت ستكون مسؤوليتي الأولى هي رواية أفضل حكاية ممكنة. أليس هذا هو التاريخ، نوع من سرد قصة؟

أونـيـل: هل هو كذلك؟
لومـبـارد: إنه فرض نسق على الأحداث التي كانت عرضية في مجملها ووقعت مصادفة، ثم

صياغتها في رواية تكون منطقية وشائقة.
أوه، نعم، أعتقد ذلك.

أونـيـل: وأين مكان الحقيقة في كل هذا؟
لومـبـارد: لست واثقا من أن «الحقيقة» عنصر
رئيس... هل يسبب قول أمر مثل هذا
صدمة؟ ربما عندما يحين الوقت، سيعادل
الخيال المعلومات في الأهمية. لكنني أعدك
بشيء واحد: لن يكتب شيء على الورق
لسنوات وسنوات. فالتاريخ يجب أن يصنع
قبل أن تعاد صناعته.
(يعود هاري).

هــاري: لقد تم الاهتمام بالأمر.
أونـيـل: حسنا، والآن، دعونا نجعل هذا قصيرا
ورشيقا، أليس كذلك؟ ماذا يوجد على
جدول الأعمال؟

هــاري: حصل هيو على معلومات تقول إن الإنجليز
يخططون لتحصينات جديدة على طول ال...
أودونـيـل: هل تعرف ما ينوي الإنجليز فعله؟ سيبنون
خطا من القلاع عبر البلد، بدءا من دندالك
وحتى سليجو. وهذا ما سيفصلنا عن الجنوب
(يوضح هذا بتمزيق ورقة إلى نصفين).
والمرحلة الثانية هي أن يبنوا قلعة ضخمة في
ديري بحيث يفصلون بيننا (ويوضح هذا

بتمزيق نصف الورقة إلى جزأين). بعد ذلك،
عندما تعزل كل من دونيغال وتايرون،
سيخططون عندها لمهاجمة كل واحد
منا على حدة.

هـاري: والأسقف لديه أنباء بشأن مساعدة من
إسبانيا.

لومبارد: لدي رسائل من كل من الملك و...
أودونيل: ولكن خطوتهم الأولى هي تقوية القلاع التي
بحوزتهم الآن: موقع بيجنال في نيوري وأرماغ
وبلاك ووتر.

لومبارد: (وهو يوزع الأوراق على من حوله) لقد أمضيت
وقتا طويلا في مدريد منذ وقت قريب يا هيو،
وأستطيع أن أقول لك إن أوروبا تتظر نحونا
بصورة متزايدة على أننا نقطة الانطلاق
المثالية من أجل حركة الإصلاح المضاد.

أودونيل: ثمة شيء آخر أود الحديث حوله: أودوهيرتي
الحقير هناك في إينيشون. هل تعلم ما يقوم
به هذا الخسيس يا هيو؟ يختطف كل شيء
وصولا إلى كيليبيجز، سارقا أغنامنا،
ويشحنها بحرا إلى فرنسا! يدير شغل تصدير
كبير جدا... بأغنامي!

لومبارد: انتهت صدمة حركة الإصلاح الأولى. وأوروبا
الكاثوليكية تتجمع الآن للقيام بحركة إصلاح

مضادة. وهناك شعور بأننا من الناحية الثقافية والجغرافية يمكننا أن نصبح، مع بعض الدعم العسكري، رأس الرمح في هذا الهجوم المضاد.

أودونيل: والآن أستطيع الدخول اليوم واختطف هذا الحقيير وأقطع رأسه. لكنني إن فعلت هذا فسوف يحمل جميع سكان إينشوين السلاح، ومن قبل ثار ضدي أوروركي من ويست بريفي وهو يهدد بتقطيعي.

(ينضم أودونيل الآن إلى الآخرين الجالسين إلى المائدة). هل سمعتم ما فعلنا بـ أوروركي في الأسبوع الماضي؟ يا إلهي، سوف تحب هذا يا هيو. وصلنا خبر بأنه كان في كليز يحضر جنازة. وهكذا تسللنا إلى لاف ألين وسرقنا كل حصان ومهر لديه! ستمائة من الحيوانات الممتازة، يا إلهي، سيجن! لأنه لا يستطيع أن يطاردنا! إذ ليس لديه وسيلة نقل! هذه ضربة جيدة يا هيو - ها؟

هاري: دعنا نبدأ برئيس الأساقفة، هلا بدأنا؟
أودونيل: ستساعدني ضد الحقيير أودوهيرتي، هل تفعل؟
لأنني إن لم أفعل شيئاً فسيظن أنه غلبني.

هاري: اجلس هناك يا هيو.
أودونيل: اللعنة، ربما أستطيع تسميمه! هذا هو ما

يجب! أرسل له هدية سلام - صندوقا من
نبيذ بوردو الخاص!

لومبارد: هل لدى كل واحد نسخة؟

أودونيل: أو من الأفضل أن ترسل له أنت (مخاطبا
أونيل) هدية بوردو. لن يراوده أدنى شك فيك
أبدا. لدي جرة من هذه القاتلة المميّنة من
جنوة وصلتني الأسبوع الماضي... تكفي نقطة
واحدة فقط في كأسك ثم... تكون نهايتك.

هاري: تابع يا بوتر.

لومبارد: شكرا لك. ثلاثة شهور...

أودونيل: الأمر سيان أن تستغرق السترة سنوات من
عمره.

لومبارد: لو سمحت، يا هيو (مخاطبا أودونيل).

أودونيل: لن يخطر على بالك أبدا أنه كان في الحادية
والأربعين، أليس كذلك؟ اثنتان وأربعون تقريبا
(يعطي فرصة الكلام للومبارد)... بوتر.

لومبارد: منذ ثلاثة شهور خلت كتبت أنت (مخاطبا
أونيل) مرة ثانية إلى فيليب تطلب أسلحة
ونقودا إسبانية. لديك نسخة مؤرخة في
الرابع عشر من مايو الماضي.

أودونيل: ليس لدي أي نسخة.

(يشير هاري إلى ورقة أمام أودونيل).

آه، آسف.

لومبارد: تقول الجملة الأخيرة «بمساعدة مثل هذه نأمل أن نجدد إيمان الكنيسة ونضمن لك مملكة».

أودونيل: لم أوافق أبداً على هذا اللغو عن تقديم مملكة إليه.

لومبارد: لقد عدت برده، وتاريخ الوثيقة هو الثالث من أغسطس: «لقد نما إلى علمي أنكم تدافعون عن القضية الكاثوليكية ضد الإنجليز. والدليل على أن الله يبارك هذا الأمر هو الانتصارات التي حققتها».

أودونيل: ليس ضد الحقيير أودوهيرتي.

لومبارد: «وآمل أن يستمر تقدمكم وأرجو ألا يساوركم أدنى شك في أنني سأرسل إليكم أي مساعدة قد تطلبونها»... الآن وبعد كل هذه السنين أعتقد أن لدي فكرة واضحة كيف يفكر البلاط الإسباني. تعاطفهم معنا وفهمهم لنا أمران طبيعيين لأننا نشترك في العقيدة الصحيحة الواحدة. وهم يمقتون بصدق محاولة إنجلترا فرض الدين الجديد المارق علينا. ولكن لا تفترض أن ذلك التعاطف بلا قيد، لأنه ليس كذلك. اهتمامهم بنا عملي وسياسي. لقد أنجزت سلسلة من اللقاءات مع دوق ليرما...

أودونيل: بغض النظر عن من هو.

لومبارد: إنه يحدّد سياستهم الخارجية. وفي كل مرة يقول لي الشيء ذاته: إسبانيا ستساعدكم فقط إن كنتم مفيدين لنا. وحينما أنظر إليكم ماذا أرى؟ جزيرة صغيرة تقع إستراتيجيا إلى الغرب من عدونا، إنجلترا. وجزء صغير من تلك الجزيرة، المنطقة الواقعة حول دبلن، تحت الحكم الإنجليزي.

وبعض الأسر الإنجليزية الجديدة تعيش في عزلة في أنحاء البلاد. ولكن الجزء الأعظم من جزيرتكم هو منطقة غالية Gaelic يحكمها زعماء غالليون إلى حد كبير. وكيف يتصرفون؟ إنهم في حالة حرب مستمرة، أحيانا مع الإنجليز، ولكن دائما في ما بينهم... دائما. وكيف يمكن لقبائل ممزقة متحاربة أن تكون ذات فائدة لنا؟

أودونيل: متحاربة باستمرار؟ يا إلهي، ليس لدي أي عدو في هذا العالم!

لومبارد: لكن ما يقوله لي ربما حقيقة هو أننا إذا استطعنا أن نشكل من أنفسنا وحدة متماسكة، عندها، عندها يمكننا أن نعود إليه ونقول: إننا لسنا ممزقين، إننا لسنا متحاربين؛ إننا شعب متحد؛ والآن ساعدونا. والآن عودة إلى ما لدي من سجل الأحداث.

هي الوثيقة ذات الغلاف الأزرق، العنوان
الكامل هو «سجل أحداث تمليك جزيرة
أيرلندا قانونيا».

أودونيل: ليس لدي أي...
(يشير هاري إلى الوثيقة أمامه)
آه، أنا آسف.

لومبارد: أطروحتي هي ما يلي: إذا أردنا أن نفهم
الوضع الأيرلندي فهما تاما، يجب أن نعود
إلى الوراثة أكثر من أربعمئة عام، إلى ذلك
السابع عشر من أكتوبر الشهير، حينما نزل
هنا هنري الثاني ملك إنجلترا، وفي يده
نسخة من مرسوم البابا أدريان الرابع الممجد،
والذي جعل منه سيد أيرلندا.

أودونيل: أيا كان ما يعنيه هذا.
لومبارد: ملك أيرلندا. وكان لذلك المرسوم البابوي
تبعات...

أونيل: لقد تزوجت ليلة أمس.
(يخيم صمت طويل مليء بالدهشة).

أودونيل: ماذا؟

أونيل: تزوجت ليلة أمس.

أودونيل: أنت كاذب! (مخاطبا هاري) إنه كاذب!
(مخاطبا أونيل) أيها التافه أنت لم تفعلها أبدا!
أونيل: نعم.

أودونـيـل: يا إلهي القدير! (مخاطبا هاري) أنتَ قلت إنه
كان في دبلن يحضر اجتماعا للمجلس.

هــاري: كان في دبلن.

أودونـيـل: يا إلهي ياذا القدرة! السترة اللعينة... ألم أقل
لك إن ذيلها كان مرتفعاً!

تومـبـارد: أنت ياهيو أبقيت الأمر في الخفاء.

أودونـيـل: تزوجت ممن، أنت أيها التافه؟ عرفت! تلك
المرأة الضخمة ذات الشعر الأحمر التي مكثت
معك هنا طيلة الشهر الماضي تلك المرأة
الأسكتلندية آني ماكدونالد!

أونـيـل: لا.

تومـبـارد: تهانينا.

أونـيـل: شكرا لك.

أودونـيـل: حزرت! ابنة برايان ماكسويني، من فاناد
وبييت، ما اسمها الحقيقي؟ سيسيليا؟ يا
إلهي، ليس سيسيليا! (أونيل يهز رأسه).
من إذن؟ انطق أيها الرجل! أخبرنا!

تومـبـارد: هل قلت الليلة الماضية؟

أونـيـل: في الحقيقة، في الساعة الثانية هذا الصباح.
خطفنا...

أودونـيـل: «خطف -»! ما أطفك يا إلهي العظيم!
خطفنا! (يضرب الطاولة وهو في حالة
استثارة) مددوني على الأرض وادفنوني معززا

مكرما! الساقط هرب معها! هو هو هو..!

(يضم أونيل) رائع يا رجل! تهانينا!

لومبارد: من الكونتيسة الجديدة يا هيو؟

أودونيل: يا إلهي، أتمنى أن يكون لدي الشهية نفسها

للزواج حينما أبلغ سنك!

أونيل: كلاكما لا تعرفانها، إنها من نيوري.

أودونيل: ما جنس! سوبان ما جنس!

أونيل: لا. إنها...

أودونيل: الأخت الأخرى إذن، تلك التي لها أسنان...

يا الحوّا!

أونيل: قابلتها لأول مرة قبل أشهر قليلة. في عيد

ميلادها العشرين.

أودونيل: هي فقط؟ إنها فقط...؟

أونيل: اسمها ميبل.

أودونيل: (بتعاضم) ميبل.

أونيل: إنها واحدة من الإنجليز الجدد الأثرياء. قدم

جدها إلى هنا من نيوكاسل - أندر لايم في

ستافوردشير. وأعطى ديرسيستيرشان

وأراض حول نيوري وكارلنغفورد - وهذا ما

جاء بهم إلى هنا.

(وقفة)

أودونيل: كفى يا هيو. تخل عن العبث. أخبرنا عن

اسمها الحقيقي...

أونيل: إنها ميل باجينال. إنها ابنة قيم مراسيم الملكة المتقاعد. وهي أخت السير هنري باجينال قيم مراسيم الملكة الحالي.

(صمت)

هاري: هل يرغب أحد بمزيد من الخمرة؟

(صمت)

تومبارد: أين تزوجت؟

أونيل: زوجنا مطران ميث في درمكوندرا في ضواحي دبلن.

تومبارد: أي مطران من مطارنة ميث؟

أونيل: توم جونز مطران البروتستانت. ميل بروتستانتية.

أودونيل: على رسلك يا هيو - انتظر الآن... انتظر... انتظر... لا يمكنك الزواج من الأثرياء الجدد وأخت الجزار باجينال! بحق يسوع يارجل...

أونيل: سأطلب منها أن تأتي للقائكم.

أودونيل: أبقها معك شهرا يا هيو... مثل تلك المرأة التي كنيتهما ماكدونالد... هذا أفضل شيء... أبقها معك شهرا ثم أطردها. أأست على حق يا هاري؟ (يتحدث إلى أونيل) لن تهتم يا هيو، أقسم بالله. ذلك ما ستوقعه. هؤلاء الإنجليزيات الجدد هن جميعا نصف متسكعات. أعطها بعض الملابس، وبضعة

دراهم، وضع قدمك في ظهرها واطردها إلى
بلدها في ستافوردشير.

أونـيـل: نيوري هي بلدها.

أودونـيـل: أيا كان بلدها (يتحدث إلى هاري) أقول
لك... هذا كل ما ستوقعه.

أونـيـل: سأطلب منها أن تتضمن إلينا.

أودونـيـل: ألسـت على حق يا بيتـر؟

لومـبـارد: علينا جميعا أن نقدر المضامين السياسية
والدينية لهذا الارتباط يا هيو.

أونـيـل: إنه زواج، أيها الأسقف.

لومـبـارد: هل ستري إسبانيا الأمر هكذا؟ هل ستراه
روما؟

أونـيـل: (غاضبا جدا، يتحدث بلهجة أهالي تايرون)

هذا ما أعتقد. وهذا بلدي. (وبهدوء وبلهجته
المعتادة) لقد تزوجت شابة موهوبة جدا،
جريئة جدا، وجميلة جدا. لقد تركت أهلها
لتنضم إليّ هنا. ولن يغفروا لها هذا أبدا.
إنها تحت هذا السقف الآن، بين أناس نشأت
على الاعتقاد بأنهم متوحشون وبرابرة.
سأحتفل في هذه الليلة حيث سأقدمها إلى
أهلي وشعبي. وأطلب منكما أنتما الاثنان
خصوصا أن ترحبا بها هنا. ولكن إن كان فوق
طاقتكما، أطلب منكما الكياسة على الأقل.

(يفادر، يخيم صمت. يبدأ لومبارد بجمع أوراقه.

يساعده هاري. وبعد وقفة طويلة جدا).

أودونيل: لقد فقد التافه عقله! هذه هي النتيجة؛ لقد
أدارت رأس هذا التافه.

هـاري: (إلى لومبارد) ابق حتى الصباح التالي. يمكننا
الاجتماع ثانية غدا صباحا.

أودونيل: وتركني أتحدث بحماقة عن الإنجليز الذين
يبنون حصونا جديدة! وهو طيلة الوقت يتغزل
بقلعة نيوري، هذا نوع من الخيانة، يا هاري،
هذا هو حقا.

هـاري: ما تقوله هراء يا هيو.

أودونيل: هل تعلم أين كان باجينال الجزار في
الأسبوع الماضي؟ في وادي فين. يغزو
وينهب مع سرية جديدة من الجنود من
تشستر. بالطريقة التي تمرس بها الكلاب
الفتية! ذبح وقطع رؤوس خمس عشرة
أسرة كانت خارج بيوتها تجمع القش على
طول ضفة النهر رجالا ونساء وأطفالا.
والنتيجة هي أن هناك في هذه اللحظة ما
يقارب مائة لاجئ في منزل والدتي في
مدينة دونيجال.

هـاري: (إلى لومبارد) سأحصل على نسخ من هذه.

أودونيل: سأخبرك شيئا يا هاري هوفدن: ما دامت

تلك الكلبة الثرية الجديدة معه، فلن يرحب به
أحد في تايركونيل!

(لومبارد على وشك أن يغادر مع أوراقه).

هـاري: انتظري يا بيتري على الأقل لتقابلها. لأجل خاطره.

(يدخل أونيل يقود ميبيل ممسكا بذراعها).

(تبلغ ميبيل العشرين من عمرها، عاقدة العزم

وواضحة. الآن هي عصبية جدا. في لهجتها

آثار من لهجة ستافوردشير.

أونيل: ها نحن. أريدك أن تلتقي باثنين من

أصدقائي يا ميبيل. هيو أودونيل، السير هيو

أودونيل، إيرل تايركونيل. زوجتي ميبيل.

ميبيل: أنا مسرورة بلقائك

(تمد يدها. على أودونيل أن يصافحها. هو

لا يتكلم. وقفة قصيرة).

أونيل: والدكتور بيتر لومبارد، حامل لقب مطران

أرماغ، ورئيس أساقفة عموم أيرلندا.

ميبيل: أنا مسرورة بلقائك.

(مرة أخرى تمد يدها. وبعد هنيهة يصافحها

لومبارد. لا يتكلم. وقفة قصيرة).

أونيل: علينا أن نبقي على علاقة جيدة مع بيتري: إنه

يكتب تاريخنا.

لومبارد: يبدو أن ذلك يقلقك لسبب ما.

أونيل: لا مادمت تقول الحقيقة.

لومبارد: لا تفتأ تؤكد على هذه «الحقيقة» يا هيو.

أونيل: ألا تؤمن بالحقيقة يا أسقف؟

لومبارد: لا أعتقد أن فترة من التاريخ، فضاء زمني

معين، حياتي، حياتك، تحتوي في داخلها

تفسيرا واحدا «صحيحا» ينتظر مجرد

التنقيب عنه. بيد أنني أعتقد أنها ربما

تحتوي في داخلها عددا من الحكايات

المحتملة: إن حياة هيو أونيل يمكن قصُّها

بطرق عديدة مختلفة. وتلك الطرق تحدِّدها

احتياجات، ومتطلبات، وتوقعات أناس

مختلفين وفترات مختلفة. ما الذي يريدون

سماعه؟ كيف يريدون أن تُحكى؟ وهكذا، فأنا

بمعنى من المعاني لست مستقلا يا هيو. إنني

إلى حد ما ألبى الاحتياجات بكل بساطة،

وأشبع الرغبات... أليس هذا هو ما أفعله.

(يشيح لومبارد بوجهه)

هاري: تبدو عليك الراحة الآن.

أونيل: وهذا هاري هوفدن، كما تعرفين.

ميبيل: آه، نعم، أعرف هاري.

هاري: هل تحبين الأزهار؟

ميبيل: نعم إنها جميلة.

أونيل: رتم.

ميبيل: أجل

أونـيـل: رتم إسباني.

مـيـبل: أجل

أونـيـل: وهي واحدة من فصيلة جينيستا.

مـيـبل: أوه، لم أكن لأعرف هذا.

أونـيـل: في الحقيقة هذا هو الرتم الإسباني... يجيء

من إسبانيا. ويحتاج الكثير من المياه.

مـيـبل: الرتم؟ لا يحتاج إلى مياه كثيرة، إنه لا يحتاج

الماء إطلاقاً إلا فيما ندر.

(ينظر أونيل إلى هاري نظرة اتهام)

أودونـيـل: سأتناول جرعة أخرى من هذه الخمرة... إذا

لم يكن لديك مانع يا هيو؟

أونـيـل: بالطبع، من يريد أيضاً؟

(صمت)

هــاري: هل نلتِ قسطاً من الراحة؟

مـيـبل: اضطجعت، لكنني لم أنم... كنت مستثارة...

كل شيء بالغ الـ... وضوضاء تلك الأبقار!

أعني، أنني نظرت من النافذة وكل ما استطعت

رؤيته كان ملايين منها متناثرة وصولاً إلى

التلال. أعني أنني لم أر أبداً كل هذا العدد

الكبير من الأبقار في مكان واحد طيلة حياتي.

لا بد أن هناك ملايين منها. أبقار وخيول.

هــاري: سوف ننقلك إلى غرفة النوم التي فوقنا

تماماً. الوضع هناك أكثر هدوءاً.

لومبارد: أستميحكم عذرا، علي أن أكتب بعض الرسائل.

أونيل: الاحتفال يبدأ في التاسعة يا بيتر.
(يخرج لومبارد)

هارى: (يمسك ذراع أودونيل) وهيو لم يأكل شيئا منذ هذا الصباح.

أودونيل: عم تتحدث؟ فقط أكلت...
هارى: سوف ننضم إليك لاحقا.

(يقود أودونيل أمامه إلى الخارج. يحتضن أونيل ميبيل من الخلف ما إن يصبحا بمفردهما، ويدفن وجهه في عنقها وشعرها).

ميبيل: أوه... يا إلهي.

أونيل: ضعي ذراعيك حولي.

ميبيل: إنني أرتجف كليا.

أونيل: أريدك الآن.

ميبيل: قلت «تعالى وقابلي صديقين».

أونيل: الآن!... الآن!... الآن!

ميبيل: كان عليك أن تنذرني يا هيو.

أونيل: دعينا نصعد إلى الغرفة العليا.

ميبيل: إنني ممزقة، أنا! هيو أودونيل وكاهن بابوي،

كل هذا في غضون دقيقتين! ألم تر يدي؟

كانت ترتجف!

أونيل: أريد أن ألثممك.

مـيـبـل: أخي هنري يدعوه الجزار أودونيل. يقول إنه
يخفق خرافا صغيرة بيديه العاريتين.

أونـيـل: هذا صحيح.

مـيـبـل: يا إلهي! هل أنت جاد؟

أونـيـل: ويأكلها نيئة.

مـيـبـل: يا إلهي! لست جادا؟

أونـيـل: نحن جميعا نفعل هذا هنا.

مـيـبـل: كفى يا هيو. ويتحدث بصورة هزلية جدا.

لماذا لا يتكلم مثلك؟

أونـيـل: كيف أتكلم أنا؟

مـيـبـل: «كيف أتكلم»؟ - مثل الإنجليز القدماء ذوي

المنزلة الرفيعة في دبلن.

أونـيـل: (مستخدما لهجة تايرون) هذا هو السبب

الذي من أجله تموتين في حبا.

مـيـبـل: وقابلت كاهنا كاثوليكييا يا هيو! هذه أول مرة

في حياتي أرى فيها واحدا منهم! وقلت له

«أنا سعيدة بلقائك!» يا إلهي، انتظر حتى

تسمع أختي ماري بهذا الأمر!

أونـيـل: وأخيك هنري.

مـيـبـل: أخي هنري سوف يطلق علي النار ويقتلني يا هيو!

أونـيـل: أيفعل ذلك؟

مـيـبـل: أنت تعلم أنه سيفعل! لقد صافحت كاهنا

كاثوليكييا!

أونـيـل: أسقفا .

مـيـبل: هل ذلك أسوأ؟

أونـيـل: أسوأ بكثير. وانظري إليها .

مـيـبل: إلى ماذا؟

أونـيـل: إلى يدك.

(تنظر إلى يدها)

إنها تتحول إلى سوداء.

مـيـبل: إنها...؟

(تدرك فجأة أن أونيل استحمقها. تصدر شهقة ضحك عالية وتلكمه). يا إلهي، لقد بدوت في الواقع! إنك وضع يا هيو أونيل - هذا ما هو أنت فعلا - وضع حقيقي! (تضحك مرة ثانية، وهذه المرة وهي على وشك البكاء) يا إلهي، إن المسألة زادت عن حدها قليلا، هيو... أعتقد أنني ربما، أعتقد أنني ربما على وشك البكاء، والأمر السخيف أنني لا أبكي مطلقا... كل هذه السرية، الهرب، حفلة العرس، كل الإثارة، وجودي هنا، لقائي بهؤلاء الناس... (الآن تبكي) لم يكونوا مرحبين جدا يا هيو... هل كانوا كذلك؟ أعني أنهم لم يستطيعوا الكلام معي... أيمكنهم؟

أونـيـل: امنحهم الوقت.

مـيـبل: مباشرة حينما كنت راحلة عن البيت التفت

فرأيت أبي ينظر من النافذة الأرضية. فتبسم
ولوح لي، لم يكن لديه فكرة أنني كنت هاربة.
ولن يفهم أبدا لماذا فعلت هذا. إنه رجل طيب
وعادل وسوف يحاول، ولكن المسألة لن تقنعه.
وسوف يظل حائرا معذبا بقية حياته.

أونـيـل: اهدئي.

مـيـبل: أنا بخير. فقط مرتبكة قليلا يا هيو. فقط
منفصلة قليلا. كل شيء مختلف جدا هنا. كنت
أعلم أن الأمر سيكون غريبا... كنت أعلم
ذلك. لكنني لم أعتقد أنني سأكون في أرض
أجنبية. إنني على بعد خمسين ميلا فقط من
بيتي، بيد أنني أشعر أنني بعيدة جدا عن كل
ما أعرفه.

أونـيـل: أعطني يدك.

مـيـبل: إنها ليست سوداء. سأكون بخير يا هيو. فقط
امنحني وقتا. إننا سلالاة صلبة، نحن أثرياء
الحرب.

أونـيـل: عندي هدية لك.

مـيـبل: صحيح؟

أونـيـل: إنها اختراع جديد... قطعت زمن تحميلينها
معك حيثما ذهبت. إنها تدعى ساعة.

مـيـبل: ماذا؟

أونـيـل: ساعة. تلبسينها في إصبعك مثل خاتم تماما.

مـيـبـل: من أين لك هذا الشيء؟
أونـيـل: طلبت أن يصنعوها لك في لندن، لك خاصة.
مـيـبـل: أوه، هيو...
أونـيـل: الشخص الآخر الوحيد الذي أعرفه ولديه
واحدة مثلها هي الملكة إليزابيث.
مـيـبـل: إنها شيء جميل يا هيو، حقيقة جميل.
أونـيـل: تضعها إليزابيث في هذا الإصبع.
مـيـبـل: الملكة لديها واحدة! وأنا لدي الثانية التي لا
يوجد سواها!
الملكة إليزابيث والكونتيسة ميبيل... لم لا؟
أونـيـل: حقا، لم لا؟
إنها جميلة حقا. شكرا لك. شكرا جزيلا لك.
(تقبله) أنا آسفة يا هيو. لن أبكي هكذا مرة
ثانية أبدا. هذا وعد. أبدا. أبدا. نحن سلالة
صلبة، آل أونيل.

(تهبط العتمة بسرعة على خشبة المسرح)

المشهد الثاني (منزل أونيل)

مضت سنة تقريبا . الغرفة ذاتها كما في المشهد الأول، بيد أن ميلل أضافت إلى الأثاث ما جعل الغرفة الآن تبدو مريحة أكثر وبألوان أكثر.

ميلل جالسة بمفردها تصنع تخريما معقدا صعبا . تعمل بصمت لبعض الوقت . ثم يأتي من خارج المسرح صوت صراخ صبية مفاجئ ومرعب . يتبع الصرخة مباشرة ضحك عاصف، وصياح، ومزاح ثقيل وتبادل حديث سريع باللغة الأيرلندية بين صبية وشاب . الصرخة ترعب ميلل . تلقي بتخريمها . عيناها مغلقتان بإحكام . تجلس متجمدة رعبا بضع ثوان ، حتى حين يتضح أن الصراخ عبارة عن مزاح ثقيل . ثم تقفز واقفة بصورة غاضبة مفاجئة ثم تذهب إلى المخرج جهة اليسار . بينما هي ذاهبة ، تدخل أختها ماري من جهة اليمين ، لكن ميلل لا تراها . ماري بيجنال أكبر سنا من ميلل بقليل . ومثل ميلل ثمة علامة من لهجة ستافوردشير لديها . ومثل ميلل هي شابة عاقدة العزم .

مـيـبـل: (لدي المخرج) اخرسوا أنتم هناك! هل
تسمعونني؟ اخرسوا وحسب! إذا أردتم
التصرف كالمتوحشين عودوا إلى المستنقعات!
(فجأة تدرك أن ماري سمعت ثورانها،
فتشعر بالارتباك)

مجرد سماجة. يحسب المرء أنهم كانوا يقتلون
بعضهم بعضا، أليس كذلك؟
وأنا يتقطع نفسي لأنهم لا يفقهون كلمة
إنجليزية واحدة.

(ثمّة صمت مريبك. تلتقط ميبل تخريمها)

مـارـي: إنهم يجهزون عربتي. مسافة العودة طويلة
إلى نيوري.

مـيـبـل: إنها فقط خمسون ميلا.

مـارـي: أعتقد أن هذا صحيح.

مـيـبـل: (بصورة عفوية) امكثي هذه الليلة يا ماري.

مـارـي: لا أستطيع.

مـيـبـل: أرجوك. من أجلي. أرجوك.

مـارـي: أرغب في البقاء يا ميبل ... تعلمين أنني
أرغب ولكن...

مـيـبـل: فقط ليلة واحدة.

مـارـي: إن لم أعد إلى المنزل قبل حلول الظلام، أنت

تعرفين أخانا هنري، سوف يقلق جدا

مـيـبـل: دعيه يقلق عليك من باب التغيير.

مــــــــــــــــاري: أنا فعلا لا أستطيع. ليس هذه المرة. وعلى أي حال، أنا وأنت دوما نتشاجر بعد بضعة ساعات.

مــــــــــــــــيبل: هل نحن كذلك؟

مــــــــــــــــاري: حسنا... أحيانا.

مــــــــــــــــيبل: في هذه الحالة...

مــــــــــــــــاري: في المرة القادمة... ربما.

مــــــــــــــــيبل: في المرة القادمة.

مــــــــــــــــاري: هذا وعد.

(يسمع انفجار صراخ آخر ومزاحا ثقيلا.

تبتسم الأختان، إحداهما للأخرى بقلق. وقفة

قصيرة)

تركت صندوقا من النكتارين والسفرجل في

حجرة المؤن لديك. وبعض العسل. وأخشى أنه

من عسل السنة الماضية. إذا ما تبلر اغمري

الجرار في ماء دافئ فقط.

مــــــــــــــــيبل: شكرا لك.

(وقفة قصيرة)

مــــــــــــــــاري: ليس لديهم نحل هنا، هل لديهم؟

مــــــــــــــــيبل: كلا، ليس لدينا.

مــــــــــــــــاري: أخيرا أقنعت أخي هنري أن ينقل خلايا نحله

بعيدا عن المنزل، والحمد لله. هل تذكرين...

بالضبط خلف حديقة الخضار؟ حيث أنشأ

والدنا بحيرة الأسماك؟ هي ذلك المكان
الآن، على شكل نصف دائرة حول البحيرة.

مـيـبـل: نعم.

مـارـي: إنه يملك ما يزيد على مائة خلية الآن.

مـيـبـل: صحيح؟

مـارـي: ربما أكثر.

مـيـبـل: حقيقة؟

مـارـي: بعنا حوالي أربعة آلاف رطل من العسل السنة

الماضية. معظمها إلى الجيش. كانوا على

استعداد لشراء كل ما يمكنه إنتاجه، لكنهم لا

يدفعون الثمن دوماً.

(وقفة قصيرة).

وهل تذكرين تلك الأراضي المستتعة البعيدة

إلى اليسار من البحيرة؟ حسناً، إنك لن

تعرفي تلك المنطقة الآن. جففناها وحرثناها

وسورناها؛ ثم غرسنا ألف شجرة هناك في

أربع مناطق منفصلة: أشجار تفاح وخوخ

وبرقوق داكن وكمثرى. لقد طلب هنري أن

ترسل له هذه الأشجار من كنت. إنها تنمو

بصورة جيدة.

مـيـبـل: جيد

مـارـي: إنهم لا يملكون بساتين هنا، أليس كذلك؟

مـيـبـل: كلا، لا نملك.

ماري: معظمهم يزرعون الخضروات، أليس كذلك؟
ميبيل: إننا نختص بالمزارع الرعوية، ليس الفلاحة؛ ماشية؛ أغنام، وخيول. نملك مائتي ألف رأس من الماشية هنا الآن، كما سمعت. هل قلت شيئاً فيما يخص حديقة أعشاب؟

ماري: أوه... ذاك نجاح عظيم. تلك الساحة الصغيرة حيث كانت الأرجوحة، هل تذكرين تلك البقعة التي تطل عليها نافذة المطبخ؟

ميبيل: لم يمر على مغادرتي البيت سنة يا ماري
ماري: آسفة. لقد أحضرت لك بعض البذور. (تخرج مغلفات من حقيبتها) لقد صنفتها لك. (تقرأ) حبة البركة، كاشم، طرخون، شبت، كزبرة حمحم. لدي حشيشة الشفاء أيضاً، لكنني أخشى أنها ماتت معي، هل تذكرين أننا اعتدنا في كل عيد فصح أن نصنع كاتو من حشيشة الشفاء ونتركه... آسفة، لا تزرعي حبة البركة قرب الشبت وإلا فإنهما سيتهاجنان.

ميبيل: هل هذا أمر سيئ؟
ماري: سوف تحصلين على بذرة لا هي حبة بركة ولا هي شبت، الحمحم يحب الشمس، لكنه ينمو أينما تزرعينه، إنه قوي جداً. سيكون لدي بعض من بذور الناردين في أواخر العام. سأرسل لك بعضها. أما زلت نؤومة سيئة؟

ميبل: هل استفاق الوالد أخيرا؟

ماري: الوالد؟ استفاق كان عليك أن تسمعيه! أنه يترك رسائل شخصية لكل شخص.

ميبل: رسائل؟

ماري: وتعليمات مفصلة بخصوص كل شيء. باب القلعة الغربي يحتاج إلى مفاصل جديدة. في زنادات شحنة بنادق المشاة الأخيرة خلل، لا تعتمدوا بصورة كاملة مطلقا على لندن، لأنهم (هناك) لا يفهمون حقيقة العمل الصعب الذي نقوم به هنا.

ميبل: رسائل شخصية؟

ماري: لم ينس أحدا. علي أن أتعلم تجليد الكتب إن لم يكن لديكم مانع! هنري يمضي وقتا طويلا جدا في أعماله الورقية، ولا يمضي الكفاية من الوقت في أمور الجيش، البستاني، توم العجوز، عليه أن يفرك مفاصله المصابة بالروماتيزم بشمة العسل. أعط نسختين من الكتاب المقدس للخادمتين من تاندرجي. وقبل موته بنصف ساعة سأل عن السعر الذي نبيع به بيضنا! رائع، أليس كذلك؟

ميبل: نعم.

ماري: إنني أفقده كثيرا يا ميبل. أعلم أنه عاش حياة قاسية، لكنها كانت حياة ممتلئة جدا.

أنت تتسين أنه بمفرده تقريبا روض جميع أهالي كاونتي داون وكاونتي أرماغ وحقق لهم النظام والرخاء. وبارك الله مساعييه العظيمة؛ وعرف الوالد ذلك أيضا. وهذا ما كان عزاء عظيمًا له في النهاية. (وقفة قصيرة) ولنا جميعًا. (وقفة قصيرة) إذا. (وقفة قصيرة) أفتقدك كثيرا جدا يا ميبيل.

ميبيل: وأنا أفتقدك أيضا.

ماري: أقفلت باب غرفة نومك في اليوم الذي غادرت فيه ولم يُفتح منذ ذلك اليوم. ولكن حتى المنزل يبدو أنه يصبح أكبر وفراغه أوسع.

ميبيل: أنت تستمتعين بالحديقة، أليس كذلك؟

ماري: يقول هنري إن علي أن أخرج أكثر، ألتقي أناسا أكثر. أين يفترض بي أن أذهب؟ إننا محاطون بالأيرلنديين. وفي كل يوم ينبث المزيد والمزيد من أكواخهم على طول محيط أراضينا.

ميبيل: أنت تزورين أسرة فريثس، أليس كذلك؟

ماري: غادروا. منذ شهر خلت. عادوا إلى كورنويل.

ميبيل: لماذا؟

ماري: لم يعودوا قادرين على التحمل، على ما أعتقد. أقرب جار لنا الآن هو باتريك

بارنويل من راذفرييلاند، وهو يبعد عنا
خمسة عشر ميلا.

مـيـبـل: لكن فكري بالحفاوة التي يستقبلك بها الشاب
باتريك دوما! أتذكرين اليوم الذي قال لك
فيه: (تلثخ) «أنثة ماري، اهبطي معي إلى
الطاحونة القديمة» يا إلهي، ضحكنا على
ذلك طيلة أسابيع. هل تذكرين؟
مـارـي: أجل.

مـيـبـل: أصبحت نوعا من الشعار عندما - «أنثة
ماري» - هل تذكرين؟
(تبكي ماري بهدوء).
هيا. هيا. لا داعي لذلك.

مـارـي: بلغ الخامسة والستين في الأسبوع الماضي،
باتريك بارنويل الشاب
مـيـبـل: هل أنت على ما يرام، يا ماري؟
مـارـي: يريد أن يتزوجني يا ميبـل. أخبرته أنني
سأفكر بالأمر.

مـيـبـل: أوه، يا ماري، أنت...
مـارـي: أنا أفكر بالأمر بجدية.
مـيـبـل: ماري، إنه مسن...!
مـارـي: وعدته أن يصله ردي في الشهر القادم. أخونا
هنري يحترمه جدا.

مـيـبـل: ماري، لا يمكنك أن تتزوجي باتريك بارنويل

مـاري: سنرى. أنا لست متأكدة بعد. أعتقد أنني سأتزوجه.

مـيبل: الرجل أحمق عجوز يا ماري! كان دوما أحمق! لقد كان طرفة لنا طيلة حياتنا.

مـاري: إنه لا يزال واحدا منا يا ميبل. ومهما كان من شأن سنه، فهو رجل شريف جدا. (تبدو الآن رسمية ومترفعة) للمرة ثانية، حان وقت ذهابي، لم أترك شيئا خلفي، أليس كذلك؟ هل رأيت خيولي الجديدة؟ بالطبع رأيتها، أليست وسيمة؟ حصل عليها هنري من ويلز من أجل عيد ميلادي، إن سيرها متزن، وطاقتها هائلة، هل ستسلمين لي علي هيو؟

مـيبل: لا أدري إلى أين ذهب. سيشعر بالأسف لأنه لم يرك.

مـاري: لا، لن يشعر بالأسف. في المرتين اللتين التقينا فيهما تشاجرنا شجارا مريرا سأحاول المجيء مرة... إن سنحت لي الفرصة، لكنك تعلمين كم هو غاضب هنري.

مـيبل: ألا يزال غاضبا؟

مـاري: إنه لا يزال يتحدث عن إعادتك إلى البيت بالقوة.

مـيبل: هنا بيتي يا ماري.

(الصراخ المفاجئ نفسه ثانية. ماري تقترب)

منها وتتكلم باهتمام ومحبة).

مـاري: كلا، إنه ليس بيتك. هذا لا يمكن أن يكون بيتك أبدا. ارحلي معي الآن يا ميبيل.

مـيبيل: من فضلك يا ماري...

مـاري: أجل، أنا أعرف أن لديهم شعائهم الملونة، وعاداتهم الشائقة، وقانونهم الخاص. لكنهم غير متحضرين يا ميبيل. ولا يمكنك التقدم بهم أبدا... ينبغي أن تعرفي هذا الآن... كم هم مخادعون وخونة... وغارقون بالخرافات الدينية.

مـيبيل: هذا يكفي، يا ماري.

مـاري: أنت تتكلمين عن «الزراعة الرعوية»، ما تقصدينه في الحقيقة ليس زراعة أبدا... ما تقصدينه في الحقيقة هو إهمال الأرض. وأي شعب متوحش يرفض زراعة الأرض التي وهبها لنا الله لا حق له بهذه الأرض.

مـيبيل: كفي عن هذا فورا، يا ماري.

مـاري: أنا متأكدة أن بعضهم لطيف ومهذب ومحل ثقة. بالطبع هم كذلك، نعم، أنا أعلم، هيو مختلف. هيو تربي في إنجلترا. لكن شعبه مقضي عليه على رغم أصدقائه الأجانب وتآمرهم الكاثوليكي، لأن طريقتهم في الحياة محكوم عليها بالفناء. مقضي عليهم لا محالة

لأن التمدن طريق الله يا ميبل، ولأن
الخرافات ينبغي أن تنهزم أمام العقل، أنت
تعرفين بقلبك أن ما أقوله صحيح .

ميبل: أصبحت كاثوليكية رومانية قبل ستة شهور.

ماري: آه، يا إلهي، كيف يمكن يا ميبل...؟

ميبل: على أساس الإخلاص لـ هيو وشعبه. أما عن
التمدن، فأعتقد أن ثمة طرازا للحياة هنا هي
على الأقل شريفة وغنية مثل الحياة التي
هجرتها. وأتخيل أن رهبان سيسيرسيان في
نيوري لم يعتبروا جدنا وكيلا للحضارة حينما
طردهم من دارهم واحتلها وجعلها بيتا لنا.

ماري: عند هيو خليلتان!... هنا... الآن!... تحت
هذا السقف! هل هذا جزء من دينه؟

ميبل: ذلك جزء من ثقافته.

ماري: كرامة لله! هل جزء من ثقافته أن ينحني
ويتمسح بالأرض أمام وكيل اللوردات في دبلن
ويعده بالطاعة والإخلاص طيلة حياته، وفي
اليوم التالي مباشرة يتآمر على الخيانة مع
إسبانيا؟

ميبل: هذه سياسة.

ماري: «سياسة» أصغي إلى نفسك. إنك تصبحين
مراوغة مثلهم! بدأت تتحدثين مثلهم،
تفكرين مثلهم! إن هيو خائن يا ميبل للملكة،

مـيـبل: تريد الوصول إلى البيت قبل حلول الظلام.

مـاري: مرحبا يا هاري.

هـاري: أنت غريبة يا ماري. كيف حالك؟

(يتصافحان)

مـاري: أنا بخير يا هاري، كيف حالك أنت؟

هـاري: بخير، شكرا لك، بخير.

أونـيـل: حسنا، إن هذه الزيارة غير متوقعة.

مـيـبل: ألا تبدو بخير؟

أونـيـل: بالفعل. وهل تبادلت الأختان حديثا شائقا.

مـيـبل: انتهينا من الحديث تقريبا... أليس كذلك؟

أونـيـل: وكيف رئيس بلاط الملكة؟

مـاري: هنري بخير، شكرا لك.

أونـيـل: هنري بخير؟

مـاري: أجل.

أونـيـل: جيد.

مـاري: أجل (وقفة قصيرة) إنه على ما يرام.

أونـيـل: رائع. لكنه قلق على ما أعتقد بسبب تلك

الصعوبة الصغيرة مع ماجوير في فيرماناج؟

مـاري: لا علم لي بذلك البتة يا هيو.

أونـيـل: بالطبع لا علم لك؛ طبيعي؛ هذه قضايا دولة،

لكن لديه مشكلة هناك... أو على الأقل هذا

ما سمعناه يا هاري، أليس كذلك؟

مـاري: هنري لا يناقش تلك الأشياء معي

أونـيـل: المشكلة، كما نفهمها هي أن لندن طلبت من ماجوير أن يصدر تصريحاً علنياً بخصوص إخلاصه وطاعته... أن «يستجيب» كما يصوغونها بخجل، كما لو أن الأمر خروج من الحالة البرية الغالية بالطبع. لم يطلب الإنجليز أكثر من إيماءة رمزية، إنهم على خلافنا لا يدفعون المبادئ إلى نتائج تورط صاحبها أبداً. بحق السماء، أنا نفسي أصدرت الإيماءة، أليس كذلك يا هاري؟ و«أدخلت» هيو أودونيل الشاب. وأنا أؤكد لك يا ماري أن هذا لا يعني شيئاً، لا يعني شيئاً. ولقاء تلك الانحناءة... الرمزية، تقدم لك لندن اعترافاً رسمياً وعرفاناً بما كنته من قبل... زعيماً لشبـعك! وهذا أمر طريف سياسياً، أليس كذلك؟

ماري: وهكذا فإن قسمك المقدس بالإخلاص لجلالتهـا لا هو مقدس ولا هو ملزم لك يا هيو؟

أونـيـل: يا إلهي، لا! أنا مخلص اليوم... خائن غدا... تعلمين كم نحن الغاليون متقلبون. على أي حال، ماذا كنت أقول؟ أجل، صديقنا ماجوير؛ يواجه ماجوير صعوبة في القيام بتلك الانحناءة، ولذلك تصبح لندن نكدة. ويجري

تبادل الرسائل الساخنة. وتطلق تهديدات رهيبة. ومن الذي يُزجّ به لتتظيف الفوضى؟ بالطبع... هنري العجوز المسكين! إنهم دوماً أمثال هنري، الخدم الوضيعون في الوسط، هم الذين من نصيبهم الركلات، أليس كذلك؟

ماري: أخونا هنري قادر تماماً على التعامل مع العصاة أمثال ماجوير.

أونيل: «أخونا هنري»؟ لا يوجد أفضل منه، لا يمكن للندن أن يكون لديها خادم أكثر طاعة من أخينا هنري. كما تعرفين وأعرف جيداً... ولكن ما تنساه لندن دائماً، أن أمثال هنري الكادحين في هذا العالم هم صناع الإمبراطورية الحقيقيون. لكن الفكرة التي أريد أن أصل إليها (مخاطباً هاري) أنا لست طائشاً يا هاري أليس كذلك؟ السبب الذي جعلني أذكر المشكلة هو أن ماجوير قد رفع رأسه عالياً وقرر أن يحارب حتى الموت قبل أن تنبس شفتيه الطاهرتين بمقطع إخلاص للملكة غريبة! أعلم... أعلم، أنه أسير نماذج التفكير الغالية القديمة، هذا أمر مألوف جداً... وممل جداً، ولكن ما الذي يفعله عندئذ؟ يأتي إلي، أنا الذي قدمت الإيماءة الرمزية، أنا أونيل «المساوم» في نظره، يأتي

إلي ويتوسل إلي أن أقاتل إلى جانبه! الآن!
انظري إلى العضلة التي يضعني فيها يا
ماري. أنت تفهمين معضلتي، أليس كذلك؟

مــــــــــــــــاري: لا أرغب في سماع شيء عن هذا الأمر يا هيو.
أونــــــــــــــــيل: أحاول أن أحيا بسلام مع زملائي الزعماء،
ومع شعبك، ومع الإنجليز القدماء، ومع دبلن،
ومع لندن، لأنني أعتقد، وأعرف، أن تيار
التاريخ البطيء والأكيد هو معي يا ماري. كل
ما علي أن أفعله هو... أن أجلس فقط...
وأنتظر. ثم ينشأ وضع كهذا فكيف علي أن
أتصرف؟

مــــــــــــــــيبل: حان وقت انصراف ماري.
أونــــــــــــــــيل: هل أبقى مخلصاً لأعز أصدقائي وحلفائي
ماجوير، وللحضارة الغالية، حقيقة، التي
يمثلها هو؟ أم أنفر مع قوات جلالته؟ ولقد
نفرت معهم من قبل يا ماري. ألم تعرفي
هذا؟ آه، أجل، لقد سرت خلف سلالة
التيودور الحاكمة في بضع حملات ضد
المتمردين المحليين. حتى أنني حاربت إلى
جانب أخينا هنري في إحدى المناوشات
الصغيرة... آه، منذ سنوات وسنوات خلت،
حينما كنت أنت وميبل لا تزالان تلعبان
بالدمى. أوه، نعم، ذلك تفصيل يختار

مؤرخونا بحكمتهم أن يتجاهلوه. لأنهم ربما يعتقدون، مثل بيتر لومبارد، أن الفن له أولوية على الدقة. لقد بدأت أتساءل فيما إذا كان علينا أن نثق بالمؤرخين بالمطلق!. على أي حال، لنعد إلى ماجوير... ومعضلتي. إنها حقيقة معادلة متوازنة برهافة. الإدارة القديمة الإدارة الجديدة. صديقي ماجوير الضحوك الساحر الفوضوي أو أخينا هنري. حافز وغريزة وعبقورية متقلبة وارتجال ذكي... أم حساب ونظام جيد وفطرة سليمة، تلك التي هي النفعية الباردة لعقل عصر النهضة، أو لأستعمل صورة محلية ربما تلفت نظرك: الرعي... الزراعة. بيد أنني بالطبع أكتب الآن بنفسى صيغة مبتذلة للتاريخ، أليس كذلك؟ لأن كلانا يعلم أن النزاع ليس بين أنماط قومية كاريكاتيرية، بل بين حضارتين متضادتين تضادا عميقا، أليس كذلك؟ إننا نتحدث بالفعل عن نزاع حياة أو موت، أليس كذلك؟ واحدة منهما ستتجو. أنت لن تختلفي معي في هذا ... أليس كذلك؟

مـيـيـل: تريد ماري أن تغادر يا هيو.

أونـيـل: لا، لا إنها نقطة مهمة، وسأرحب بحكمة ماري الواسعة. سأكون دقيقا جدا. هل أشد

على يد مارشال الملكة؟ مستخدماً أخينا
هنري كرمز للنظام الجديد الذي تمقته كل
غريزة أرسقراطية في جسدي، لكن عقلي
يتفهمه ويحترمه في الواقع على مضض...
لأنني حينما كنت صبياً أمضيت تسع سنوات
في إنجلترا حيث نُشئت على منبع ذلك
النظام الجديد بالذات ... أفكر في كل تلك
السنين التكوينية في منازل لايستر وسدني
الرائعة وفي البلاط ذاته... من هنا اللكنة
العظيمة يا ماري.

مـيـبـل: هيو، أعتقد...

أونـيـل: لا، اسـمـحي لي، أو... أو أشد على يد
متمرد فيرماناج وبذلك أقدم شهادة علنية
وطائشة على طريقة حياة يفهمها دمي
ويحبها في الواقع، قديمة قدم كتاب روث.
هذه هي معضلتي. ساعديني يا ماري. أي
يد أشد عليها؟ لأنني في كلتا الحالين
أصنع عدوا. في كلتا الحالين أتدخل في
ذلك المد البطيء الأكيد للتاريخ. لا. هذا
غير عادل. ينبغي ألا أخرجك. لنضع
المسألة بطريقة أخرى. أي خيار سيقبله
التاريخ؟ أو لنستعمل لغة الأسقف: إذا كان
على المؤرخ في المستقبل أن يختار بين

الخيارين المتوافرين لدي، فأَيُّ منهما
سيفضل لقصته المرجح قبولها؟ أخبريني.

مـاري: أنا لا أعرف شيئاً عن التاريخ يا هيو.

أونـيـل: حسناً؛ إذن أي يد أشدُّ عليها؟

مـاري: جعلتك الملكة إليزابيث إيرلا. وقبلت ذلك
اللقب. وأنت تعلم أن ذلك اللقب يحمل معه
واجبات ومسؤوليات معينة.

أونـيـل: لقد احترمت تلك الواجبات بإخلاص.

مـاري: إذن مادمت بقيت تفعل هذا يا هيو، وإذا كنت
مرتاح الضمير فلا معضلة لديك.

أونـيـل: (إلى هاري) إنها على حق، أتعلم. (إلى ماري)
تلك إجابة حكيمة يا ماري. لديك عقل صغير
منظم جدير بالإعجاب. ذلك هو ما سأفعله.
وآمل أن يكون استحسان التاريخ وهداية
ضميري متفقين (تجمع ماري حاجياتها.
تعانق ميبل)

مـاري: أنا مسرورة لرؤيتك على أحسن حال.

ميـبل: اكتب لي. (تقبل إحداهما الأخرى) شكراً لك
على كل ما جلبته.

مـاري: لن أنسى الناردين. إلى اللقاء يا هاري.

هـاري: رحلة آمنة يا ماري.

(يتصافحان)

مـاري: إلى اللقاء يا هيو.

(هيو يتفحص مغلفات البذور باهتمام
متزايد).

أونـيـل: ماذا؟

هــاري: إلى اللقاء.

أونـيـل: أوه... إلى اللقاء... ذكرى بي أخانا هنري
(تخرج المرأتان، وقفة طويلة).

هــاري: سيصل كل ما قلته مباشرة إلى المارشال.

أونـيـل: عم تتحدث يا هاري؟

هــاري: سيرسل كل ما قلته في تقرير إلى باجينال ثم
إلى لندن.

أونـيـل: ذلك سبب أنني قلت لها ما قلته.

هــاري: تريد أن يُعرف أنك وعدت ماجوير بتقديم
المساعدة له؟

أونـيـل: لا أعتقد أنني أخبرتها بهذا، أليس كذلك؟

(يقرأ) «بذرة الكزبرة. راقبي هذه البذرة
بعناية، وهي تنضج فجأة وسوف تسقط دون
سابق إنذار» تبدو مثل ماجوير، أليس كذلك؟
ماجوير الكزبرة.

هــاري: لأنك إذا نكثت ذلك الوعد فإنه سيسقط
بالتأكيد.

أونـيـل: أي نوع من الأعشاب أنت يا هاري؟ ما رأيك
بالشبت؟ «إن له تأثيرا مريحا ومهدئا» معقول
جدا. وماذا يكون عشب لسان الثور؟ إنه ميال

لاستشارة شجاعة مفرطة، بل وتهور»، إنه
أودونيل، أليس كذلك. أودونيل لسان الثور.

هــاري: أم أنك تقصد بأنك ستتضم إلى الجانب
الإنجليزي ضد ماجوير يا هيو؟
(يجمع أونيل مغلفات البذور معا).

هل ستخون صديقك القديم ماجوير؟
أونـيـل: (يزأر) «أخون صديقي...!» بحق المسيح
لا تبدأ باستعمال مثل هذه اللغة معي يا
هاري! (بهدوء) إن ماجوير مغفل. لقد صمم
على أن ينتفض ولن يستطيع أحد إيقافه،
وسوف يُمزَّق إربا إربا ويسحق أهله وشعبه
ويزرع بلده بالأثرياء الجدد والناس المأمونين.
لقد حدث هذا مع فيتزموريس، وماكديرموت،
ونجنت، وأورايلي، وأوكونر، وأوكيلي. إن
أرواحهم النبيلة لم تستطع أن تتنفس ثانية
أخرى تحت نير «الحكم الاستبدادي». وأين
هم الآن؟ أبيدوا. وماذا أنجزوا؟ لا شيء.
ولكن بسبب نبلهم، فإن البقاء، البقاء اليومي
الأساسي القاسي قد أصبح بالنسبة إلى من
تبقى منا أكثر صعوبة إلى حد بالغ.

هــاري: أنت غير عادل مع ماجوير يا هيو. إنه متهور
لكنه ليس مغفلا.

أونـيـل: أعلم... أعلم... بالطبع أنا أعرف أن ماجوير

ليس مغفلا. ماجوير ليس لديه خيار. عليه أن ينتفض. فالتاريخ والغريزة وعاطفته الصادقة، وتكوين دمه، كلها لا تترك له خيارا. وهكذا فإنه سيتم مصيره. وهو مصير لا هو بالمأساوي ولا بالبطولي، لكن احتضانه الكامل لمصيره فيه عناصر من كليهما باعتقادي. بالطبع أنا أعرف كل هذا، بحق المسيح... (يدخل أودونيل مندفعاً. إنه مقطوع الأنفاس مستثار).

أودونيل: أخبار يا أولاد! أخبار! أخبار! أخبار! انتظر حتى تسمع الأخبار يا هيو! أخبار كبيرة... أخبار ضخمة، أخبار هائلة! أنا آسف لدخولي عليكم باندفاع هكذا يا هاري. بيتر لومبارد معي. منذ الفجر ونحن على صهوة جيادنا. يا إلهي، إنني ظامئٌ جداً - أعطنا جرعة من تلك الخمرة يا هاري. هذه هي، أيها الولد هيو! إنني أخبرك... تم الأمر!

أونيل: أي أمر؟

أودونيل: لا تسألني. لا أستطيع إطلاعك. انتظر بيتر... لا أستطيع أن أفسد عليه المسألة. لكنني سأقول هذا القدر يا هيو أونيل: لم أفكر مطلقاً أنني سأحيا لأرى اليوم! (يقبل كأساً) أنت رجل محترم يا هاري. يشرب

نخب المستقبل... مستقبل عظيم، عظيم...
 نخبنا نحن الثلاثة - (يدخل لومبارد)...
 نخبنا نحن الأربعة! (متحدثا مع لومبارد) لم
 أفتح فمي، أليس كذلك؟
 (لومبارد متحمس بالقدر نفسه ولكنه
 متماسك. يصافح أونيل ثم هاري)
 لومبارد: أنا سعيد لرؤيتك يا هيو.
 أونيل: مرحبا يا بيتر.
 لومبارد: هاري. (متحدثا إلى أونيل)، كنت سأبعث
 رسولا لكنني اعتقدت أن المسألة بالغة
 الأهمية.
 أودونيل: اقذفها يا بيتر!
 لومبارد: إنها أخبار مذهلة حقا يا هيو.
 أونيل: من إسبانيا، أليس كذلك؟
 أودونيل: يا لك من ساحر عريق. إنني لم أتفوه بكلمة
 واحدة.
 لومبارد: إنها إسبانيا يا هيو. بعد كل هذه السنوات.
 الحمد لله ألف مرة. إنها حقا إسبانيا.
 أودونيل: أيمكنك تصديقها؟
 لومبارد: سنوات من التوسل والتملق، والجدل...
 سنوات من الأمل... سنوات من اليأس.
 أودونيل: سنوات من الصلاة يا بيتر.
 لومبارد: سنوات من الصلوات حقا. لكنه حافظ على

وعوده يا هيو. دون فرانشييسكو جوميز
دوساندوفالي روخاس، الماركيز الخامس
لدينيا، دوق ليرما، صديقي، صديق أيرلندا،
لقد حافظ على وعده.

أودونيل: ليرما تحدد سياستهم الخارجية.

(يبتعد أونيل ويقف وحده على طرف المسرح)

هارى: ليست هذه هي المرة الأولى التي بذلت فيها
ليرما وعودا.

لومبارد: لقد صدر القرار عن مجلس الدولة في يوم
الخميس من الأسبوع الماضي. ووقعه الملك
فيليب نفسه في الصباح التالي. هذا ليس
وعدا. هذا أمر مؤكد، وثابت، ومهم.

أودونيل: رائع!

لومبارد: إنهم في هذه اللحظة يجمعون جيشا
ويحشدون أسطولا.

أودونيل: هل ترى أولئك الجنود الإسبان الصغار في
الحقل يا هاري؟ صيادو قوارض متوحشون!
يا إلهي، إنهم على استعداد للدخول في جحر
أرنب للإمساك بك!

هارى: ما مدى ثبات الأمر؟ وما مدى أهميته؟

لومبارد: على الأقل خمس وثلاثون سفينة، سفن
شراعية ضخمة، بمحاربين وبعض المراكب
ذوات حمولة ١٠٠ طن.

هــاري: أين سترو؟

لومـبارد: لا أدري. تلك مسألة عسكرية.

هــاري: لكنها نقطة حاسمة. ينبغي أن يكون المكان في نقطة ما على طول الشاطئ الشمالي.

لومـبارد: أعتقد أنني سمعت بعض الحديث عن كينسيل.

أودونـيل: أينما كان موقعها، فأنا لم أسمع بها أبداً.

هــاري: كينسيل ليست موضع نقاش. علينا أن نسير بالجيش على طول البلاد حتى نتمكن من الانضمام إليهم. (إلى أونيل) لا يمكن أن تكون كينسيل يا هيو.

لومـبارد: إذن قولوا لهم إنها لا يمكن أن تكون كينسيل.

هــاري: من القائد العام؟

لومـبارد: دون خوان ديل أجويلا.

أودونـيل: بغض النظر عمن هو. دون هيو ديل باليشانون يرغب بمزيد من الخمرة يا أولاد! هــاري: أخبرني عن أجويلا.

لومـبارد: إنه من باراكوا في مقاطعة آفيللا. إنه ليس ذكياً، لكنه مؤهل جداً وذو خبرة عالية.

هــاري: كم عدد الرجال؟

لومـبارد: على الأقل ستة آلاف.

هــاري: هذا العدد غير كاف.

لومـبارد: سيكونون مدربين تدريباً تاماً وبكامل عتادهم،

والأمر متروك لنا لكي نصل نحن إلى ذلك
الرقم (إلى أونيل) عليكما أنت وهيو هنا أن
تسافرا في عرض البلاد وطولها وتجبرا كل
قائد غالي للاستعداد.

هـاري: من أين يحشدون رجالهم؟

لومبارد: معظمهم من الإسبان، بيد أنهم يأملون أن
يجندوا بضع فرق من الإيطاليين.

أودونيل: هل ترى أولئك الإيطاليين؟ متوحشون
ودمويون. والمرة الوحيدة التي يبتسمون فيها
على الإطلاق هي حينما يغمدون سيفاً فيك!
يا إلهي يا هيو، إننا سوف نحصد الإنجليز
بأسرع مما يفعله الوباء (تدخل ميبل. يعانقها
أودونيل بحرارة).

إننا ناهضون يا عزيزتي ميبل، إننا ناهضون،
والإسبان إلى جانبنا! (تنظر إلى أونيل).

لومبارد: سامحينا يا ميبل، إننا مبتهجون قليلاً.

ميبل: هل الإسبان قادمون؟

أودونيل: تشجعي، أيتها الوردة القاتمة!

لومبارد: الإسبان قادمون. بعد طول انتظار، وهناك
المزيد يا هيو (أونيل) لا يزال هناك المزيد.

أودونيل: أفصح عن ذلك يا أسقف لومبارد.

لومبارد: هناك صك بابوي بالغفران من قداسة البابا
كليمنت الثامن.

أودونيل: هدوء! هدوء! دعوا الكلب يرى الأرنب!
لومبارد: (يقرأ) «إلى رؤساء الأساقفة، والأساقفة،
والمطارنة، والزعماء، والإيرلات والبارونات
وشعب أيرلندا. لقد ناضلتم طويلا، مستمدين
الشجاعة من نصائح أسلافنا ومنا، لاسترداد
حريتكم والحفاظ عليها، ونبذ نير العبودية الذي
فرضه عليكم الإنجليز المنشقون عن الكنيسة
الرومانية المقدسة. الآن، إليكم جميعا، يا من
تتبعون ابننا الحبيب هيو أونيل وتساعدونه،
وتتبعون وتساعدون الجيش الكاثوليكي، إذا ما
أعلنتم التوبة الحقّة واعترفتكم، وتلقيتكم، إن أمكن،
العشاء الرباني، فإننا نمنحكم عفوا مطلقا،
ومغفرة لجميع الذنوب، كما يعطى هذا في
العادة لأولئك الذين يخرجون للحرب ضد
الأتراك من أجل استعادة الأراضي المقدسة.
روما. السنة التاسعة من عهدنا البابوي».

أودونيل: يا إلهي، إنها كلمة عظيمة تلك «البابا».
لومبارد: مما يعني يا هيو أنك الآن لا تخوض مجرد
حرب - إنك تخوض حربا صليبية مقدسة.

أودونيل: اللعنة، أنك على حق تماما، يا بيترا!
لومبارد: مما يعني أيضا أننا لم نعد تجمعنا عرضيا
من القبائل، بل دولة قومية موحدة تحت
الألوان البابوية.

أودونيل: هل هذه أخبار مهمة لك يا رجل - ها؟

(الجميع ينظرون إلى أونيل. صمت. يمشي

ببطء عبر الغرفة)

مرحبا! هيو!

(صمت)

(إلى الآخرين) ما خطب هذا التافه؟ (إلى

أونيل) أونيل! سير هيو! تايرون! هل سمعت

ما قاله الرجل للتو؟

أونيل: نعم، نعم، سمعت.

أودونيل: «نعم، سمعت»! ما مشكلة هذا التافه بحق

الجحيم؟

(صمت، ثم حينما يتحدث أونيل أخيرا، فإنه

يتحدث بصوت خافت جدا، كما لو أنه كان

يتحدث مع نفسه تقريبا).

أونيل: إنني أتذكر السير هنري سدني والليدي ماري

يرحمهما الله. قضينا فصول الشتاء في قلعة

لدلو العظيمة في شرويشاير. ولدي بعض

الذكريات القليلة عن فصول الشتاء. أما ما

أتذكره فهو فصول الصيف والخريف في

كينت في مقر الأسرة في بينشيرست.

البساتين وحديقة الأطباء. وحقول القمح

والشعير الشاسعة تلك. أرض ذهبية معطاءة.

تلك أيام لم تشبها شائبة. ذكريات كل شاب.

وبعد العشاء من كل مساء كان السير هنري
يقترح موضوعا للنقاش: كالسفر، والمسكنات
والآلام، والحدائق، والصدقة والإخلاص،
والأخلاق الحسنة، وزراعة البلدان الأجنبية.
وكان على كل من يجلس حول الطاولة
المستديرة أن يدلي بدلوه ... الأسرة،
والضيوف، حتى أنا ذاتي، وحتى ولده فيليب
الذي كان يصغرنى سنا. كان السير هنري
يثير الأفكار ويوجه المحادثة بصورة عفوية
تقريبا ولكن بمهارة بالغة بحيث ما إن ننهض
عن الطاولة حتى يكون قد صاغ الخطاب في
مقالة رسمية وافية مهما كان موضوعها. كنت
حينها ولدا غضا، لكنني كنت أدرك أن أفكارا
ومفاهيم جديدة لم تكن تبحث وتصاغ
فحسب، لكنني أنا الذي كنت أستكشف
وأصاغ في الوقت ذاته. وكانت تلك المعرفة
محل ثناء ومديح. أذكر أن دريك كان موجودا
ذات مرة، وفوربشير وضباطه ليلة رحلتهم
البحرية الأولى إلى جنوب أمريكا. رجال
أفضاظ، ورجال فارغون. لكن كياسة السير
هنري ولباقته كانت تحول كل تلك الوحشية
الصريحة والجشع الإمبراطوري إلى إثارة
صبيانية، ومغامرة رجولية. كان الأب الوحيد

الذي عرفته. كنت أكثر قربا إليه وإلى الليدي ماري مما كنت إلى أوهاغن الذي رباني. لقد أحببت كليهما حبا جما.

على أي حال، جاء الوقت لأعود إلى بلدي. كنت حينها في السابعة عشرة من عمري. وأقامت الليدي ماري حفل عشاء هائلا لي ليلة مغادرتي، حضرها مائة مدعو. وحينما انتهى الجميع من تناول الطعام نهض السير هنري واقفا - كنت أعلم أنه كان مخمورا، وربما أكثر مما عرفت... وقال: بحثا الليلة سيستكشف مسألة ذات أهمية لإنجلترا ويحمل أهمية خاصة للسيد أونيل الذي سيغادر إلى بلده غدا ليصبح قائدا لشعبه.

والمسألة هي التالية، وأنا أقتبس من رسالة وصلتني توا من صديقي أندرو ترولوب. «أولئك الأيرلنديون الذين يعيشون كرعايا يلعبون مثل الثعلب الذي إذا ما قيدته بسلسلة بدا هادئا مروضاً، بيد أنه إذا ما أفلت، فإنه يصبح متوحشا مرة ثانية» وهكذا، ما رأيك بهذا أيها الثعلب أونيل.

ثم ضحك، فانضم الجميع إليه يضحكون. وبعدها كان مائة شخص يضحكون علي... غادرت في الصباح التالي قبل أن يستيقظ

أهل البيت. ومنذ ذلك الوقت حتى هذه اللحظة، تلك الإهانة الصغيرة السخيفة، تلك الإهانة الوحيدة في سنوات من الاحترام والكرم قد نبضت بعناد في زاوية من قلبي. إلى الآن. أما الآن، ومن دون سبب فإن ذلك النبض هادئ، وكل محبتي للسير هنري تعود دون قيد. (وقفة) ولكن كل هذا لا يهم أحداً غيري.

أودونيل: صحيح لا يهم أحداً. النبض اللعين؟ - عمّ يثرثر؟

(يصفق أونيل يديه، طاردا القصة برمتها. هو الآن بصورة مفاجئة نشيط ورشيق جداً).

أونيل: في الوقت الحاضر (إلى لومبارد) أنت على حق. سأسافر أنا وهو في عرض البلاد وطولها لنجمع الدعم. وسوف ننطلق يوم الاثنين القادم (إلى أودونيل) لا تذلل نحن ذاهبون ومعنا السلطة والتصميم.

أودونيل: بالتأكيد سنفعل!

أونيل: (إلى هاري) ابعث رسالة اليوم إلى ليرما. كينسيل لا تصلح. فإذا أصروا على النزول في الجنوب، في أي مكان في الجنوب - أخبرهم أن يلغوا الحملة (إلى لومبارد) ما هو العتاد الذي سيحملونه؟

لومبارد: ست قطع بطاريات مدفعية وستمائة وزنة
من البارود.

أونيل: (إلى هاري) سنحتاج إلى خمسمائة بندقية
صغيرة على الأقل. أخبر ليرما أننا خبراء
بحرب العصابات، لكن تعوزنا الخبرة
بالمعركة النظامية.

لومبارد: وتأكد أن أوفيديو رئيس الأساقفة يحصل
على نسخة منها. إن له تأثيرا كبيرا.
هاري: تمام.

لومبارد: (إلى أونيل) لقد أصدر البابا أمرا له بالإبحار
في سفينة سان أندريا، بارجة الأميرال.

أودونيل: بارجة الأميرال! (تحيا) يا إلهي، تلك الكلمة
«بارجة الأميرال» كالموسيقى بالنسبة إلي!

أونيل: هل سيجلبون معهم سروجهم الخاصة؟
لومبارد: أجل، لكنهم يتوقعون أن تزودهم بالجياد.
أونيل: (إلى هاري) ضريبة قدرها خمسة جياد على
كل أسرة، ودقيق الشوفان، وزبدة.

(إلى لومبارد) صك غفران لا يكفي. ينبغي
على كل من يعارضنا أن يشهر به على رؤوس
الأشهاد. إنني أحتاج إلى صك عزل وحرمان.

لومبارد: لن تحصل على هذا يا هيو.

أونيل: حصلنا على واحد قبل ذلك.

لومبارد: قبل عشرين عاما.

أونـيـل: أريد صك عزل وحرمان يا بيتر.
تومـبـارد: لقد حاولت. سأحاول ثانية. أوفيديو هو أملنا الوحيد.

أونـيـل: (إلى هاري) ابعث رسائل إلى جميع قادة أولستر: ادعهم للاجتماع هنا بعد غد ظهرا.
هــاري: ظهرا.

أونـيـل: أرسل برايان أوهاجان إلى إيرل أرجايل من أجل الجنود المرتزقة.

هــاري: كم العدد؟

أونـيـل: أي عدد يمكنه الحصول عليه. وادفع مقدما.

هــاري: كم سيحتاج من المال؟

أونـيـل: مهما طلب أرجايل (مخاطبا أودونيل) أنت الخبير في الجياد.

أودونـيـل: أنت على حق تماما.

أونـيـل: (إلى هاري) خذ معك إلى المروج العليا وأطلعه على القطيع الجديد.

(مخاطبا أودونيل) انتق فقط الجياد القوية بما فيه الكفاية لحملة طويلة.

أودونـيـل: كم عدد الجياد هناك؟

أونـيـل: ما يربو على ثلاثة آلاف.

أودونـيـل: سألقي نظرة.

(يذهب هاري وأودونيل إلى الباب. يقف أودونيل هناك).

نسيت بسبب كل الإثارة أن أخبرك حول
الإشاعة المنتشرة في أنحاء دبلن ومفادها أن
رئيس البرلمان على وشك أن يصرح
بأنك خائن.

أونـيـل: لن يكون هذا مؤذيا ألبتة. حسن. ممتاز.
أودونـيـل: وهل تعلم ما هي المكافأة التي يعرضونها لقاء
رأسك؟ هيا أحزر أحزر.

أونـيـل: حسنا، أخبرني.
أودونـيـل: ألفا جنيه حيا، وألفا ميتا. وهو المبلغ نفسه
الذي عرضوه قبل خمس سنوات من أجل
أودوهيرتي الحقيقى!

(يصدر صوت استهجان عاليا ويخرج)
أونـيـل: (مخاطبا لومبارد) إن شبكتك من القساوسة
يمكن أن تفيدها. كم عدد الذين أنت على
صلة بهم؟

لومـبـارد: عشرون، خمسة وعشرون.
أونـيـل: كل أسبوع؟ كل شهر؟
لومـبـارد: المسألة متنوعة. لقد وضعوا ثمننا لرؤوسهم،
أيضا.

أونـيـل: اتصل بهم بأسرع ما تستطيع، وأخبرهم
بأنني سأحتاج إليهم ليكونوا رسلا في كل
أنحاء أوروبا.

لومـبـارد: سأفعل ما بوسعي.

(يمضي لومبارد إلى الباب)

أونـيـل: واطلب من أوفيدو العمل للحصول على صك العزل والحرمان.

لومـبـارد: لا يقدر أفيديو على طلبه يا هيو. إن القرار بهذا الشأن يرجع إلى البابا. الحرمان مسألة روحية.

أونـيـل: لا تقم بهذه الألعاب معي يا بيترو. إن الوضع «روحاني» الآن كما كان روحانياً قبل عشرين سنة. إنني أحتاج إلى صك الحرمان لتحقيق التضامن هنا، لتحقيق التضامن مع أوروبا. وأتوقع منك أن تحصل عليه.

لومـبـارد: كما قلت لك، لقد حاولت، وسوف أحاول ثانية. (يفادر. يذهب أونيل إلى الطاولة ويشغل نفسه بالأوراق. صمت. تراقبه ميبل لبرهة، ثم تذهب إليه).

مـيـبـل: أوقفها يا هيو.

أونـيـل: أوقف ماذا؟

مـيـبـل: هذه المسألة الإسبانية. لا تدعها تحدث.

أونـيـل: لماذا علي أن أفعل ذلك؟

مـيـبـل: لأنك تعلم أن هذا ما لا تريده أن يحدث حقاً.

أونـيـل: لقد أمضيت عشرين سنة أحاول أن أحقق

هذا، أليس كذلك؟

مـيـبـل: هذه ليست طريقتك.

أونـيـل: ولكنك تعرفين ما هي طريقي.

مـيـبل: الحساب، والتروي، والحذر. تسير خطوة إلى الأمام وتتسحب. تهجم وتراجع. وتتحدى، وتخضع. لقد فكرت في كل تحرك مهم اتخذته حتى الآن عدة شهور.

أونـيـل: إنني كذلك.

مـيـبل: وهذا ما يجعلك أقوى رجل في أيرلندا. إنك الزعيم الأيرلندي الوحيد الذي يفهم النهج السياسي. أودونيل ليس كذلك، ولا ماجوير، ولا مكماهون. ذلك سبب أن الملكة غير متأكدة أبدا كيف تتعامل معك، أنت أطروحة نقيضة لما تتوقعه من زعيم غالي. وهنا مكن قوتك. وهذا هو الذي يفسر الآن لماذا شعورك الغريزي يجعلك لا تقامر بكل شيء في ضربة كبيرة هي أكثر من مخاطرة.

أونـيـل: هذه المرة إسبانيا معنا.

مـيـبل: إسبانيا تستغلك.

أونـيـل: إننا نستغل بعضنا البعض. لقد تبادلنا الغزل طيلة سنوات.

مـيـبل: وهذا ما منحك قوة تفاوضية صغيرة مع إنجلترا. بيد أن المناورات انتهت الآن. وأعدك يا هيو أن إنجلترا سوف تلقي بكل ثقلها في هذه الحرب.

أونـيـل: وهكذا ستفعل إسبانيا.

ميبيل: كلا، لن تفعل. إنها ليست حرب إسبانيا. إنها حريك أنت. وأنت تواجه دولة قومية موحدة ومصممة وقوية وتقودها امرأة شجاعة جدا.

أونيل: هل فيما تقولين صدى من الشعور بالفخر؟

ميبيل: لا تقل هذا يا هيو رجاء.

أونيل: ألا يوجد لنا أدنى اعتبار؟ نحن لا نعوزنا العزيمة. ولسنا متفرقين.

ميبيل: فقط انظر بهدوء وروية على ما أنتم عليه.

أونيل: إنني أعرف تماما ما نحن عليه.

ميبيل: أنتم لستم موحدين. ليس لكم قائد واحد. وليس لديكم تصميم مشترك. في أفضل الأحوال أنتم تشكلون حلفا مرتجلا من رجال قبائل متنازعين.

أونيل: راقبي ألفاظك!

ميبيل: متمسكون بالدين كمادة مخثرة فقط لأنهم لا يملكون فكرة أخرى تعلمهم أو تمنحهم تماسكا.

(وقفة قصيرة)

أونيل: هل هذا ملخص معقول لكل التاريخ والحضارة الغالية يا ميبيل؟ أم أنه ليس أكثر

من حكمة ثري جديد سريعة وخيرة؟

(يشعر أونيل بالأسف فورا فيمسكها ويضمها

بين ذراعيه)

أنا آسف يا ميبل. سامحيني. أنا آسف جدا.
إنني منفعّل قليلاً. (يقبل قمة رأسها) أنت
محقة طبعاً. ليس لدينا تماسك حقيقي. وأنا
قلق طبعاً حتى أن حماس أودونيل يقلقني:
فالأمر بالنسبة إليه مغامرة ضخمة... هجوم
على قطيع على صعيد دولي.
(تبتعد ميبل).

وأنا أبداً لا أعرف تماماً ما يفكر فيه رئيس
الأساقفة.

ميبل: إنه يتحدث عن اتحاد كاثوليكي، جيش
كاثوليكي. وعن قيادتك لأوروبا في حركة
إصلاح كاثوليكي مضاد رائجة. ولكنني أشعر
دوماً أنه حينما يتحدث عنك وعن أيرلندا
إنما يتحدث الحقيقة بصورة رمزية عن روما
والسلطة الرومانية. هل هذا ظلم له؟
أونيل: لا أعرف.

ميبل: تماماً كما أن مصلحة إسبانيا الوحيدة هي
إسبانيا والسلطة الإسبانية. غير أن
اهتمامي الوحيد الحقيقي هو أنت يا هيو.
فالأمر لن يكون مجرد مناوشة أخرى على
طرف غابة. إنها حرب على إنجلترا أن
تكسبها، لأن بقاءها ذاته على المحك. وكل ما
أنا واثقة منه حينما تنتهي الحرب مهما

كانت نتیجتها هو أن الأساقفة أمثال لومبارد وأفیدو لن یكونوا هنا، سیکونون قد انتقلوا إلى مناطق واعدة أكثر (وقفة قصيرة) كان علیّ ألا أتکلم (وقفة قصيرة) لم أکن أقصد أن أتطفل (وقفة قصيرة)، أنا واثقة أنني لا أفهم حقاً المسألة برمتها.

أونیـل: المسألة برمتها.

میـبل: وهذا هو المهم في نهاية الأمر، أليس كذلك؟
أونیـل: المسألة برمتها. إننا لم نبدأ بعد بمعرفة ما تعنيه.

(صمت. تلملم میبل قطع مخرماتها وتوجه إلى الباب)

میـبل: أخبرتني ماري شيئا، قالت إن نائب رئيس وزراء جديد على وشك أن يجري تعيينه، شخص يدعى اللورد ماونتجوي. يقول هنري إنه موسوس شديد التدقيق، ومحارب عنيد لا يرحم. بلاونت - هذا هو اسمه الحقيقي تشارلز بلاونت، تشارلز بلاونت. ذلك كل ما تعرفه عنه. آه صحيح... إنه يدخن كثيرا. كل هذا سري للغاية. وقد جعلتني ماري أقسم على ألا أخبرك.

(میبل على وشك أن تخرج حينما توقفها لعاطفة في صوت أونیل المنضبطة).

أونيل: لقد أمضيت حياتي أحاول فعل شيئين. لقد حاولت أن أوجد شعبا مستباحا وقلقا من خلال محاولة ربطه بالحياة، التي كان يعرفها قبل أن يُستباح. لم تكن حياة رفاهية مادية، لكن كان لها طمأنينتها، وكان لها كرامتها. ولقد أنجزت ذلك من خلال اعترافي واحترامي حقا بالشعائر والاحتفالات والمعتقدات التي مارسها هؤلاء الناس منذ ما قبل التاريخ، وقبل أن يسمع بإله المسيحية بفترة طويلة. ولقد حاولت في الوقت ذاته أن أقدم هؤلاء الناس إلى الطرق الجديدة الغربية لأوروبا، أن أعرض عليهم بسهولة التقييم الجديد للأشياء، أن أدفعهم نحو التقديرات والمعتقدات المتغيرة. هاتان مهمتان يندر اتباعهما في الوقت ذاته. هدفان يلغيان أحدهما الآخر. لكن كان لا بد من تجريبهما، ذلك لأن تشكل الأمم والحضارات عملا إراديا، وليس نتاجا للقدر أو المصادفة. أما أن تقترحي أنت أن الدين هو المختر الوحيد الذي يجمع بيننا فمعناه أن تغضي الطرف بفضاظة وجهل عن حضارة عريقة القدم. أنت محقة في جزئية واحدة، وهي أنه ليس من طبيعتي أن أقامر بكل شيء في ضربة واحدة كبيرة.

مـيـبـل: إذن فلتخض حريك.

أونـيـل: لكنني إذا لم أتحرك الآن، فإن هذه الحضارة سيكون مقضيا عليها.

مـيـبـل: لذلك اذهب وحارب. فهذا ما أمضيت عمرك وأنت تفعله. هذا ما تحسن فعله على أتم وجه. الحرب من أجل الحفاظ على مجتمع محارب. أنا لم أعد أهتم أبدا.

أونـيـل: لأنك لست متأكدة في جانب من أنت.

مـيـبـل: لماذا تتبذني دائما يا هيو؟

أونـيـل: إنني أستطيع أن أرى أن قلبك لن ينفطر لرؤية النظام الغالي يُقضى عليه. لكن لننظر ما هو البديل، مدونة القرصنة المبتذلة والمادية للمستعمرين الجدد.

مـيـبـل: (مغادرة) المَعذرة.

أونـيـل: لقد قيل لنا إن «التمدن» الجديد صادق عليه الله ذاته. أليس هذا مخثركم... الله؟ كلا، بل الأفضل، الله والتجارة. والآن ها هنا توليف. (تستدير ميبل مكانها وتحقق فيه بكراهية. يتجاهلها ويتظاهر بانشغاله بها على الطاولة).

مـيـبـل: أريد خروج خلياتك من هذا المنزل حالا.

أونـيـل: (بلهجة أهل تايرون) آو، هنا أنا آسف يا سيدتي.

مـيـبـل: ماذا تعني آسف؟

أونـيـل: أن خليلاتي سيبقين.

مـيـبل: لن أعيش في المنزل ذاته مثل أولئك... أولئك

المتسكعات! أخرج أولئك المتسكعات من هنا!

أونـيـل: لا.

مـيـبل: إذن أذهب أنا.

أونـيـل: هذا اختيارك أنت.

(وقفة قصيرة. تحاول ألا تبكي)

مـيـبل: أنا حامل يا هيو.

(يذهب أونيل إلى المخرج)

أونـيـل: (ينادي) هاري! هل لديك لحظة؟

مـيـبل: هل سمعت ما قلتها؟

(يعود إلى الطاولة).

أونـيـل: قلت إنك حامل؟ نعم سمعت. وهكذا إذا سارت

الأمر على ما يرام... أليس هذا هو التعبير؟

إذا سارت الأمور على ما يرام فسيكون لدي

عشرة أولاد شرعيين أنجبتهم، وحوالي... كم؟

ربما ثلاثون طفلاً غير شرعي.

مـيـبل: أوه، هيو...

أونـيـل: أو هكذا يتفاخر قومي. وهي صفة محببة

تغزوها كل أمة إلى أبطالها.

(مرة ثانية يشعر بالندم فوراً. وعندما تركض

نحو الباب يركض خلفها).

ميبل! ميبل! أنا...

(يندفع أودونيل داخلا).

أودونيل: ثمة رسول من إسبانيا ينتظر في الخارج يا
هيو! (مخاطبا ميبل) إن المسألة تتحسن كل
دقيقة! (مخاطبا أونيل) الأسطول الإسباني
سيبحر في الثالث من سبتمبر (أيلول)!
(مخاطبا ميبل) ربما تتحدثين الإسبانية؟
ينبغي أن تسمعي ما يقول ذلك الرجل في
الخارج: «أسطول كباير... سفن كباير»!

أونيل: من أين سيبحرون؟

أودونيل: من لشبونة مع أول مد.

أونيل: وأين يهبطون على اليابسة؟

(يدخل هاري)

هاري: هل ناديتني؟

أونيل: أين يهبطون على اليابسة؟

أودونيل: كين سال.

أونيل: أين... أين؟

أودونيل: «كين - سال» أعتقد كينسيل.

أونيل: آه، يا إلهي، لا.

أودونيل: بغض النظر عن مكان كينسيل. هذه هي

المسألة يا عزيزتي ميبل! هذه هي! يا.. هيا!

(تعتيم سريع)

الفصل الثاني

بعد موقعة كينسيل

المشهد الأول (جبال سبيرنز)

بعد حوالي ثمانية عشر شهرا. على طرف
الأجمة في مكان ما بالقرب من جبال سبيرنز.
أونيل جاثيا على ركبتيه. وهو يستعمل صندوقا
خشبيا كطاولة، ويكتب، ويحذف، ويكتب
بسرعة بتركيز كامل بصورة عصبية تقريبا.
صفحات متنوعة متفرقة على الأرض بالقرب
منه. يبدو متعبا وقلقا ومرهقا. وتركيزه شديد
جدا في كتابته بحيث لا يشعر بدخول أودونيل.
ثم حينما يعي دخوله يبحث بحكم العادة عن
الخنجر على جانبه. أودونيل أيضا يبدو متعبا
وقلقا. كما أنه ملطخ بالطين وجزمته يغطيها
التراب والأعشاب.

أودونيل: هذا أنا وحسب. أعتقد أنك ظننت أن أمرا ما
قد وقع لي.

أونيل: تأخرت أكثر مما كنت تعتقد.

أودونيل: كان عليّ أن أقوم بانعطافات في الذهاب
والمجيء... الريف يغص بالجنود، وثم هناك
أشياء كثيرة عليّ الاهتمام بها في البلد...
نزاعات... وثائق... كالعادة. أنظر إلى قدمي.
جبال سبيرنز هذه ليست جبالا، إنها

مستتعات لعينة! اعتقد أنك لا تملك حذاء
احتياطيا؟

أونـيـل: ما تراه هو كل ما أملك.
أودونـيـل: كنت أخشى أنه ربما كان عليك الانتقال إلى
مكان جديد.

أونـيـل: الحالة هادئة جدا هنا.
أودونـيـل: يا إلهي أنا مرهق جدا.
(يرمي بنفسه على الأرض ويتمدد متعبا)
وعيناه مفلقتان. يتابع أونيل الكتابة. صمت)
أونـيـل: هل لديك أي طعام.

(يفتح أودونيل حقيبتة الجلدية ويخرج كعكة
خبز. يذهب أونيل إليه، فيأخذ الخبز ويأكله
بنهم الجائع).

أودونـيـل: صنعت لي أمي نصف دزينة من هذا الخبز،
لكنني قابلت أسرة تتسول على جانب الطريق
قرب رافو. حيثما ذهبت تجد أناسا يبحثون
عن الطعام في الحقول، يقتلعون شيئا من
الجزور، ويأكلون حفنات من بقلة الماء. إنهم
يبدون كالهياكل العظمية. أين ميل؟

أونـيـل: أخذها هاري إلى أقارب، رودهير دال أوكاين
بالقرب من دنجن. لم تعد تقوى على التنقل.
أودونـيـل: الأمر طبيعي، أيضا. متى موعد الوضع؟
أونـيـل: ربما الأسبوع القادم.

أودونـيـل: لقد كانت رائعة يا هيو. لم تصدر عنها أي
شكوى طيلة تلك الشهور، ونحن نتقل من
مكان إلى آخر مثل المتشردين.

أونـيـل: أعلم.

أودونـيـل: الأسبوع القادم، عظيم. على الأقل سيكون
ذلك شيئاً يحتفى به. أنا ظامئٌ جداً هل
لديك ماء؟

(يناولُه أونيل زجاجة).

أونـيـل: حسناً... ماذا وراءك؟

أودونـيـل: إنني أكره مياه تايرون البنية القديمة هذه...
مع كل احترامي. كيف تشربونها؟

أونـيـل: ماذا تنهى إليك من أخبار؟

أودونـيـل: لم أصل أبداً إلى باليشانون. كان جنود دوكر
ينتظرونني هناك. لم أصل إلا إلى مدينة
دونيغال. قالت لي أُمي أن أخبرك بأنها كانت
تسأل عنك.

أونـيـل: وأيضا.

أودونـيـل: حسناً، تقول إنه انهيار كامل. المناطق الريفية
في فوضى كما تقول: ذبح، ومجاعة، ومرض.
لا بد أن هناك ثمانية آلاف إنسان تجمعوا في
مدينة دونيغال بحثاً عن الطعام.

أونـيـل: أين ماونتجوي؟

أودونـيـل: ماونتجوي على صهوة جواده يجوب البلاد

طولا وعرضا يقطع رأس كل شيء يتحرك
أقل حركة. وكل أسبوع يستسلم شخص
جديد، أما أولئك الصامدون فإنه يجري
التقاطهم الواحد تلو الآخر. لكن هل تعلم ما
سمعت؟ يا إلهي، انتظر حتى تسمع هذا يا
هيو. لقد خدعنا في كينسيل. علموا أننا كنا
سنهاجمهم في ذلك الصباح، كانوا جالسين
في انتظارنا. وهل تعلم كيف عرفوا؟ برايان
هوج مكماهون سرّب إليهم النبأ! أخبرهم
بالوقت، والمكان، وعدد الرجال، وكل شيء.
وهل تعلم كيف اشتروهم؟ بزجاجة ويسكي! يا
إلهي، ألن ينفطر قلبك لذلك؟ هذا ما يقولونه
كلهم في البلد. ولو كان هناك عشرة ملايين
جندي إسباني، فلن نربح مع ذلك لأن أحد
قاداتنا وشى بنا بصورة لعينة.

أونـيـل: هراء.

أودونـيـل: ماذا تعني... هراء؟

أونـيـل: كلها أكاذيب

أودونـيـل: ألا تصدقني؟

أونـيـل: أنت ذاتك لا تصدقها.

أودونـيـل: إن ذلك ما يقوله الجميع في بلدنا... لا

أدري... ربما... لكن تتفق معي أن أولئك من

أسرة مكماهون كانوا دوما حقراء متقلبين.

أونـيـل: ما حجم الانهيار؟

أودونـيـل: إنه شامل. انتهى الأمر يا هيو.

أونـيـل: من الذي استسلم؟ اعطني أسماء.

أودونـيـل: تقول أمني إنهم يستسلمون زاحفين على

أيديهم وركبهم ويقدمون رهائن ونقودا وأشياء

أخرى. من الأسهل أن نعد الحفنة التي

لا تزال تقاوم.

أونـيـل: أعطني أسماء.

أودونـيـل: أسماء.. أين تبدأ؟... حسنا، أسماء... يا

إلهي، إنني أكره ذكرها. تيرلو ماك هنري من

فيوز. الأخوان أنترم أونيل. أومالي من مايو،

وأوفلا هيرتي من أنالي. وماغواير من

فيرماناغ.

أونـيـل: كوشوناشت؟

أودونـيـل: يا إلهي، لا! الصفيـر كونور رو هو الذي

يستسلم. وحق الله يا رجل، إن كوشوناشت

العجوز لا يزال يراوغ حول منطقة ليسناسكيا

مع خمسة عشر رجلا منتقين، ويضرب كلما

سنحت له الفرصة! كل أعضاء أسرة

ماكديفيتس من بالبيغ، من كل فرع من فروع

الأسرة، أعضاء أسرة ماكسويني من فاناد. ألا

يجعلك ذلك تشعر بالاشمئزاز؟ أعضاء أسرة

ماكسويني الملعونين الذين قدمت لهم أسرتنا

الحماية على مدى أجيال، ثم حينما يخونك
الحظ (بيتهج فجأة) ولكن هل تعلم من هو
صامد؟ لن تحزر أبداً ولا يزال ذات الدودة
الصغيرة كما كان دوماً، ولكنه على الأقل لم
يستسلم بعد. لص الأغنام!... القذر
أودوهيرتي من إينيشوين! يا إلهي، ألم يكن
حسناً أننا لم نمرر له ذلك الشراب من بوردو
تلك المرة؟

أونـيـل: تابع.

أودونـيـل: أوكيلي من كيلكونيل. شجاع ما فيه الكفاية،
صمد إلى يوم الأحد الماضي، ثم هل تعلم ما
فعل؟ العجوز الأحق، يا إلهي، المتفاخر دوماً.
كانت لديه لمة (شعر مستعار) شقراء كانت قد
جلبتها عمة عجوز من باريس. على أي حال
ألصق اللمة الشقراء على رأسه، وارتدى
معطفا قرمزي اللون، وسار إلى مدينة غالاوي
وهناك عرض استسلامه... باللغة الفرنسية!
ياله من عجوز معتوه فقير... يحاول أن يلفت
الانتباه قليلاً من وراء ذلك... على أي حال،
كان ثمة رمية فأس واحدة وتدحرج على
إثرها الرأس الأشقر العجوز في الشارع...

أونـيـل: تابع.

أودونـيـل: من غيرهم؟... أورايلي من بريفني الشرقية،

وماك وليم بيرك من كونوت، وأوكين.

أونيل: أي أوكين؟

أودونيل: زوج ابنتك روز. بالتأكيد كنت تعلم على الدوام

أنه كان شخصا ضارا. وفيتزموريس من

كيرى، ودونيل مكارثي من باندن. أستطيع أن

استمر بذكر الأسماء إلى الأبد، وأودود،

وأودوير من كيلناماناج. يا إلهي يا هيو، إنني

أخبرك... المسألة لا نهاية لها.

(يلتقط أونيل أوراقه ويرتبها. صمت).

أونيل: أين تشستر؟

أودونيل: لقد سيطر على مكانك في دونجانون.

أونيل: هاه!

أودونيل: إنه يسيطر على كامل شرقي أولستر. ودوكرا

يسيطر على كامل غرب أولستر. وكاريو

يسيطر على كامل مونستر. وماونتجوي

يسيطر على كل البلاد (وقفة قصيرة) لقد

فعل ماونتجوي شيئا قذرا الأسبوع الماضي.

(يتوقف أونيل وينظر إليه).

حطم تمثال أونيل الحجري المتوج في

توليهونج. لم يكن ثمة داع لهذا، أليس كذلك؟

(وقفة قصيرة) ماذا هناك أيضا؟ كتب ملك

فرنسا إلى الملكة إليزابيث داعيا إياها إلى

مفاوضتنا. إنه يضيع وقته اللعين. كل

أراضيك في ديري أعطيت إلى الأسقف
مونتجمري، وأراضيك في أرماغ إلى الأسقف
البروتستانتى الجديد هناك... لا أعتقد أنني
سمعت أي شيء آخر... لقد استولوا على
حقوقك في صيد السمك في بان وفويل...
وأنا قد استقلت يا هيو.

أونـيـل: ماذا تقصد؟

أودونـيـل: تنازلت لأخي روري

أونـيـل: اوه، هيو.

أودونـيـل: وسأغادر في نهاية الأسبوع.

أونـيـل: إلى أين؟

أودونـيـل: لا أعرف. إلى حيث تأخذني السفينة. ربما
إلى إسبانيا.

(وقفة قصيرة يبتسم أودونيل بشجاعة
وتردد).

كلا، لم يكن هذا قرارا مفاجئا. لقد كنت
أفكر فيه منذ شهور، منذ كينسيل وسيكون
روي قائدا حسنا، إنه رجل صلب، هادئ جدا
ومتزن جدا، ليس لديه أسلوب أو نزعتي
بالطبع. ولكن عندي تقيصة أو اثنتان كما
تعلم. دمي يغلي بسرعة كبيرة، كما أنني كنت
دوما عديم الجدوى في تعاملتي مع الموظفين
ورؤساء الوزراء وأناس من هذا النوع. ليس

مثلك. حتى مع أهلي وناسي بحق الله،
فأعضاء أسرة ماكسويني من فاناد كانوا
تواقين ليبسطوا سيطرتهم علي. على أي حال
شيخ القبيلة ليس له أهمية كبيرة أليس هذا
ما يقوله لنا منشدوننا؟ الأرض هي الإلهة
التي يتداول الزواج بها كل الحكام. نحن نأتي
ونذهب، لكنها تبقى كما هي. وإلهة
تايروكونيل تحصل الآن على رجل جديد.
المشكلة هي أنها بغض النظر عمن تتزوج،
فإنني سأبقى دوما عاشقا لها... (يأخذ
جرعة ماء) يا إلهي، هذه الأشياء يمكن أن
ترهق فيلا!

أونـيـل: متى ستغادر؟

أودونـيـل: في الجمعة القادمة.

أونـيـل: من أين؟

أودونـيـل: سأستقل سفينة من مكان يدعى كاسل
هيفن... أينما كان هذا.

أونـيـل: قرب سكبيرين

أودونـيـل: أينما كانت سكبيرين هذه.

أونـيـل: سوف تقفل راجعا يا هيو.

أودونـيـل: نعم. في لمة شقراء مستعارة معطف قرمزي

اللون وأنا أقود مائة ألف من الإسبان! وفي

المرّة القادمة سنهبط في ديري... والأفضل

حتى في راثمولان، وسوف تحصل والدتي
على أجور النزول إلى اليايسة من الأغبياء...
أليس كذلك؟ (يضحك) لا، المسألة انتهت يا
هيو. انتهت إلى الأبد. مسكين بيتر لومبارد
العجوز، إنها نهاية قاتمة مرعبة لتاريخه،
أليس كذلك. أقصد، يا إلهي، كيف يمكن
للمسكين أن يشكل قصة شائقة من هزيمة
كهذه... ها؟ لو أن لديه ذرة عقل لألغى
المسألة برمتها. أجل، ثمة شيء واحد يمكن
أن يعيدني إلى بلدي ذات مرة، لأستعيد
أغنامي من القذر أودوهيرتي. آه، يا رجل...
(يلقي بذراعيه، وهو على وشك الانهيار،
باندفاع حول أونيل؛ يتعانقان عدة ثوان. ثم
يذهب أودونيل إلى حقيبته للحصول على
منديل) وماذا بشأنك؟ ماذا ستفعل؟

أونيل: ليس لدي خيارات عديدة، وأنا لست شاباً
مثلثك.

أودونيل: صحيح تماماً... على الأقل تكبرني بعشرين
عاماً.

أونيل: شعوري هو أن أغادر مثلك.

أودونيل: ما رأي ميل؟

أونيل: إنها تلح علي أن أبقى، وأللم الشتات، وأبدأ
من جديد. الإنجليز الجدد عنيدون جداً.

أودونيل: ربما تكون على حق. إنها فتاة صغيرة مخلصة جدا.

أونيل: ورأيها هو بما أن البلاد في مثل هذه الفوضى، فإن ماونتجوي ليس لديه القدرة ولا الموارد لفرض النظام؛ ولكنني إذا ما أصدرت تصريحاً علنياً بالولاء والإخلاص للملكة، وإذا ما أعادت الملكة تنصيبني...

أودونيل: هل فقدت...؟

أونيل: ومنحتني سلطة اسمية من دون قدرة سياسية أو عسكرية إطلاقاً، تقول ميبل إن علي حينها أن أقبل أي شروط تقريبا، بغض النظر عن كم هي مذلة، مادمت سأعود إلى قاعدتي ثانية وإلى شعبي.

أودونيل: ولماذا بحق الله ستعيدك الملكة إليزابيث؟

أونيل: لأنها تعلم أن الطريقة الوحيدة التي تتمكن من خلالها حكم أيرلندا في هذه المرحلة هي استعمال شخص مثلي. إنها تكرهني... لكن يمكنها أن تحكم من خلالي، شرط أن تكون لها السيطرة علي. على الأقل هذه هي حجة ميبل. أعتقد أنني أستطيع الحصول على ما يكفي من شعبي خلفي، وهي تعتقد أن بعض الإنجليز الجدد سيدعمون هذا... أولئك المتقززون من إنجلترا.

أودونيل: وهكذا فأنت تكتب استسلامك؟
أونيل: ما البديل؟ حياة مهاجر نكد يحبك ويدبر
المكائد في عواصم أوروبا.

أودونيل: مثلي.

أونيل: لم أعن هذا يا هيو.

أودونيل: أرني ذلك. أتعلم، إنك تافه عنيد أيضا. أنت
وميل تناسبان بعضكما.

(في البداية يقرأ أودونيل أجزاء من وثيقة
استسلامه بصوت ساخر مبالغ فيه. إنه لا
يعلم أن أونيل جاد تماما. لكن مع
استمرارهما في قراءة الوثيقة، أودونيل يقرأ
أجزاء، وأونيل يقول أجزاء غيبا، يتضاءل
حس الفكاهة الجيد لدى أودونيل ليصبح
رسميا وجادا مثل أونيل).

(يقرأ) أنا، هيو أونيل الذي جرى تنصيبه
على إيرل تايرون من قبل ملكة إنجلترا،
وفرنسا وأيرلندا ومعروفها العظيم أسجد
بتوبة نصوح صادقة على قدميها الملكيتين.

(يقع أودونيل على ركبتيه) وأضع نفسي
بصورة مطلقة تحت رحمته. (لا يقرأ)
الرحمة أيتها الملكة، الرحمة!

أونيل: وأتوسل وأنا في غاية الحزن إلى عطفها
الرحيم وأخاطب فقط عفوها الأميري، من

دون اللجوء إلى تبرير أفعالي العدوانية ضد
جلالتها المقدسة.

أودونيل: (يقرأ) أرجو أن يسعد جلالتها أن تخفف من
استيائها العادل ضدي بسبب عصياني غير
الطبيعي الذي لا يستحق العفو والذي لا
يمكن أن أكفر عنه حتى بحياتي، (لا يقرأ) يا
إلهي، أنت محتال عظيم يا أونيل.

أونيل: أنا أتوسل بكل تواضع إلى جلالتها أن تعيدني
إلى حياتي وكرامتي السابقتين حيث أقسم
كمواطن مطيع أن أستمّر منذ الآن مخلصاً
لشخصها الملكي، ولتاجها، وحقوقها،
وقوانينها الإنجليزية.

أودونيل: الإنجليزية؟! هيه، ثابر يا رجل ثابر!
أونيل: إنني أرفض وأشجب كل القوى الأجنبية مهما
كان نوعها وجميع أشكال الاتكال على أي
ملك آخر سوى جلالتها: ملكة إنجلترا
وفرنسا وأيرلندا...

أودونيل: (يقرأ) وأقسم أن أخدمها بإخلاص ضد أي
قوة أجنبية تغزو مملكتها، وبصورة خاصة
أشجب وأرفض كل أشكال الاعتماد على ملك
إسبانيا، وسوف أكون مستعداً بكل ما أوتيت
من قوة لأخدم جلالتها ضده أو ضد أي من
قواته أو حلفائه.

أونـيـل: إنني أتنازل عن جميع المطالب والألقاب فيما يتعلق بأي أرض سوى ما سوف يمنح لي، وأخيراً أقدم للملكة وأعيانها هنا مساعدتي الكاملة في أي شيء يمكن أن يسهم في تحسين خدمتها وحكم هذه المملكة بصورة سلمية.

أودونـيـل: (يقرأ) وسوف أساعد بوجه خاص في القضاء على كل التقاليد الغالية البربرية التي تعتبر بذور كل ما هو ضد المدنية.

أونـيـل: وفي إزالة كل الممرات والأماكن الصعبة...

أودونـيـل: (يقرأ) التي تعتبر مواطن...

أونـيـل: التي تعتبر مواطن مغذية للعصيان وسوف أحاول إنشاء مساكن...

أودونـيـل: (يقرأ) مساكن مدنية.

أونـيـل: مساكن مدنية لنفسه ولأهل بلدي لتحميننا ضد أي قوة سوى قوة الدولة...

أودونـيـل: القوة التي تجعلنا...

أونـيـل: القوة التي تجعلنا نطمئن أنه ستجري حمايتنا مادامنا بقينا نقوم بواجباتنا المخلصة الصادقة تجاه جلالته.

أودونـيـل: (يقرأ) الأرحم...

أونـيـل: تجاه جلالته الأرحم والأعطف والأنبل والأسمح.

أودونـيـل: (يقرأ) التي أقدم إليها الآن بطواعية تامة

وذل تام خدماتي... وفي الحقيقة...
حياتي...

(صمت ثم يبتعد أونيل كما لو أنه يرغب إبعاد نفسه عما قاله توا. أودونيل لا يزال جاثيا على ركبتيه) هذه نهاية الأمر كله يا هيو، أليس كذلك؟ (وقفة قصيرة) يا إلهي. (ينهض واقفا على قدميه مبتهجا) ومع ذلك يقولون إنها امرأة مميزة، هذه الملكة. اللعنة. ألن يكون أمرا جيدا لو صدقتك... ها؟

أونيل: إنها لن تصدقني.

أودونيل: ولكن لو صدقتك! اللعنة! سوف أعلن خضوعي لها بنفسني!

أونيل: التصديق لا علاقة له بالأمر. كما تقول ميل، إنها ستستعملني إذا راق لها هذا وكان في مصلحتها.

أودونيل: وشعبك؟

أونيل: إنهم أكثر نقاء، «شعبي». آه، لا، لن يصدقوني أيضا. لكنهم سيتظاهرون أنهم يصدقونني، ثم من خلال منطق غالي صارم سوف يصلبونني لأنني خنتهم. (يدخل هاري. ينظر بسرعة إلى أونيل أولا ثم إلى أودونيل... لم يلحظا وصوله. ثم يحييهم بحرارة واضحة مقصودة).

هــاري: لن يكون من الصعب مفاجأتكما.

أودونـيـل: هاري، كيف أنت يا رجل؟

هــاري: متى عدت؟

أودونـيـل: وصلت للتو.

هــاري: ظننا أننا قد فقدناك... (مخاطبا أونيل)

أليس كذلك؟

أودونـيـل: حاولت الاستسلام إلى دوكررا لكنه رفض قبولي.

أونـيـل: كيف كانت الرحلة؟

هــاري: الرحلة كانت حسنة لقد قمنا برحلة جيدة.

أونـيـل: وهل كان أفراد أسرة أوكاثن يتوقعون قدومها؟

هــاري: أقاموا حفلة استقبال كبيرة. كل شيء هادئ هنا؟

أونـيـل: هل كانت على هيئة حسنة حينما غادرتها؟

هــاري: إن لديهم مكانا عظيما هناك (مخاطبا أودونيل)

إيثا أوكاثن وأمك بنات عم، أليس كذلك؟

أودونـيـل: بنات عم من الدرجة الثانية.

هــاري: أجل، ذكرت ذلك (يبحث في حقيبته) وأرسلت

لكما بعض الطعام: بعض خبز الشوفان

والحليب وما هذا... والبسكوت... بسكوت

غريب المنظر.

أونـيـل: هل يعرفون بالضبط أين أنا؟

هــاري: بالطبع يعرفون، زيب وطحين...

أونـيـل: وسوف يتصلون بي مباشرة؟

كذلك؟ هذا شراب لذيذ. أنت متأكد أنك لا

ترغب بقليل منه يا هيو؟

هــاري: أترك قليلا لبقيتنا.

أونـيـل: لدى أسرة أوكاثين اطباؤها الخاصون، أليس كذلك؟

هــاري: شين أوكيون. قابلته هناك. وبدا ذا كفاءة

عالية، هل من جديد آخر؟ آه، نعم، السير

جاريت مور يريد أن يتصل بك... أتصور

بحافز من ماونتجوي. إنه يريد استكشاف أي

أرضية لمصلحة ربما لا تزال موجودة بينك

وبين التاج. والذريعة في نزولك إلى بوين هو

الهجرة الأولى لـ سلمون البحر المرقط. ولئن

ذهبت، فإنني متأكد أنه سيكون لديه بعض

الموظفين هناك.

أودونـيـل: إذا هم يريدون التحدث معك يا هيو. كانت

مبيل على حق.

هــاري: ماذا أيضا؟... ثمة إشاعة أن ماونتجوي نفسه

ربما يواجه مشكلة بسبب امرأة في إنجلترا...

الليدي بينيلوبي ريتش؟ هل هذا هو اسمها؟

على أي حال يقولون إذا ما أصبحت

الفضيحة علنية، فربما يستدعى ماونتجوي.

ماذا كان هناك أيضا؟... شين نا بونتا لا يزال

يتجول بهدوء في البلاد بحقيبته الجلدية

البنية يجمع ريع إيجاراتك كما لو أن المكان
ليس في حالة فوضى!... تادج أوسيانين
يكتب كتابا عن السنين العشر الماضية.

أودونـيـل: تاريخ آخر! يا إلهي، لو أن لدينا كعكا من
الخبز قدر ما لدينا من المؤرخين!

هــاري: تادج سيقدم عملا دقيقا جدا... وهناك
أجزاء من كتاب آخر يجري تناولها، ويبدو أن
الحكومة الإنجليزية تعيره اهتماما كبيرا. كتبه
رجل إنجليزي يدعى سبنسر كان يملك مكانا
قرب جبال باليهوراس... من يدري أن تقع...
إنني أصبح مثلك يا هيو... إنها في مقاطعة
كورك، اليس كذلك؟ على أي حال سبنسر
هذا أحرق في حوادث الشغب بعد معركة
بلوفورد (ينهار فجأة ولكنه يواصل الحديث
بلا توقف). آه يا إلهي يا هيو، لا أدري كيف
أنقل إليك الخبر... لا أدري كيف أخبرك...
لم نكد نصل إلى بيت أو كاثن...!

أودونـيـل: هاري...؟

هــاري: وكانت الرحلة جيدة كانت تبدو في هيئة
رائعة... غنينا أغنيات معظم الطريق، علمتها
أغنية «تابهير دوم دو لامي» وهي أغنية
رودهير دال، ذلك لأن أفراد أسرة أوكاثن هم
أقرباؤه وبإمكانها أن تتفاخر أمامهم،

وضحكنا على الطريقة التي لفظت بها الكلمات الإيرلندية حتى شعرنا بالألم، وعلمتني هي أغنية من ستافوردشاير تدعى «اللورد براند كان سيدا لطيفا»، وحاولت أن أغنيها بلهجة ستافوردشاير... ولم يكن لأحد أن يعنى بها أفضل مما فعلت، كانوا جميعا بانتظارها، إيثا، والدكتور أوكوين، وقابلتان وستة من الخدم. وبدأ كل شيء عاديا، كل شيء كان حسنا. قالت إذا كان المولود صبيا فسوف تسميه نيكولاس على اسم والدها، وإذا كان المولود بنتا فسوف تسميها جوان على اسم والدتك، وعندما سألتها إيثا فيما إذا كنت تفكر بالذهاب إلى المنفى شعرت بالقلق البالغ وقالت «هيو؟» ثم قالت «هيو لن يخون شعبه أبدا». وبعد ذلك مباشرة بصورة عادية، وطبيعية تماما جاءها المخاض، ولا أدري ما حدث، ما زلت لا أعلم في الحقيقة، وأيا كان ما حدث... هناك مجرد شيء لم يكن صحيحا يا هيو. عاش الطفل حوالي ساعة... كان صبيا لكنها لم تعرف مطلقا أنه كان قد مات... وبعد ذلك بقليل كانت إيثا جالسة على كرسي بالقرب من سريرها تماما، أقرب مما أنا إليك... وكانت تنام

بسلام تام، ثم أصدرت تنهدة طويلة كما لو
أنها كانت متعبة جدا وحينما وضعت إيشا
يدها على خدها. لم يكن بالإمكان إخبارك...
لقد حصل كل شيء بسرعة كبيرة... هي
والطفل في غضون ساعتين... قال الدكتور
شيئا يتعلق بتسمم الدم... اوه، يا إلهي، أنا
آسف أسفاً بالغاً من أجلك... آسف من أجل
جميعنا... لقد أحببتها أنا أيضاً، أنت تعلم
ذلك، منذ اليوم الأول الذي التقيناها فيه...
أتذكر ذلك اليوم في مايو؟... عيد ميلادها
العشرين؟... كانت ترتدي فستاناً أزرق اللون
وياقة بيضاء وقفازين أبيضين... لو كنت قد
رأيتها وهي مسجاة، بدت مثل فتاة في الرابعة
عشرة من عمرها، كانت جميلة جداً، رحمة
الله عليها.. رحمة الله علينا جميعاً.

(صمت طويل)

أونيل: (بصوت يقارب الهمس) أجل، أعتقد أنني
سأشرب القليل من ذلك الويسكي الآن يا
هيو. قدر صغير فقط، من فضلك من دون
ماء. آه، يا إلهي العزيز...

(تعتيم سريع)

المشهد الثاني

(شقة أونيل في روما بعد سنين عديدة)

حينما ترتفع الستارة، الضوء الوحيد على خشبة المسرح يصدر عن شمعة على مكتب واسع. هذا مكتب لومبارد؛ مملوء بالأوراق؛ وفي الوسط كتاب ضخمة... إنه كتاب التاريخ. الغرفة مؤثثة بصورة غير كافية، ثمة طاولة صغيرة، وبعض المقاعد، ومقعد قدمين، وأريكة.

أونيل الآن في أوائل الستينيات. نظره بدأ يتعبه، وهو يحمل عكازا. ويفرط في الشرب. نسمع في البداية صراخه الأجلج. وحينما يدخل نرى أنه مخمور قليلا. مزاجه متقلب، ونزق، وخطر. إنه يحمل شمعة رفيعة مضاءة. أونيل (من بعيد): هل من أحد في البيت؟ يا هاري؟ لماذا لا توجد أضواء لعينة هنا في الخارج؟ (الآن يتابع): كاتريونا؟ زوجك المخمور قليلا قد عاد! في الحقيقة كان ينبغي ألا أشرب تلك الزجاجاة الأخيرة من... (يصطدم بمقعد القدمين فيقلبه، وبينما هو يعيده كما كان) سامحني. إنني أستمعك عذرا. ربما تستطيع أن تساعدني يا سيد.

هل أنا في البناية الصحيحة؟ كما ترى، أنا
أجنبي في مدينتكم، مهاجر من أيرلندا في
الحقيقة... نعم، نعم، أيرلندا. آه! هل زرتها؟
جميلة حقاً، حقاً جميلة جداً. أنت لطيف
جداً. ماذا تقول؟ آه، نعم، ذلك صحيح
تماماً... الجميع يحبوننا. وسأخبرك لماذا يا
صديقي: لأننا أكثر الشعوب جاذبية
وإخلاصاً. والآن، من فضلك، إنني أحاول أن
أجد طريقي إلى بالاتسو ديل بنتنشيري
الواقع بين شارعي كونسلياشوني
وبورجوسانتوسبيريتو حيث أعيش مع...
(يتوقف فجأة لأنه يجد نفسه، وهو يحمل
شمعته عالياً، واقفاً أمام المكتب وينظر إلى
الكتاب. يحدق بالكتاب لثوان قليلة).

(وبرقة بالغة): البناية الصحيحة حقاً. البيت.
كل شيء في مكانه... (يبتعد بضع خطوات
عن المكتب. ينادي) يا أيها الأسقف؟ يا هاري؟
(لا يتلقى جواباً. يعود إلى الكتاب ويديره
بحيث يستطيع قراءته. ينحني فوق الصفحة،
وجهه قريب منها، يقرأ): «بسم الله: بهذا أبدأ
بيدي تسجيل تاريخ حياة هيو أونيل، إيرل
تايرون، ابن فيردورشا، ابن كون باكاج، ابن
كون مور، أنبل ولد لسلالة نبيلة، الذي غداه

وأنشأه نبلاء قبيلته طيبو المحتد من أسرتي
أوهاجان وأوكوين، والذي استمر يكبر
تهذيبا ووسامة، وكياسة وفصاحة، وحكمة
ومعرفة، وبسطة في الجسم والأعمال
النبيلة، بحيث انتشر اسمه وانتشرت
شهرته في أرجاء مقاطعات أيرلندا الخمس
وما وراءها...» (فجأة يبتعد بصورة عنيفة
غاضبة عن المكتب، ويجأر) أين الجميع
بحق الجحيم؟ يا كاتريونا؟ إن إيرلك
المخلص في البيت! (يصغي). فلا يسمع
صوتا) لا شك أنها في الصلاة.

(يذهب إلى الطاولة الصغيرة وينير الشموع
هناك. ثم يفرغ البقايا من زجاجتين فارغتين
في كأس خمر. وبينما هو يقوم بهذا يواصل):
كونتيستي ذات شهرة عريضة في هذه
المدينة. بالطبع هي لا تزال جذابة، حقيقة
أضحت أكثر جاذبية بكثير منذ أن بدأت
تشيع بصورة طفيفة جدا، وبحكمة تقريبا.
لا شك أن هذا استجابة حدسية لتفضيل
الرومان للزيادة في النضوج. هؤلاء الرومانيون
شعب غريب، لدرجة أنهم يجدون لهجتها
الاسكتلندية المبتذلة ساحرة. من حسن حظهم
أنهم لا يفهمون كلمة واحدة مما...

(يندفع عائداً إلى الكتاب المفتوح، لا يستطيع
مقاومة جاذبيته، وينحني مرة أخرى عليه
انحناء قصير البصر، ويقرأ): «وفكر الناس
أنه حينما يبلغ مرحلة الرجولة فلن يكون له
مثيل بين الأيرلنديين ليثأر لما حل بهم من
ظلم ويعاقب صور النهب والسلب التي
تعرض لها عرقه. لأنه جاء في نبوءات
الأنبياء والمتنبئين بالمستقبل أنه سيظهر
واحد مثله.

رجل عظيم ونقي ومخلص فوق الجميع
ذلك الذي سيسبب النحيب في كل أرض
وسيكون أميراً
وسيكون ملكاً طيلة...

(يطبق الكتاب بغضب شديد)

اللعنة عليك أيها الأسقف!. ولكن هذه واحدة
من المعارك لن أخسرها! (يبتعد عن الطاولة
ويجأ صارخاً) أين الجميع بحق الجحيم؟
أنت يا كاتريونا، أيتها الكلبة أين أنت؟ يا
هاااااري ي ي ي!

(يستدير. يجد هاري قريباً منه... يفاجأ): آه،
أنت هنا. لماذا تختبئون مني دوماً؟ أين الجميع
بحق الجحيم؟

هــاري: كاتريونا خرجت، إنها تقول...
 أونـيـل: (بغضب شديد ثانية) خرجت! خرجت! أخبرني بحق الجحيم متى كانت زوجتي اللطيفة في البيت على الإطلاق! (بصوت رقيق) آسف.

هــاري: والأسقف في الطابق العلوي. كان عليك قضاء فترة العصر معه.

أونـيـل: ولماذا كان علي أن أفعل هذا؟
 هــاري: كان يريد تأكيداً على بعض التفاصيل.

أونـيـل: عم تتحدث؟
 هــاري: من أجل تاريخه.

أونـيـل: «تاريخه»! اللعنة على تاريخه! إنني لم أتناول طعاماً طيلة النهار يا هاري، وأفترض أنني يجب أن أكون جائعاً.

هــاري: دعني أحضر لك...
 أونـيـل: كلا، لا أريد طعاماً. ماذا حدث هنا منذ الصباح؟

هــاري: وصل جواب من ملك إسبانيا.

أونـيـل: رائع!

هــاري: في النتيجة، يشكرك على رسائلك الثلاث الأخيرة...

أونـيـل: ولكن...
 هــاري: ولكنه يذكر مرة ثانية أن إنجلترا وإسبانيا

وقعنا معاهدة سلام. إنها هشة ولكنها صامدة.

أونـيـل: ملك إسبانيا خاننا يا هاري.

هــاري: إنه يعتقد أن مصالح إسبانيا وأيرلندا... يمكن خدمتها أفضل عن طريق «عدم فعل شيء».

أونـيـل: عدم فعل شيء.

هــاري: ويحثك على البقاء في روما في الوقت الراهن.

أونـيـل: لقد مكثت في روما في الوقت الراهن بناء على إصراره طيلة السنوات الثماني الماضية!

هــاري: يقول إنه يقدر لك صبرك المسيحي.

أونـيـل: (يصرخ) يقدر... المسيحي...! (برقة)

سأموت في هذه المدينة اللعينة يا هاري.

أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ وأدفن هنا

بالقرب من ولدي في كنيسة سان بيترو.

(يضحك) إن الشراب يجعل الأمراء جياشي

العاطفة.

هــاري: ألم يكن اليوم جيدا؟

أونـيـل: آه، رائع! منشط! النشاط السياسي المحموم

المعتاد، والإثارة الفكرية. سرت أولا إلى قمة

تل جانيكولوم. ثم هبطت ثانية. ثم وقفت في

الطابور في مكتب سكرتير البابا، والتقطت

مخصصي البابوي الهزيل وانحنيت وقلت

(بالإيطالية) «شكرا، شكرا جزيلا» ثم وقفت

أونيل: ومرة أخرى استعرضنا الخطة الكبرى لتكوين جيش واسترداد أيرلندا. ستقدم إسبانيا الرجال، وفرنسا ستزودنا بالمدافع، وسيدفع البابا تكاليف النقل، وبالطبع سيقود أونيل تايرون حشد التحرير. ولكن لأن بصري غير كامل فإن بلنكيت سيسير راكبا بضع خطوات أمامي. ولأن سمع بلنكيت ليس على ما يرام، فإن أودومهانيل سيسير بضع خطوات أمامه. ينبغي علينا أن نتغاضى عن هذيانه الارتعاشي، لأنه هو ذاته يرفض الاعتراف به. تقديرنا أن سحق الإنجليز ربما يستغرق معظم اليوم، وربما يومين إذا قرروا القتال. تاريخ البدء هو ١٩ مايو: تعلم أن الثامن عشر هو يوم المنحة الحكومية.

هاري: في أي خمارة كنتم؟

أونيل: خمارة بيدرو بلانكو كانت ملأى كالعادة. أصر بلنكيت على أن الزبائن كانوا جميعا إنجليزا متخفين كالرومان، يتجسسون علينا ولذلك لأسباب أمنية، فقد منحنا خطتنا الكبرى اسما رمزيا، كان هذا إبداع أودومهانيل الوحيد، «عملية أرض المرج»... لا أستطيع الصبر فترة أطول بكثير يا هاري أعتقد أن عقلي بدأ... ربما علي أن أكل شيئا.

هــاري: حسنا، سأحضر لك...
اونـيـل: ليس الآن، فيما بعد، لو سمحت...
 (يمد الكأس نحو هاري كي يملأها)
هــاري: آسف يا هيو. لم يبق عندنا خمرة. لا توجد خمرة في البيت.
اونـيـل: لماذا؟
هــاري: (مترددا) ردني البائع عصر هذا اليوم. أخشى أننا فقدنا اعتمادنا.
اونـيـل: من هذا البائع؟
هــاري: اسمه كارلو كذا. لقد تعاملنا معه باستمرار. دكانه خلف...
اونـيـل: ورفضك؟
هــاري: إننا مدينون له بثمانمائة دوقية.
اونـيـل: رفضك؟
هــاري: إنه رجل طيب، لكن لديه ستة أطفال صغار.
اونـيـل: (يصرخ) لا تكن مراوغا لعينا يا هاري. (برقة)
 هل رفضك هذا الرجل؟
هــاري: نعم، رفضني.
اونـيـل: وهل علم لأجل من كانت الخمرة؟
هــاري: أنا متأكد أنه كان يعلم.
اونـيـل: هل قلت له إن الخمرة كانت لأجل هيو أونيل؟
هــاري: ما زلت أذهب إليه منذ أن كنا...

هل قلت له بالضبط إن الخمرة كانت لأجل
هيو أونيل؟

هــاري: أجل، بالطبع كان يعلم أن الخمرة كانت لأجل
هيو أونيل، والذي قاله إن اعتماد هيو أونيل
قد انتهى... لا دفع، لا خمرة. وربما ينبغي
أن تعلم أيضا أننا مدينون بنقود لخياط
كاتريونا وللخباز، ولم يدفع إيجار هذا البيت
منذ ستة شهور.

أونـيـل: (ببرود) أنت تصرخ في وجهي يا هاري.

هــاري: آسف، لم أعد أيضا أحتمل أطول يا هيو.

أونـيـل: وربما يكون هذا وقتا جيدا لتلقي نظرة على
كيفية تذكرك للنقود التي أضعها في عهدتك
لتدبير شؤوني، أو ربما الأكثر أهمية هو لماذا
تبذر ذلك المال. لأن ظني أن هذا ليس مجرد
عدم براعتك المعتادة في مسائل النقود
(يذهب هاري إلى الباب).

هــاري: سنتحدث غدا يا هيو.

أونـيـل: ما أظنه هو أن الفخر الذي عبرت عنه ذات مرة
في أن تكون خادما لأونيل قد ولى منذ زمن،
وأفترض أن هذا يمكن فهمه: لم أعد أستطع أن
أكون ذا فائدة كبيرة لك، أليس كذلك؟

هــاري: أنت تشك في كل شخص و...

أونـيـل: ولأن ذلك الفخر قد ولى فظني هو أن

عنصراً شاذاً في طبيعتك غير مستاءً
إطلاقاً لرؤيتك هيو أونيل يهينه بائع خمرة
مغمور في شارع خلفي.

هــــــــــــــــــاري: هيو...

أونـــــــــــــــــيل: لكن يؤلمني أن أراك نكداً جداً بحيث يسرك
في الحقيقة أن ترى مساعدو الشريف وهم
يرمون بي إلى الشارع. ما الذي يضايقك يا
هاري؟ بعض المرارة؟ استياء عميق؟ إحساس
أكال بالخيانة؟

هــــــــــــــــــاري: نكد؟ أنت من يحدثني عن كوني نكداً، عن الخيانة؟
(يضبط نفسه). أترك الباب مفتوحاً للكونتيسة.

أونـــــــــــــــــيل: ماذا دعوتك ذات مرة يا هاري؟ أكان لسان
الثور(*) لا، كان ذلك أودونيل يرحمه الله، هيو
المخلص الصادق. لا، أنت كنت... الشبت!
الرجل ذو التأثير المهدئ المريح. والأمر الشيق
هو أنني اخترت هاري هوفدين ليكون
سكرتيري الخاص بالضبط لأنه لم يكن
غالياً. تعلم، فكرت أن الغالي ربما يضعف
أمام الضغوطات القبلية الصغيرة، أمام
ولاءات محلية صغيرة، وهي نقيصة إنسانية
جذابة تقريباً حينما تفكر بها. وهكذا اخترت
بدل ذلك أحد الإنجليز القدماء لأنه سيكون

(*) لسان الثور: هو عشب أوروبي أزرق اللون (المترجم).

لومبارد: لقد جئت في وقت سيئ، أليس كذلك؟ لا
جيد، انظر ما لدي هنا. لن تحزر أبدا ما هذا
يا هاري.

هاري: زجاجة.
لومبارد: ذكي. أليس كذلك يا هيو؟
أونيل: أجل.

لومبارد: وصلت هذا اليوم بالذات من البلاد. لكنها
زجاجة من نوع خاص جدا يا هاري. إنها
بواتين من ووترفورد. لم أكن ذا فائدة كبيرة
أبدا لرفاهية حياتهم الروحية لكنهم
بالتأكيد لا يتجاهلون مكانة روعي!
(يضحك) هل لديكم بعض الكؤوس؟
(مخاطبا أونيل) تقول كاتريونا إنها ستتأخر
فلا تنتظرها. قالت شيئا عن خياط وقياس
فستان. (مخاطبا هاري) رجل طيب.ؤكد
لك أن هذا شراب لذيذ.

هاري: ليس لي يا بيتر. لكنه بحاجة ماسة إلى
القليل.

(وعندما يغادر هاري ينادي لومبارد خلفه)
لومبارد: سأضع هذا جانبا لك، وإذا أحببت
الانضمام إلينا فيما بعد... وللايرل ذاته،
نقطة فقط. إنه رحيق نقي يا هيو (يأخذ
رشفة ويتذوقها) إنها من أبرشيتي

الخاصة، وهي مكان ناء جدا يدعي آفين،
تبعد حوالي عشرة أميال عن دانجارفن.
وكان يصنع هذه الخمرة هناك طيلة عقود
رجل عجوز يدعي أنه أحد أولاد الحرام
لأورموند.

(يأخذ رشفة أخرى) رائعة، أليس كذلك؟
ينبغي أن تكون آفين إما قطعة من
الجنة... أو...

(يضع أونيل شرابه الذي لم يلمسه جانبا)

أونيل: سأجرىها فيما بعد يا بيت.

لومبارد: طبعاً. والآن. (يذهب إلى مكتبه) أنت
لست بالغ التعب بحيث لا تستطيع
مساعدتي في مراجعة بعض التفاصيل...
أليس كذلك؟ رائع. (يرى أن الكتاب قد
أُغلق) أتعلم يا هيو، كنت مشاغبا جدا
اليوم.

أونيل: حقا..؟

لومبارد: كان ينبغي علينا أنا وأنت أن نمضي العصر
في هذا.

أونيل: في أي شيء؟

لومبارد: تاريخي (يضحك) «تاريخي»! ستظن أنني
كنت ثيوسيدويس، أليس كذلك؟ ولو أردت
الحقيقة، فأنا مشوش جدا، إنني أكاد لا

أستطيع وضع كل هذه المعلومات في تسلسل
زمني، ناهيك عن فهمها. ولكن إن كان علي
أن أكتب عن حياة وعصر هيو أونيل، فإن
تعاون الرجل ذاته سيساعد في ذلك، أليس
كذلك؟

أونيل: آسف يا بيتر.
لومبارد: لا داعي للأسف، ها قد وصلنا... دعني
أعلمك بالخطوط العريضة.

أونيل: أمضيت يوما سيئا.
لومبارد: أعلم. إنه يوم تسلم نقود التقاعد. هذا يمكن
تفهمه.

أونيل: كان يوما مخمورا وغبيا مع بلنكيت وأودونيل
وأودوهامنيل.

لومبارد: رأيتهما هذا الصباح. مشهد حزين. كانا
رجلين عظيمين ذات يوم.

أونيل: وكنت قاسيا مع هاري قبل برهة.
لومبارد: أحسست أن شيئا كان خطأ.

أونيل: أخبرته أن ميبل لم تثق به. كانت تلك كذبة
لعينة. ميبل أحبت هاري.

لومبارد: أعلم أنها أحبته. وهاري يتفهم الأمر. نحن
جميعا نقدر الأمر. لقد كان وقتا عصيبا
بالنسبة إليك يا هيو. من هنا تتبع أهمية
هذا التاريخ... إنه مهم، مهمة حيوية. هذه

السنوات الأخيرة كانت بصورة خاصة تبعث على الشعور بالإحباط. لكن ما ينبغي أن نتذكره، ما يجب أن أسجله وأحتفي به، هو الحياة بأكملها، منذ البداية مروراً بتلك السنوات العظيمة حينما التقى الطموح والإنجاز، وكان أونيل اسماً مألوفاً عبر أوروبا لأنها كانت سنوات عظيمة يا هيو، وهي ليست مدعاة لاحتفالنا فحسب، بل لاحتفال الأجيال التي تليها. الآن (يجد مخططه) أعتقد أن هذا هو... أليس كذلك؟ أجل، إنه هو.

أونيل: هل ستكون ميبل في التاريخ يا بيتر؟

لومبارد: ميبل؟ أي نوع من الأسئلة هذا السؤال؟ بالطبع ستكون ميبل في التاريخ.

أونيل: ذات دور مركزي يا بيتر.

لومبارد: وكذلك ستكون زوجتك الأولى، ابنة برايان ماك فيلم. وكذلك ستكون زوجتك الثانية، الفاتنة سيوبهان، وكذلك ميبل. وكذلك ستكون كاتريونا الجميلة. تقول لا تبقي ساهرا بانتظارها. جميعهن سيذكرن. يا له من سؤال غريب (سراً) لكن علي أن أعترف بقلق سري يا هيو. واقعة أن هيو أونيل العظيم كان لديه أربع زوجات، وكانت هناك إشاعات حول

زوجة خامسة قبل سنوات وسنوات، أليس كذلك؟ قبل أن نلتقي أنا وأنت بزمان طويل. ولكن واقعة أن أونيل كان لديه أربع زوجات أنقول معترف بهن، أعتقد أن هذا يمكن أن يبدو لقراء المستقبل... ربما على أنه إفراط؟ أنا متأكد أنه لن يبدو كذلك. ومتأكد أنني حساس جدا. على أي حال لا يمكننا عن قصد طمس ما نعلم أنه حدث، أليس كذلك. لذلك، لنعد إلى إيطاري العام.

أونـيـل: هذه معركتي الأخيرة يا بيتر.

لومـبـارد: معركة؟ أي معركة؟

أونـيـل: ذاك (الكتاب)

لومـبـارد: عم تتحدث؟

أونـيـل: ذلك الشيء هناك.

لومـبـارد: تاريخك؟

أونـيـل: تاريخك أنت. أنا رجل عجوز لا أملك مركزا،

ولا سلطة، ولا نقودا. لا... أنا لا أستجدي، لا

أتوسل. لكنني أخبرك أنني سأحاربك على

ذلك وسوف أربح.

لومـبـارد: تحارب... بحق الله عمّ يتحدث الرجل؟

أونـيـل: أنا لا أثق بك. لا أثق أنك ستقول الحقيقة.

لومـبـارد: لقول الحقيقة في...؟ أعتقد حقا أنني

سوف...؟

أونـيـل: أعتقد أنك لست جديرا بالثقة. وذلك
(الكتاب) هو كل ما تبقى لي.

لومـبـارد: أنت جاد! يا هيو، بحق السماء!
(ينفجر لومبارد ضاحكا)

أونـيـل: تابع. اضحك. لكنني سأربح هذه المعركة يا
بيتر.

لومـبـارد: انتظر الآن... انتظر... انتظر... انتظر. فقط
أخبرني بشيء واحد.

هل هذا الكتاب يمثل نوعا من مؤامرة حقود؟
هل أفعل شيئا مقيئا؟

أونـيـل: سوف تحنطني في... في... في كذبة منمقة.
لومـبـارد: هل سأكذب يا هيو؟

أونـيـل: أنا بحاجة إلى الحقيقة يا بيتر. هذا كل ما
تبقى. المخطط، القائد، الكاذب، رجل الدولة،
الفاسق، الوطني، المخمور، النكد، المهاجر،
المتهور. ضع كل هذا فيه يا بيتر.
سجل الحياة كلها... هذا ما قلته أنت ذاتك.

لومـبـارد: أصغ إليّ يا هيو.

أونـيـل: إنني أطلب منك يا رجل. أجل، اللعنة، إنني
أرجوك. لا تحنطني في أشكال من التقوى.

لومـبـارد: دعني أخبرك بما أفعله.

أونـيـل: قلت إن ميبل سيكون لها مكانها. ذلك المكان
أساسي بالنسبة إلي.

لومبارد: هلا أصغيت لي؟

أونييل: هل أثق بك في أن تجعل ميبل محورية؟

لومبارد: دعني أشرح ما هو مخططي. أيمكنني؟ من فضلك؟ وإذا اعترضت عليه، أو على أي تفصيل فيه، فإنني سأعيد كتابة المخطط كله بالطريقة التي تريدها. هذا وعد قاطع. أيمكن أن أكون أكثر عدلاً من هذا؟ الآن. أنا أبدأ بميلادك وسلسلة نسبك النبيل وأنظر باختصار إلى تلك السنوات التكوينية حينما نشأت مع أسرتي أو كوين وأوهاجان، وتلقيت تعليمك المبكر على يد المنشدين والشعراء. ثم أنتقل...

أونييل: إلى إنجلترا.

لومبارد: ماذا قلت؟

أونييل: قضيت تسع سنوات في إنجلترا مع ليستير وسيدني.

لومبارد: فعلت هذا حقاً. لدي كل هذه المادة هنا. ثم ننظر إلى السنوات التي ثبتت فيها مكانتك كحاكم غالي مرموق في البلاد، وهذا يقود إلى تلك المشاعر المبكرة التي ينبغي أن تكون قد أحسست بها فيما يتعلق بدولة قومية ناشئة. والآن نأتي إلى أول الحوادث الرئيسية في شهر سبتمبر ذاك حينما قدم كل أهالي أولستر معاً إلى حجر التاج في تاليهوج خارج

دونجانون والخف الذهبي ألقى فوق رأسك
وربط إلى قدمك، ووضعت العصا البيضاء
في يدك اليمنى، وجرس القديس باتريك
الحقيقي يجلس برنينه عبر الأرض، ثم
رسمت باسم... الأونيل.

أونيل: كانت تلك حيلة سياسية.

لومبارد: ربما كانت كما تقول أيضا.

أونيل: في الشهر التالي مباشرة رجوت إليزابيث أن
تعذرني وتعفو عني.

لومبارد: لكنها مناسبة ذات أهمية رمزية عظيمة لشعبك

تمثل ستمائة وثلاثين سنة مستمرة من هيمنة

أونيل. حسنا، ثم أنتقل إلى تلك العلاقة الخاصة

بينك وبين هيو أودونيل، والتشكيل الهادئ

للروابط مع إسبانيا وروما، وتوحيد كل أولستر

تحت لواء سلالة واحدة حاکمة ألهمت في

النهاية جميع شيوخ القبائل الغاليين الانصياع

تحت لوائك. وفجأة أصبحت الدولة القومية

حقيقة. وبمناسبة الحديث عن هيو أودونيل...

(يفتش خلال كومة أوراق) سيروك هذا. نعم

ربما سيريح هذا الأمر عقلك. لودهايد أوكليري

كتب حياة هيو، وإليك كيف يصفه. أصغ إلى

هذا «كان حمامة في خنوعه ورقته وأسدا في

قوته وقدرته. كان بوقا عذب الصوت».

أونـيـل: «عذب الصوت»!
لومـبـارد: أصغ! - مع قدرة على الكلام والفصاحة،
والعقل والمشورة، وطلعة ودودة في وجهه
أدهشت كل شخص من النظرة الأولى». (يضحك أونيل).

أونـيـل: «حماسة في خنوعه»!
لومـبـارد: لكن عليك أن تعترف أن لها وقعا. ربما أنا
وأنت نتذكر هيو مختلفا. ولكن ربما ليست
هذه هي المسألة.

أونـيـل: ما هي المسألة؟ تلك بالتأكيد كذبة لعينة.
لومـبـارد: ليست كذبة يا هيو. مجرد تقليد. وسأصل
إلى المسألة لاحقا. الآن، الحدث الرئيسي
الثاني هو حرب السنوات التسع بينك وبين
إنجلترا، التي توجت بمعركة كينسيل
الأسطورية وسحق أعظم جيش غالي تم
تشكيله على الإطلاق.

أونـيـل: سحقونا في أقل من ساعة يا بيتر. أليست
هذه هي مسألة كينسيل؟

لومـبـارد: خسرت معركة. ينبغي أن يقال هذا. لكن
كيفية قوله يمكن أن يكون انتصارا أيضا.

أونـيـل: كينسيل كانت عارا. ماونتجوي سحقنا. هربنا
مثل الجرذان.

لومـبـارد: ومرة أخرى ليست هذه هي المسألة.

أونـيـل: إنك لا تستمع إلي الآن. لقد ألحقنا بأنفسنا العار في كينسيل.

لومـبـارد: ثم أصل إلى نقطتي الثالثة الأخيرة والرئيسية؛ وأنا أدعو هذا الجزء، وأنا فخور بالعنوان، لقد سميته «فرار الإيرلات»، هذا له وقع أيضا أليس كذلك؟ ذلك الخروج المأساوي ولكن الرائع للأرستقراطية الغالية...

أونـيـل: بيتر...

لومـبـارد: حينما ركب قادة الحضارة القديمة القارب من راثمولان في تلك الأمسية من شهر سبتمبر، وأبحروا نحو أوروبا.

أونـيـل: وبينما كنا نبحر من راثمولان قذفنا أعضاء أسرة ماكسويني بالحجارة من الشاطئ!

لومـبـارد: ثم رحلتهم عبر أوروبا حينما رحب بهم كل رأس عليه تاج وأكرمهم بمهرجان. ثم المجيء الأخير للاستراحة هنا في روما.

أونـيـل: والسنوات الست بعد كينسيل... قبل فرار الإيرلات، ألن تُسجل؟ حينما عشت مثل مجرم أهيم في أرجاء الريف... ريفي! مختبئا من الإنجليز، من الأثرياء الجدد(*) من الإنجليز القدماء، ولكن الأصعب كان اختبائي من إخوتي الغاليين الذين كانوا تواقين

(*) الأثرياء الجدد: يقصد بها في المسرحية المستعمرون الإنجليز في أيرلندا (المترجم).

ليجردوني من كل نصل عشب ملكته ذات
مرة. ثم إنني هربت حينما لم أعد أقو على
تحمل تلك الإهانة فترة أطول! إذا كان هؤلاء
«شعبي»، إذن فليذهب شعبي إلى الجحيم!
فرار الإيرلات... إنك تجعل الأمر يبدو مثل
مهد الشرف. فررنا تماما كما فررنا في
كينسيل. كنا ننوي الاهتمام بجلودنا! وهو
سبب أننا «ركبنا القارب» من راثمولان! وهذا
هو سبب وجود أونيل العظيم هنا... في
استراحة... هنا في روما. لأننا فررنا.

لومبارد: ذاك هو مخططي. سأعيد كتابته بالطريقة
التي تريدها.

أونيل: تلك هي الحقيقة. ذاك ما وقع.

لومبارد: كيف ينبغي أن أعيد كتابته؟

أونيل: تلك هي الحقائق. لا يمكنك جعل الحقائق
غير المستساغة مستساغة. ومسألتك... ما
هي مسألتك يا بيتر بالضبط؟

لومبارد: أنا لست مؤرخا ولكن...

أونيل: إذن لا تكتب تاريخي. أو ربما يمكنك أن تثق
بي لأكتبه بنفسني. إن إحدى ميزات البصر
المتلاشي هي أنه يعطي الخيال حافة تطل
على الواقع.

لومبارد: هل يمكنني أن أحاول شرح شيء لك يا هيو؟

هل يمكنني أن أقول لك ما هي مسألتني؟

أونـيـل: إنني قلق بشأن هذا كله.

لومـبـارد: الناس يرغبون بمعرفة الماضي. لديهم حب استطلاع أصيل نحوه.

أونـيـل: إذا، أخبرهم بالحقيقة كاملة.

لومـبـارد: تلك بالضبط هي مسألتني. الناس يعتقدون

أنهم يريدون فقط معرفة «الحقائق»؛

يعتقدون أنهم يؤمنون بنوع معين من الحقيقة

العملية، ولكن ما يريدون في الحقيقة هو

قصة. وذاك ما سيكون عليه الأمر: أحداث

حياتك تفرز وتصنف ثم تُبنى كما تُبنى أي

قصة. لا، لا، أنا لا أتكلم حول التزييف، حول

الكذب، بحق السماء. أنا أتحدث ببساطة عن

صناعة نسق. وهذا ما أفعله بكل هذه

الأشياء، أقدم اتساقا لكل هذه القائمة

العشوائية من الإنجازات المقصودة

والمصادفات المجردة التي تشكل حياتك.

وذلك الاتساق سيكون قصة يقرأها الناس

ويقتنعون بها. وتلك القصة ستكون صحيحة

وموضوعية بقدر ما في وسعي أن أجعلها

كذلك.... هل سيكون كفرا إذا اقترحت أن

ذلك كان المنهج الذي استخدمه رسل الأناجيل

الأربعة؟ أخذوا الأحداث العشوائية في حياة

المسيح، وصاغوها في قصة، في أربع قصص تكمل بعضها. وتلك القصص قصص صحيحة. ونحن نؤمن بها، وندعوها الإنجيل، يا هيو، أليس كذلك؟ (يضحك فجأة بسعادة) هلا نظرتم إلى هذا الرجل! ما الذي يجعلك بائسا هكذا؟ فكر في هذا (الكتاب) كفعل تقوى. أيرلندا صغرت كما لم تصغر كذلك من قبل قط... إننا نتحدث عن شعب مستعمر على حافة الانقراض. هذا ليس وقت تقييم نقدي «لحيك» و«مخازيك» و«خياتك»... تلك مادة تاريخ آخر لزمان آخر. أما الآن فالزمان زمن لبطل. الآن زمن أدب بطولي. ولهذا أنا أقدم لأيرلندا الغالية شيئين. إنني أقدم لهم هذه القصة التي فيها عناصر أسطورة. وأنا أقدم لهم هيو أونيل كبطل قومي. بطل وقصة بطل (وقفة قصيرة) إنه لأمر بالغ الدنيوية أن يقترح رجل دين علاجاً... أليس كذلك. أعتقد أنني لو كنت رجل قداسة، وليس نوعاً من نصف كاهن، ونصف مخطط، أعتقد أنني كنت سأقدم لهم أشياء خيرة. ولكن ثمة أزمنة يكون فيها البطل مهما بالنسبة لشعب مثلاً هو مهم عند الله. ثم أليس الله... أو هكذا أجد عذراً

لخيانتني... أليس الله هو الإله الكامل؟
(صمت طويل جدا. يلم لومبارد أوراقه ويطبق
الكتاب. يستوعب أونيل ما سمعه)

أونيل: كيف تكتب حول هاري؟
لومبارد: ما هي «الحقيقة» فيما يتعلق بهاري؟ حسنا،
نحن نعلم مثلا أن أسرته الإنجليزية القديمة
طرده، وأنه كان فقيرا مدقعا، وأنه لما قدمت
له عملا، أي عمل، تشبث به. نحن نعرف على
سبيل المثال أنه كان ذات مرة مخلصا بصدق
للملكة، ولكنه حين انضم إليك لم يبد أن لديه
مشكلة في خيانة ذلك الإخلاص. أو ببساطة،
ببساطة جدا، نحن نعرف على سبيل المثال أن
هاري هوفدن كان رجلا أعجب بك وأحبك
من دون تحفظ، وأنه كرس حياته كلها لك.
ومع كل ما أعرفه، ربما هناك «حقائق» أخرى
حول هاري.

أونيل: أيها ستسجل؟
لومبارد: إنني أعرف أي حقيقة يفضلها التاريخ. كما
قلت لك دوما التواريخ قصص يا هيو،
والقصص تفضل الأصدقاء الأوفياء، أليس
كذلك؟ ثم أليست هذه هي «الحقيقة» المطلقة
حول هاري، أليس هاري هوفدين أعظم
صديق وفي؟

(صمت طويل آخر).

أونـيـل: وميبل؟

لومـبـارد: ماذا؟

أونـيـل: (يصرخ) لا تلعب معي ألعابا لعينة أيها الأسقف.

أنت تعرف جيدا بدقة ما أسألك عنه!

لومـبـارد: أنت تسألني كيف سيتم تصوير ميبل؟

أونـيـل: (بصوت خافت) أجل، أنا أسألك كيف سيتم

تصوير ميبل.

لومـبـارد: لقد حاولت أن أشرح أنه في هذا الزمن

تحتاج البلاد إلى... (وقفة قصيرة).

أونـيـل: كيف... سيتم... تصوير... ميبل؟

(وقفة قصيرة)

لومـبـارد: قصة حياتك ذات مدى واسع، ولكنه مدى

محدد إلى حد بالغ يا هيو...

أونـيـل: بيتر، فقط...!

لومـبـارد: وكل تلك السيدات اللاتي اخترتهن زوجات

لك، مع انهن كن دون ريب رائعات وجماليات

ومخلصات، حسنا، إنهن لم يساهمن بصورة

كبيرة في... ماذا اعتادت ميبل ذاتها على

تسميته؟... الأمر برمته... أليس ذلك ما

قالتة؟ أعني أنهن لم يغيرن مجرى التاريخ،

هل فعلمن؟ إذن علي أن أكون منصفاً قدر

استطاعتي لكل أولئك السيدات من دون

الحط من قيمتهن أو تضخيمهن إلى شيء لم يكنه، ودون الكذب بشأنهن. أعني أن كاتريونا، كاتريونا الجميلة ستكون آخر من يطالب بسمو تاريخي، أليس كذلك؟ لكنهن جميعا كن يملكن وزنهن الخاص؛ وأدركن طبيعة تلك الأبعاد. ومن أجل انصافهن علينا أن نعترف بتلك الأبعاد بدقة.

أونيل: وهكذا فإن ميبل...؟

لومبارد: (يتظاهر بالغیظ) أنت عنيد يا هيو أونيل. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟ أنت لا تستسلم أبدا. كل ما كتبته على الورق هو مخطط عام، وصفحتان افتتاحيتان، ويستمر الرجل بمضايقتي بشأن تفاصيل ضئيلة!

أونيل: وهكذا فإن ميبل...؟

لومبارد: دعني أطرح عليك سؤالا. في القماشة الكبيرة للوحة الأحداث القومية، في مراسلاتك مع البابوات والملوك والملكات، هل فكرت ميبل ذاتها أن قيمتها وأهميتها استقرتا؟ هل تلك كيفية رؤيتها لنفسها؟ لكن كان لها قيمتها الخاصة، أهميتها الخاصة. وفي زمن مستقبلي، وبأسلوب لا نستطيع تصويره الآن، ليس لدي شك أن تلك القصة ستروى كاملة بصورة لا تتأخر فيها. ستكون

قصة منزلية يا هيو، قصة حب، وستكون
قصة حب جميلة جدا. لكن في مجمل الأمر
يا هيو... كم عدد الأبطال الذين يمكن أن
يستوعبهم التاريخ؟ وكيف سأبدو أنا نفسي
بحق السماء؟ في أفضل الأحوال شخصية
في حبكة ثانوية. ثم أليس هذا مناسباً لأناس
ثانويي من أمثالنا؟ والآن، أخبرني يا هيو،
كيف تريد إعادة كتابة مخططي.

أونـيـل: مجمل الأمر... أجل... ذلك كان تعبيرها.
لومـبـارد: وعدتك وعدا قاطعا. سأعيد كتابته بأي
طريقة تريد. ما هي التغييرات التي تريدني
أن أحدثها؟

(وقفة قصيرة)

ليس بالضرورة أي شيء رئيسي. (وقفة
قصيرة) حتى التعديلات الصغيرة (وقفة
قصيرة) فقط قل الكلمة.
(وقفة قصيرة).

الآن أنا أضايقك... أليس كذلك؟ سامحني.
وإذا ما خطرت لك أي فكرة أو اقتراح على
مدى الأسابيع أو الأشهر التالية، فساكون هنا
بالتأكيد، أليس كذلك؟ لا أحد منا سيذهب
إلى أي مكان... إلا إذا جندنا بلنكيت
وأودومهانيل في حملتهما التالية. والآن حان

وقت الشرب. نحن نستحق ذلك بجهدنا. إن
فمي المسكين جاف من الثرثرة. آفين... أين
أنت؟

أوفيل: شرك هلاك... هل هذه تسميتك لها؟
لومبارد: مذاق مبكر للخلود. إنها رائعة حقاً. على
رسلك، على رسلك... لا تبتلعها. ارشفها
بطيء. تذوقها.

(يدخل هاري حاملاً زجاجة)

آه، هاري! كنا على وشك أن نقتل هذه الزجاجة من البوتين. لكن، كما يقول المرء، لن تموت من دون القسيس. هلا ضربي أحد من فضلكم كل مرة أقول فيه واحدة من تلك الطرائف الكنسية الشائنة؟ ماذا لديك؟

هــ اری: زجاجة نیبذ.

لومبارد: من أين جاءت؟

ہماری: حاصلت علیہا قبل عشر دقائق.

أونـيـل: اعتقدت أنه لا مال لدينا؟

هــاـري: إنها مجرد كيانتی رخیصة.

أونـيـل: من أين جاءت النقود؟

هــاري: كان لدي زوج من الأحذية القديمة لا أرغب فيه. وكان لدى البواب بعض الزجاجات الإضافية. من يرغب بكأس؟

لومبارد: هل تعرف ماذا أنت يا هاري؟ رجل مخلص

صديق. الآن هذه حقيقة!

(يقف لومبارد إلى جانب هيو وهو ذاهب إلى الطاولة)

(سرا) ثق بذلك يا هيو، ثق به. (بصوت عال) لنا جميعا. فلنعش إلى الأبد، بشكل أو بآخر. والآن سأقدم أول قراءة علنية لتاريخ هيو أونيل. باسم الله... أنا أحفظ الافتتاحية عن ظهر قلب! (حينما يتكلم أونيل يتكلم تقريبا بهمس في طباق مع قراءة لومبارد العلنية. تتلاشى لهجته الإنجليزية تدريجيا حتى تصبح لهجته في النهاية لهجة تايرون نقية) باسم الله. أشرع من هنا بيدي أؤرخ حياة هيو أونيل...

أونيل: بوساطة ملكة إنجلترا وفرنسا وأيرلندا ومعروفها الأرحم صنعت إيرل تايرون.

لومبارد: ابن فيردورشا، ابن كون باكاه، ابن كون مور، أنبل ولد لنسب نبيل، الذي رباه وأنشأه نبلاء قبيلته الأشراف.

أونيل: أقدم نفسي بكل تواضع إليك وانصاع بصورة مطلقة إلى أوامرك، أرجو وأنا بأعمق الحزن أن أنال رضاك.

لومبارد: استمر يكبر ويزداد وسامة وتهديبا، وكياسة

وفصاحة، وحكمة ومعرفة، وقد املح
وأفعالا نبيلة بحيث انتشر اسمه وشهرته
خلال مقاطعات أيرلندا الخمس وما وراءها.

أونيل: أرجو أن يسعدك تخفيفك من استيائك
العادل ضدي بسبب خيانتك لك التي لا
تستحق صفحا، والتي لا يمكن أن أكفر عنها
حتى بحياتي...

تومبارد: وفكر الناس بعقولهم أنه حينما يبلغ مرحلة
الرجولة لن يكون له مثيل بين الأيرلنديين
لينتقم للإساءات التي نزلت بهم ويعاقب على
أنواع النهب التي تعرض لها عرقه...

أونيل: أنا آسف يا ميبيل... سامحني من فضلك
يا ميبيل.

تومبارد: لأنه ورد في نبوءات الأنبياء والمتنبئين
بالمستقبل أنه سيظهر واحد مثله...
رجل، ماجد ونقي ومخلص فوق الجميع.
سيكون سبب نحيب المحزونين في كل أرض.
سيكون أميرا.
وسيكون ملكا طيلة حياته.

(أونيل يبكي الآن. وتنطفئ الأضواء ببطء)

مسرحية «ترجمات»

مقدمة

يسلط فرييل الضوء في هذه المسرحية على أسرة في منطقة بايلي بيج في أيرلندا، أعضاؤها هم مانوس وأوين، وهما أخوان، وهيو والدهما. والوالد هيو يدير مدرسة متواضعة يعلم فيها اللغة اللاتينية، ويساعده فيها مانوس. أما أوين فقد غادر البلدة، لكنه يعود إليها مع قدوم الجيش البريطاني، الذي يرغب في صناعة خريطة لأيرلندا كلها. ويعمل أوين أو رولاند - كما يسميه الضابط لانسي - مترجما لحساب الجيش البريطاني. ومن الطلاب الذين يرتادون مدرسة هيو نجد مائير، وسارة، ودوالتي وبريجيت وجيمي جاك.

يصور فرييل مجتمع بايلي بيج وثقافته على أنه مجتمع يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه. فالمدرسة المتواضعة تفقد مكانتها يوما بعد يوم، والبريطانيون بدأوا يفتتحون المدارس الوطنية التي تدرس باللغة الإنجليزية.

ونحن نلاحظ أن أعضاء المدرسة أنفسهم مصابون بعاها، فالمدير هيو مدمن خمر، ومانوس أعرج، وسارة صماء، ومائير تريد أن تتعلم اللغة الإنجليزية كي تهاجر إلى أمريكا، ودوالتي شبه معاق عقليا، وليس لديه قدرة على الاستيعاب.

وأوين خائن لوطنه يحول الأسماء الأيرلندية إلى اللغة الإنجليزية.

هذا المجتمع الذي جل أعضائه معاقون، لا يقوى على الصمود أمام الغزو البريطاني. فالمسرحية إذن تدور حول اللغة، وبوجه خاص حول موت اللغة الأيرلندية، وبموتها تضع الهوية الثقافية والقومية لأيرلندا. أيرلندا التي تعيش في ظل آفة البطاطس والتشريد والهجرة.

تذكر المسرحية ثورة سنة ١٩٩٨، التي ذهب هيو وجيمي للانضمام إليها، والتي كانت بقيادة محام أيرلندي اسمه وولف تون. وقامت هذه الثورة على غرار الثورة الفرنسية للتوحيد بين البروتستانت والكاثوليك، وتطوير البرلمان في دبلن، وإخراج البريطانيين. لكن بريطانيا أخدمت الثورة بعنف شديد وهزمت الثوار في موقعة فينيجار هيل. ومارست السلطات البريطانية أشكالاً من العنف من شنق وحرق وجلد لم تشهدها البلاد من قبل. وألقت القبض على وولف تون وزجت به في السجن، لكنه انتحرق قبل أن يصدر الحكم بحقه. إضافة إلى ذلك فإن دوالتي يشير إلى العقوبات التي أنزلها البريطانيون بشعب أيرلندا في حياة جده.

أما الآن فيأتي دور لانسي الضابط الإمبراطوري، الذي بدأ يهدد أهالي بايلي ببيع بالقتل والتشريد وتدمير الممتلكات إذا لم يظهر الضابط يولاند، الذي اختفى فجأة.

كما أسلفنا، فإن لانسي ويولاند جاءا ضمن مجموعة من المهندسين الملكيين، وذلك لصناعة خريطة لأيرلندا وإعادة تسمية كل الأماكن الأيرلندية بأسماء إنجليزية. ووصف لانسي هذا الإجراء بأنه لأغراض مدنية تصب لمصلحة الأيرلنديين، لكن هذا لا ينفي أن الإمبراطورية سوف تستفيد من تلك الخريطة. «لقد تم التصدي لهذا العمل حتى يتم تزويد السلطات العسكرية بمعلومات دقيقة وحديثة حول كل زاوية في هذا الجزء من الإمبراطورية». ويقول لانسي أيضا «أيرلندا مميزة... لذلك فإن هذا المسح لا يمكن إلا الترحيب به كبرهان على حرص هذه الحكومة على تطوير مصالح أيرلندا».

إن ما يقوم به لانسي ومجموعته هو مصادرة الأماكن الأيرلندية من خلال ترجمة أسمائها إلى اللغة الإنجليزية. وإذا علمنا أن المكان هو في الأساس لغة، فإن أيرلندا كلها تصبح إنجليزية من خلال إلباس أماكنها أسماء إنجليزية. التسمية إذن تصبح عملية استعمارية رئيسية لأنها تغير، وتعرف، وتحدد، وتأسر المكان باللغة. إن تسمية المكان في أي لغة معناها خلق ذلك المكان في تلك اللغة، إذ إن المكان يقفز إلى الوجود حالما تتم تسميته. لذلك فإن توالي أشكال الاستعمار على مكان ما بحد ذاته يؤدي إلى كتابة فوق كتابة فوق كتابة تمت على مدى أجيال. وعندما يرى هيو ما قام به

ابنه أوين (أورولاند إذ إن اسمه الأيرلندي قد اختفى وحل محله اسم إنجليزي يخاطبه به لانسي ويولاند)، فإنه يقول ساخرا إن على المرء تعريف أسماء الأماكن حتى يعرف أين موقعه.

الترجمة هي الموضوع الأساسي في المسرحية، وثمة أنواع كثيرة منها. ف هيو وجيمي جاك منغمسان في الأدب الإغريقي، وهما يترجمان العبارات التي يقولانها في المدرسة إلى اللغة الغالية القديمة، وهي لغة أهل أيرلندا الأصلية. ومع أن لغة المسرحية هي الإنجليزية، إلا أن على الشخصيات والمشاهدين أن يتخيلوا أن اللغة المستخدمة هي الأيرلندية. وهناك ترجمة أسماء الأماكن الأيرلندية إلى اللغة الإنجليزية، وترجمة اسم المترجم أوين إلى رولاند، وترجمة تاريخ أيرلندا ذاته إلى الحاضر المعيش. إن كل شخصية من شخصيات المسرحية منغمسة في شكل من أشكال الترجمة. مثلاً مائير تحاول ترجمة ذاتها من خلال علاقتها مع يولاند كي تخرج من أيرلندا، ويولاند يحاول ترجمة ذاته من خلال علاقته مع مائير، كي يبقى في أيرلندا التي أحبها. لكن علاقة الحب بينهما، والتي تعبر عن الثقافتين المختلفتين، تفشل لأن لكل من طرفيها هدفا مختلفا. وجيمي جاك يترجم واقعه الصعب الذي يتصف بالوحدة والعزلة إلى عالم آخر متخيل، لدرجة أنه يتخيل أن إحدى إلهات الإغريق

خطبته لذاتها . كذلك محاولة أوين تقديم لانسي ويولاند في أول قدوم لهما إلى المدرسة التي يريدها والده. المدرسة المتواضعة ذاتها تترجم إلى مدرسة وطنية . سوف يلاحظ القارئ أنه على الرغم من أن المسرحية تدور حول موت اللغة، فاللغة كما يقول هيو ليست خالدة، إلا أن لغة المسرحية ذاتها تنبض بالحياة.

المترجم

د. محمود عبد الغني غنوم

شخصيات المسرحية

مانوس

سارة

جيمي جاك

مائير

دوالتي

بريجيت

هيو

أوين

كابتن لانسي

الضابط يولاند

تجري الأحداث في مدرسة متواضعة في أرض مدينة
بايلي بيغ/ باليبيج، وهي مجتمع يتحدث اللغة
الأيرلندية في مقاطعة دونيجال.

الفصل الأول

(عصريوم في من أواخر شهر أغسطس)

المدرسة المتواضعة مقامة في حظيرة مهجورة أو سقيفة قش، أو زريبة أبقار. على طول الحائط الخلفي ثمة بقايا خمسة أو ستة مرابط أبقار - سلاسل ودعائم خشبية - حيث كانت الأبقار تحلب وتنام. باب مزدوج إلى اليسار، واسع بما يكفي لدخول عربة. نافذة إلى اليمين. سُلَّم خشبي ليس له عمود درابزين يؤدي إلى أجزاء المعيشة العلوية «البعيدة» لمدير المدرسة وولده. في أرجاء الغرفة أدوات محطمة ومهملة: عجلة عربة، بعض أواني الجمبري، أدوات زراعة، كومة قش، ممخضة اللبن... إلخ. يوجد أيضا مقاعد الأقدام والمقاعد التي يستعملها الطلاب وطاولة وكروسي المدير. عند الباب ثمة دلو ماء ومنشفة متسخة. الغرفة غير مريحة، ومفجرة، وعملية ولا أثر ليد امرأة.

حينما يرتفع الستار، نرى مانوس يعلم سارة النطق. يركع قريبا. وهي تجلس على مقعد أقدام منخفض، مطأطئة الرأس، متوترة جدا، تتشبث بلوح كتابة على ركبتيها. هو يتملقها بلطف وثبات، ومثل كل شيء يفعله، بنوع من الحماس.

مانوس في نهاية العشرينيات/ بداية الثلاثينيات من عمره؛ وهو ابن المدير الأكبر. شاحب الوجه، ضعيف البنية، متوتر ويعمل مساعدا لوالده من دون أجر، كمشرف. ملابسه رثة، وعندما يتحرك نرى أنه أعرج.

عيب سارة في الحديث سيئ جدا، بحيث اعتبرها السكان المحليون طيلة حياتها غبية وقد قبلت بهذا؛ وعندما ترغب بالتواصل تنخر وتصدر أصواتا أنفية غير مفهومة. لها مظهر فتاة متشردة، ويمكن أن يتراوح عمرها بين السابعة عشرة والخامسة والثلاثين.

جيمي جاك كيسبي، المعروف بالطفل العبقري، يجلس وحيدا، يقرأ بسعادة هومر باللغة اليونانية، وبيتسم لنفسه. غير متزوج وفي الستينيات من عمره، ويعيش وحيدا، ويأتي إلى هذه الدروس المسائية بحثا عن الصحة من جانب، وعن التحفز الفكري من جانب آخر. هو طليق باللغتين اللاتينية واليونانية، لكنه غير متحذلق أبدا. الحديث بهذين اللسانين أمر طبيعي بالنسبة إليه تماما. لا يفتسل أبدا. ملابسه المؤلفة من معطف ثقيل، وقبعة، وقفازين يلبسهما الآن متسخة جدا وهو يرتديها صيفا وشتاء، ليلا ونهارا. هو

يقرأ الآن بصوت هادئ ويبتسم بسعادة
غامرة. بالنسبة إلى جيمي عالم الآلهة
والأساطير القديمة حقيقي وفي المتناول مثل
الحياة اليومية في أراضي بايلي بيچ. يمسك
مانوس يد سارة بين يديه، ويتلفظ بكلماته
ببطء ووضوح وهو ينظر في وجهها.

مانوس: إننا نقوم بعمل ناجح جدا. وسوف نحاول ذلك
مرة أخرى، فقط مرة أخرى. والآن استرخي
وخذي نفسا عميقا... ثم زفيرا... شهيقا...
ثم زفيرا...

(تهز سارة رأسها بقوة وعناد)

هيا يا سارة. هذا هو سرُّنا

(مرة أخرى رأس سارة يهتز بقوة وعناد)

لا أحد يصغي. لا أحد يسمعك

جيمي: لكن الإلهة أثينا صاحبة العينين الرماديتين
أجابته عندئذ.

مانوس: حركي لسانك وشفتيك. «اسمي... هيا،
محاولة أخرى. «اسمي هو...» أنت فتاة
طيبة.

سارة: اسـ

مانوس: عظيم. «اسمي...».

سارة: اسـ... اسـ...

مانوس: ارفعي رأسك. قوليه بصوت عالٍ. لا أحد يصغي.

جيمي: «لكنه يجلس مرتاحا في قاعات أبناء
أثينا...».

مانوس: جيمي، توقف من فضلك. مرة أخرى... فقط
مرة أخرى... «اسمي»... أنت فتاة طيبة. هيا
الآن. ارفعي رأسك. افتحي فمك.

سارة: اسم...

مانوس: جيد

سارة: اسم...

مانوس: عظيم

سارة: اسمي...

مانوس: نعم؟

سارة: اسمي هو...

مانوس: نعم؟

(تتوقف سارة قليلا ثم باندفاع)

سارة: اسمي هو سارة

مانوس: رائع! رائع جدا

(يعانق مانوس سارة. تبتسم هي بسعادة

خجولة ومرتبكة)

هل سمعت هذا يا جيمي؟... «اسمي هو

سارة»... واضح مثل رنين جرس (مخاطبا

سارة) إن الطفل العبقري لا يعلم ما نقوم به.

تضحك سارة لهذا. يعانقها مانوس ثانية

وينهض واقفا.

لقد بدأنا الآن حقاً! لا شيء سيوقفنا الآن! لا شيء في العالم كله!

(يقترب جيمي منهما وهو يضحك بينه وبين نفسه حول أمر في نصه).

جيمي: أصغ إلى هذا يا مانوس.

مانوس: قريباً سوف تخبريني بكل تلك الأسرار التي كانت قابعة في رأسك طيلة تلك السنوات. نعم يا جيمس... ما الأمر؟

(مخاطباً سارة) هلا نظمت مقاعد الأقدام؟ (يركض مانوس إلى الطابق العلوي)

جيمي: انتظر حتى تسمع هذا يا مانوس.

مانوس: تابع، سأنزل فوراً.

جيمي: وما إن تحدثت أثينا بهذا حتى لمستته بعصاها السحرية.

وجعّدت جلد أعضائه اللينة الجميل، وخربت شعره الكتاني وأزالته من على رأسه، وألبست أعضائه جلد رجل عجوز...! «الشيطانة! الشيطانة!»

(ظهر مانوس ثانية يحمل سلطانية من الحليب وقطعة خبز)

وانتظر حتى تسمع! إنها لم تنته منه بعد! (يومئ مانوس إلى سارة أنه يشرب نخبها بسلطانية، وهو يهبط الدرج) «وأضعفت بصر

عينيه اللتين كانتا بالغتي الجمال» وألبسته
عباءة رثة تافهة ملوثة بالسخام القذر...! هل
ترى! السخام! السخام! هل ترى! بالتأكيد
انظر إلى ما فعله سخام الطبقة العليا من
التربة لي! (يرفع قبعته بسرعة ليظهر رأسه
الأصلع) هل ستسمي هذا شعرا كتانيا؟

مـانوس: بالطبع سأسميه كذلك.

جـيمي: «وألقت حوله جلدا واسعا لأنثى أيلٌ قذرة،
منزوع الشعر، ورمت في يده عصى وحقيبة
سفر»! ها... ها... ها! أثينا فعلت ذلك
بيوليسييس! حولته إلى متشرد! أليست هي
البارعة؟

مـانوس: ليس بإمكانك أن تتظر إليها يا جيمي.

جـيمي: أتعلم ما يدعونها؟

مـانوس: أثينا... ذات العينين البراقتين.

جـيمي: هو ذاك! أثينا ذات العينين البراقتين!

بالله، يا سيد مانوس، لو كان عندك في
المنزل امرأة كهذه، فلن تفكر في تعرية ضفة
مرجها؟

مـانوس: كانت إلهة يا جيمي.

جـيمي: بل وأفضل. بالتأكيد أليست غرانيا خاصتنا
نوعا من آلهة و...

مـانوس: من؟

جـيـمـي: غرانيا ... غرانيا ... غرانيا داير مويد.
مـانوس: آه.

جـيـمـي: ولا ريب أنها تحب الرجال.
مـانوس: جيمي، إنك امرؤ لا يطاق.
جـيـمـي: في الليلة الماضية، كنت أقول لنفسي فحسب:
لو قدر لك أن تختار بين أثينا وأرتيمس
وهيلانة طروادة وثلاثتهن بنات زيوس...
تصور ثلاث بنات قويات مثلهن في أبرشية
أثينا!... والآن لو أعطيت الخيار بينهن فأيهن
كنت ستختار؟

مـانوس: (مخاطبا سارة) من سأختار يا سارة؟
جـيـمـي: لا إساءة إلى هيلانة، ولا إساءة لأرتيمس،
وفي الحق لا إساءة إلى غرانيا خاصتنا يا
مانوس. بيد أنني أعتقد أن لا خيار لي سوى
الذهاب مباشرة كنور إلى أثينا. أقسم بالله يا
سيدي أن هاتين العينين البراقتين تستطيعان
بسهولة أن تبقي الرجل يهتز باستمرار!
يقف جيمي فجأة وفورا، كما لو أنه في فورة
نشاط، بانتباه، ووجهه مرفوع بنشوة متألمة.
يضحك مانوس، وكذلك سارة. يعود جيمس
إلى مقعده وقراءته.

مـانوس: أنت رجل خطير جدا يا جيمي جاك.
جـيـمـي: «ذات العينين البراقتين» هاه! هومر يعرف

بالتأكيد المسألة كلها يا ولد . هومر يعرف
المسألة كلها .

يذهب مانوس إلى النافذة وينظر إلى الخارج .

—————انوس: إلى أين ذهب بحق الجحيم؟

تذهب سارة إلى مانوس وتلمس كوعه . وتقلد
هزّ طفل .

نعم، أعلم أنه في حفلة تعميد، ولكن تسمية
ولد لا تستغرق نهارا كاملا، أليس كذلك؟

تقلد سارة حركة صبّ الشراب ثم تشرب
بسرعة .

ربما أنتِ على حق . في أي حانة؟

تشير سارة

حانة غراسي؟

لا، أبعد

حانة كون كوني تيم؟

لا . إلى يمينها .

حانة آنا نامبر يغز؟

نعم . تلك هي .

عظيم . سوف تملأه شرابا . أعتقد أنه عليّ أن
أبدأ الدرس إذن .

يبدأ مانوس بتوزيع بعض الكتب وألواح الكتابة

والطبشور والنصوص ... إلخ، إلى جانب

المقاعد . تذهب سارة إلى كومة القش وتخرج

باقة أزهار كانت قد خبأتها هناك. في هذه
الأثناء.

جيمي: ولكنه مضى قدما من الميناء... ولكنه مضى
قدما من الميناء، ثم عبر الغابة إلى المكان
الذي كانت قد أخبرته عنه أثينا، والذي
يمكنه أن يجد فيه مربى الخنازير الطيب
الذي كان الأكثر عناية بثروته... ما معنى هذا
يا مانوس؟

مانوس: «الذي كان الأكثر عناية بممتلكاته».

جيمي: هذا صحيح! «مربى الخنازير الطيب الذي
كان الأكثر عناية بممتلكاته من كل العبيد
الذين كان يملكهم يوليسيس».

تقدم سارة الأزهار إلى مانوس

مانوس: هذه أزهار جميلة يا سارة.

لكن سارة تضر إلى مقعدها محرجة
وتخفي وجهها وراء كتاب. يذهب مانوس
نحوها.

أز... هار

وقفة قصيرة. سارة لا ترفع عينيها عن
الكتاب.

سارة: قللي الكلمة: أز... هار. هيا... أز... هار.

مانوس: أزهار.

أترين؟... لقد انطلقت!

ينحني مانوس ويقبل قمة رأس سارة.

وهي أزهار جميلة. شكرا لك

تدخل مائير، وهي امرأة قوية العقل والجسم
في العشرينيات من عمرها، رأسها أجعد
الشعر، حاملة علبة حليب صغيرة.

مائير: أين الباقون؟ ألا توجد مدرسة في هذا المساء؟

مانوس: إذا لم يعد والدي فسوف أتولى أنا الأمر.

يقف مانوس على نحو أخرق بعد أن ضُبط
وهو يقبل سارة، حاملا الأزهار قريبة من
صدره في وقفة رسمية.

مائير: حسنا... والآن أليس هذا مشهدا جميلا. هذا

حليبك. كيف سارة؟

تجيب سارة بنخرة

مانوس: رأيتك في الخارج عند القش.

تتجاهل مائير هذه الإشارة، وتمضي نحو
جيمي.

مائير: وكيف حال جيمي جاك كيسي؟

جيمي: اجلسي بالقرب مني يا مائير.

مائير: هل سأكون في مأمن؟

جيمي: لا يوجد رجل في دونيجال أكثر أمانا مني.

تجلس مائير فجأة على كرسي أقدام بجانب
جيمي.

مائير: أووووه. يقولون إنه أفضل موسم حصاد في

الذاكرة الحية، لكنني لا أريد أن أرى موسما
آخر مثله (تريه يديها) انظر إلى البثور.

جيمي: هل أنت متعبة؟

مائي: أنا متعبة جداً؟

جيمي: جيداً ممتازاً!

مائي: هذا كل ما لدي من اللغة اللاتينية. يناسبني
الأمر أكثر، لو كان لدي من الإنجليزية، مثل
هذا المقدار.

جيمي: اللغة الإنجليزية؟ ظننت أنك تعرفين القليل
منها؟

مائي: أعرف ثلاث كلمات. انتظر. ثمة قول مأثور كنت
أعرفه عن ظهر قلب. ماذا كان ذلك القول؟
لهجتها غريبة لأنها تتحدث لغة أجنبية، ولأنها
لا تفهم ما تقول.

«في نورفولك نترى حول سارية مايو» ما
رأيتك بهذا؟

مانوس: (يصحح لها) سارية عيد أول مايو.
مرة أخرى تتجاهل مائي مانوس

مائي: رحم الله عمتي ماري، لقد علمتني هذه العبارة
حينما كنت في حوالي الرابعة من عمري، أيا
كان معناها. هل تعرف ما تعنيه يا جيمي؟

جيمي: أنت تعرفين بالتأكيد أن لغتي هي الأيرلندية
مثلك فقط.

مائير: واللاتينية واليونانية.

جيمي: أنا أكذب عليك. إنني أعرف كلمة إنجليزية واحدة.

مائير: ما هي؟

جيمي: صدر

مائير: ماذا تعني صدر... در؟

جيمي: تعلمين (يشير إلى المعنى بيديه) صدر... در... صدر... در... تعلمين... ديانا الصيادة، لها نهدان كبيران.

مائير: من المؤكد أن هذه هي الكلمة الإنجليزية التي تحرص على معرفتها (تتهض) هل ثمة نقطة ماء هنا؟

يقدم مانوس سلطانية حليبه إلى مائير.

مانوس: أنا آسف أنني لم أتمكن من النهوض ليلة أمس.

مائير: لا يهم.

مانوس: أرسلت إلى هانا لأكتب رسالة إلى أختها في نوفاسكوشيا. كل ما يدور في الأبرشية: «جلبت البقرة إلى الثور ثلاث مرات الأسبوع الماضي دون جدوى. لم يبق شيء فيما يخص ذلك سوى بيع نيد فرانك».

مائير: (تشرب) ذلك أفضل.

مانوس: واستغرقها الأمر تماما بحيث نسيت على من

كانت تملي: «مدير المدرسة السكير العجوز
وابنه الأعرج لا يزالان يمشيان على أقدامهما
في المدرسة المتواضعة يضيعان أوقات الناس
الثرينة ونقودهم».

ينبغي على مائير أن تضحك لهذا

مائير: لم تقل هذا!

مانوس: وأنا أدون كل هذا: «حمدا لله أن واحدة من
المدارس الوطنية الجديدة تبنى الآن في
الأعلى في بول ناجكورايش» ولم أعد إلا بعد
منتصف الليل.

مائير: أمر عظيم أن تكون رجلا مشغولا.

تبتعد مائير ويتبعها مانوس

مانوس: سمعت الموسيقى وأنا في طريق عودتي
بالقرب منكم لكنني اعتقدت أن الوقت متأخر
لأعرج صوبكم.

مائير: (تخاطب سارة) ألم يكن صوت أبيك عظيما

ليلة أمس؟

تومئ سارة وتبتسم.

لا بد أن الوقت كان يقارب الساعة الثالثة

حينما عدتم إلى البيت؟

ترفع سارة أربعة أصابع.

هل كانت الرابعة؟ لا غرابة أننا متفرقون

ممزقون.

مــــــــــــــــانوس: يمكنني مساعدتك في حزم القش غدا.
مائــــــــــــــــير: ذلك هو اسم الرقصة المزمارية، أليس كذلك؟
«الأستاذ في حقل القش» أم هل هي رقصة
أسكتلندية؟

مــــــــــــــــانوس: إذا كان اليوم جيدا.
مائــــــــــــــــير: أنت وشأنك. الجنود الإنجليز في الأسفل في
الخيام، شبان الألغام، سيأتون لمساعدتنا. لا
أفقه كلمة مما يقولون، ولا هم يفهمونني، لكن
هذا لا أهمية له، أليس كذلك؟

مــــــــــــــــانوس: بحق الجحيم لم أنت نكدة المزاج هكذا؟
يدخل دوالتي وبريجيت دخولا صاخبا.
كلاهما في العشرينيات من العمر.
دوالتي يلوح بسارية المسّاح. إنه شاب متفتح
الذهن طيب القلب سمين قليلا.
بريجيت صبية سمينة غضة مستعدة
للضحك، مختالة، ولديها دهاء المرأة الريفية
الفطري.

يدخل دوالتي وهو يقلد مدير المدرسة.
دوالــــــــــــــــتي: تحية مسائية لكم جميعا.
بريــــــــــــــــجيت: إنه قادم مارا بكاريج ناري، وهو ممتلئ
مثل خنزير.
دوالــــــــــــــــتي: جهلة، حمقى، فلاحون سقاة.
وفلاحون وضيعون شبه أميين وأبناء حرام.

بريجيت: إنه لا يزال على مخيض اللبن والبيض منذ هذا الصباح، لقد أرسل الصغار إلى البيت في الساعة الحادية عشرة.

دوالتي: ثلاثة أسئلة. السؤال أ: هل أنا مخمور؟
السؤال ب: هل أنا صاح؟ (يحدق في وجهه مائير) أجيبني... أجيبني!

بريجيت: السؤال ج يا مدير... آخر مرة كنت صاحيا فيها متى؟

مائير: ما هو السلاح يا دوالتي.

بريجيت: لقد حذرته، سيعتقل في يوم ما من هذه الأيام.
دوالتي: في أعلى المستنقع مع بريجيت وفلاحها العجوز، وكانت المعاطف الحمراء قبالتنا تماما على سفح كنوك نا مونا، يجرون سلاسلهم العتيقة، ويتلصصون من خلال تلك الآلة الكبيرة التي يجرونها معهم إلى كل مكان...
هل تعرف اسمها يا مانوس؟

مائير: مزواة(*).

بريجيت: كيف تعرفين اسمها؟

مائير: إنهم يتركونها أحيانا في زربتنا ليلا إذا تساقط المطر.

جيمي: مزواة Theodolite؟ مانوس ما أصل هذه الكلمة؟

(*) أداة لقياس الزوايا (المترجم)

مـانوس: ليس لدي أدنى فكرة.

بريجيت: تابع القصة.

جيمي: ثيو... ثيوس... أمر ذو علاقة بإله. ربما

بشيا... إلهة! ما شكل ذلك النير؟

دوالتي: «شكل!» هلا أغلقت فمك أيها الرجل

العجوز! أخرجك أنت! على أي حال، كلما

نصبوا واحدا من هذه الأعمدة في الأرض

وانتقلوا عبر المستنقع، كنت أزحف وأنقله

عشرين أو ثلاثين خطوة جانبا.

بريجيت: يا إلهي!

دوالتي: ثم يعودون ويصدقون به وينظرون في

حساباتهم ثم يصدقون به ثانية ويحكون

رؤوسهم، ثم وحق المسيح هل تعرفون ما

توصلوا إلى فعله في النهاية؟

بريجيت: انتظروا حتى تسمعوا!

دوالتي: فككوا الآلة اللعينة! (ويتكلم فورا برطانة غير

مفهومة، محاكيا اثنين من مهندسي الألغام

هائجين ومزتبكين يتبادلان الحديث بسرعة).

بريجيت: هذه هي صورتهم!

مائيير: ينبغي أن تكون فخورا بنفسك يا دوالتي.

دوالتي: ماذا تعنين؟

مائيير: كان ذلك عملا ذكيا جدا.

مـانوس: كان إيماءة.

مائير: أي نوع من الإيماءات؟

مانوس: فقط للإشارة... إلى حضور.

مائير: هاه!

بريجيت: ها أنا أقول لك... سيتم اعتقالك.

حينما يكون دوالي مرتبكا، أو مسرورا، يكون رد فعله جسديا. إنه يحيط خصر بريجيت بذراعيه الآن.

دوالي: أي أداة يمكنك أن تجعلي من تلك الآلة يا بريجيت؟ ألا تصلح أن تكون رمحا عتيقا عظيما لمخضتك.

بريجيت: اتركني أيها الفاسق القذر! لدي ترويسة اكتبها قبل أن يأتي بيج هيوي.

مانوس: لا أظن أننا سننتظره. دعونا نبدأ.

يبدأون بالتحرك نحو مقاعدهم ومهماتهم المحددة ببطء وتردد. يذهب دوالي إلى دلو الماء لدى الباب ويفسل يديه، وتضع بريجيت أمامها مرآة يد وتمشط شعرها.

بريجيت: كان من المفترض تعميد ابن نيللي صاحبة الشعر الأحمر هذا الصباح. هل سمع أي منكم بالاسم الذي أطلقتته عليه؟ هل سمعت يا سارة؟

سارة: تتخر: لا

بريجيت: هل سمعت يا مائير؟

مائير: لا

بريجيت: يقول أخونا شيموس إنها كانت تهدد بتسميته باسم أبيه.

دوالتي: من هو الأب؟

بريجيت: تلك هي القضية، أنت أيها الحمار أنت! دوالتي: آه.

بريجيت: إذن هناك عدد كبير من الوعول المضطربة حول بايلي بيع هذا اليوم.

دوالتي: أخبرتي من الأحد الماضي أنها ستدعوه جيمي.

بريجيت: أنت كاذب يا دوالتي.

دوالتي: أكذب عليك؟ مرحبا، جيمي، إن فلاح نيللي رودا العجوز يبحث عنك.

جيمي: عني؟

مائير: دوالتي، كفى.

دوالتي: أخبره أحدهم...

مائير: دوالتي!

دوالتي: سمع أنك تحفظ الكتاب الأول من هجائيات هوراس عن ظهر قلب...

جيمي: ذلك صحيح

دوالتي: ... ويريدك أن تتلوه عليه.

جيمي: سأفعل ذلك لأجله، بالتأكيد، بالتأكيد.

دوالتي: إنه يتحرق لسماعه.

يبحث جيمي عن شيء ما في جيوبه.

جيمي: صادفت هذا ليلة أمس... سيروك هذا...
في الكتاب الثاني من عمل فيرجل
«جورجيكس».

دوالتي: أحلف بالله، هذه منطقتي... هيا قل
ما عندك.

بريدجيت: أنت أيها المهرج أنت! (تخاطب سارة)، أمسكي
هذه عني، هلا أمسكتها (تقصد مرأتها).

جيمي: أصغ إلى هذا يا مانوس، «تلك الأرض
السوداء والخصبة تحت ضغط
المحراث...»

دوالتي: والآن أثبت... على رسلكم، يا أولاد، على
رسلكم... لا تستعجلوني، يا أولاد (يحاكي
وضع من يقوم بتركيز ذهني عميق).

جيمي: مانوس؟

مانوس: «تلك الأرض السوداء الخصبة تحت ضغط
المحراث...»

دوالتي: أعطني فرصة!

جيمي: ومع تربة هشة... ومع تربة هشة هي
الأفضل لزراعة الذرة...

دوالتي: هذه هي.

جيمي: «ولن تروا من أي أرض أخرى المزيد من
العربات تتجه نحو البيت خلف ثيران مخصية

بطيئة» فيرجل! ها هو!

دوالتي: «ثيران مخصية بطيئة».

جيمي: أليس هذا ما أقوله لك دوما؟ الأرض السوداء للذرة. ذلك ما ينبغي عليك أن تزرع في حقلك العلوي ذاك... ذرة وليس بطاطس.

دوالتي: هلا استمعتم إلى هذا الفلاح! والله إنه لأكسل من أن يستحم، ثم ها هو يلقي عليّ محاضرة حول الزراعة! هلا ذهبت وأخذت درسا في سباق الركض يا جيمي جاك كيسي! (يمسك سارة)، سارة، اخرجي من هذا معي، وسنزرع شيئا من الذرة معا.

مانوس: حسنا... حسنا. دعونا نهذاً وننجز بعض العمل. أعرف أن شين بيج غير قادم... إنه يصطاد سمك السلمون. ماذا بشأن التوأم دونيللي؟ (مخاطبا دوالتي) ألن يأتي التوأم دونيللي إطلاقا؟

يهز دوالتي كتفيه استهجانا ويعرض جانباً.
هل سألتهما؟

دوالتي: لم أرهما، وبخاصة في هذه الأيام.
يبدأ دوالتي الصفير خلال أسنانه. وفجأة يصبح الجو صامتا مشوبا بالحدز.

مانوس: أليسا هما في البيت؟

دوالتي: نعم، ليسا في البيت.

مانوس: إذن أين هما؟

دوالتي: أنى لي أن أعرف؟

بريجيت: أخونا شيموس يقول إن اثنين من خيول الجنود وجدوا ليلة أمس على سفح المنحدرات في مشاير بيودي... (تتوقف فجأة وتبدأ تكتب بطبشورتها على لوحها) هل تسمعون صرير هذا اللوح القديم؟ لا ريب أن أحدا يمكنه الكتابة على شيء زلق قديم مثل هذا.

مانوس: ما هي الترويسة التي كلفك بها والدي؟

بريجيت: «قمع التعليم أسهل من تذكره».

جيمي: الكتاب الثالث الأجرىكولا، لتاسيتوس.

بريجيت: يا إلهي، ولكنك سارق.

مانوس: هل بإمكانك كتابتها؟

بريجيت: ها هي. هل هي سيئة؟ هل سيغضب مني؟

مانوس: ممتاز. ابق كوعك أقرب إلى جانبك وأنت

تكتبين. دوالتي؟

دوالتي: أنا في جدول ضرب السبعة. أنا ممتاز. أيها

الفتى الغر.

ينتقل مانوس إلى سارة.

مانوس: هل تفهمين تلك المقادير؟

تومئ سارة: نعم. ينحني مانوس نحو أذنها.

اسمي سارة.

يمضي مانوس إلى مائير. وبينما هو يحدثها

يتبادل الآخرون الكتب ويتحدثون بهدوء... إلخ.
هل يمكنني مساعدتك؟ ماذا تفعلين.

مائيـر: خريطة أمريكا (وقفة قصيرة) وصلت نقود
الرحلة يوم الجمعة الماضية.

مـانوس: لم تخبريني بهذا أبدا.

مائيـر: لأنني لم أرك منذ ذلك الوقت، أليس كذلك؟

مـانوس: أنت لا ترغبين في الذهاب. قلت هذا بنفسك.

مائيـر: ثمة عشرة أصغر مني يحتاجون إلى الرعاية،
ولا يوجد رجل في المنزل. ماذا تقترح؟

مـانوس: هل ترغبين في الذهاب؟

مائيـر: هل قدمت طلبا للعمل في المدرسة القومية
الجديدة؟

مـانوس: لا.

مائيـر: قلت إنك ستفعل.

مـانوس: قلت ربما أفعل.

مائيـر: حينما تفتح أبوابها، فإن هذه ستنتهي: لن
يدفع أحد للالتحاق بمدرسة متواضعة في
الهواء الطلق.

مـانوس: أعرف ذلك، وأنا...

يتوقف لأنه يرى سارة تصغي على ما يبدو من
وراء ظهره.. تبعد عنه ثانية.

كنت أفكر أنه ربما يمكنني...

مائيـر: إنك تضيع ستة وخمسين جنيها في السنة.

مـانوس: لا أستطيع التقدم لهذا العمل.

مائير: وعدتني أنك ستفعل.

مـانوس: والدي تقدم بطلب للحصول على هذا العمل.

مائير: هو لم يتقدم!

مـانوس: أمس الأول.

مائير: بحق الله، لا ريب أنك تعلم أنه أبدا لن...

مـانوس: لا أستطيع... لا أستطيع الوقوف ضده.

تتظر مائير إليه لحظة ثم:

مائير: أنت وشأنك (مخاطبة بريجيت) رأيت أخاك

شيموس متجها إلى مهرجان بورت مبكرا في

هذا الصباح.

بريجيت: وانتظري حتى تسمعي هذا... نسيت أن

أخبرك به. قال إنه حالما عبر فوق الهوة عند

كنوك نا مونا مباشرة وراء المكان الذي يقوم

فيه الجنود برسم الخرائط، كانت الرائحة

العذبة منتشرة في كل مكان.

دوالتي: لم تخبريني بهذا أبدا.

بريجيت: طار من رأسي.

دوالتي: هل شاهد المحاصيل في بورت؟

بريجيت: بعضها.

دوالتي: كيف بدت رؤوسها؟

بريجيت: جيدة... على ما أعتقد.

دوالتي: مزهرة؟

بريجييت: لا أعلم. أظن ذلك. هو لم يقل شيئاً عن هذا.
مـانوس: الرائحة العذبة فقط... أهذا كل شيء؟
بريجييت: يقولون «إن هذه هي الطريقة تتسلل فيها داخلية»، ألم يقولوا هذا؟ الرائحة أولاً، ثم في إحدى الصباحات تكون السويقات كلها سوداء ورخوة.

دوالتي: هل أنت غبية؟ إكراما لله، السويقات المتعفنة هي التي تصدر الرائحة العذبة. تلك هي الرائحة... سويقات متعفنة.

مائيير: رائحة عذبة! رائحة عذبة! في مثل هذا الوقت من كل عام يرجع أحدهم بقصص عن الرائحة العذبة. يا إلهي الحبيب، هل فشل موسم البطاطا في يوم من الأيام في بايلي بيج؟ حسنا، هل حدث هذا في يوم من الأيام؟ لم يحدث أبدا! لم تقع هنا آفة زراعية أبدا. أبدا. ولكننا دوما نتشمم هنا وهناك بحثا عنها، أليس كذلك؟... بحثا عن كارثة. الإيجارات سترتفع مرة أخرى... سيضيع المحصول... سمك الرنكة هرب إلى الأبد... سيكون هناك طرد للمستأجرين. أقسم بالله أن بعضكم أيها الناس لن يسعد ما لم تحل به التعاسة، ولن ترضوا حتى يوارىكم الثرى.

دوالـتـي: أنت محقة يا مائير، ولا ريب أن القديس كولوسيل تنبأ بأنه لن تحدث أي مصيبة هنا. لقد قال: ستزهر البطاطس في بايلي بيع إلى أن تنمو للأرانب آذان إضافية.

وبالتأكيد فإن هذا لن يحدث مطلقاً. إذن فنحن بخير، ثلاث سبعات هي واحد وعشرون، وأربع سبعات هي ثمان وعشرون، وسبع سبعات هي تسع وأربعون... مرحبا جيمي، هل تتخيل حظوظي كمدير للمدرسة الوطنية الجديدة؟

جـيـمـي: ما ذلك؟ ما ذلك؟

دوالـتـي: آغ، أقفل عائداً إلى اليونان وطنك يا ولدي.

مائير: ينبغي أن تقدم طلباً يا دوالتي.

دوالـتـي: أعتقد ذلك؟ والله، سأفعل ربما. هاه!

بريجـيـت: هل تعلم أن عليك أن تبدأ في سن السادسة، وعليك أن تظل فيها مكرها حتى تبلغ الثانية عشرة على الأقل... بغض النظر عن مستوى ذكائك وكمية معلوماتك.

دوالـتـي: من أخبرك بهذا الحديث؟

بريجـيـت: وينبغي على كل طفل من كل منزل الذهاب إلى المدرسة طوال النهار كل يوم، سواء في الصيف أو الشتاء، هذا هو القانون.

دوالـتـي: سأقول لك شيئاً... لن يقترب منهم أحد...

لأنهم لن ينجحوا... بقانون أو بغير القانون.
بريجيت: وكل شيء في هذه المدارس سيكون مجاناً، لا
تدفع لقاء شيء سوى الكتب التي تستعملها،
هذا ما يقوله أخونا شيموس.
دوالتي: «أخونا شيموس». بالتأكيد لن يدفع أخوك
شيموس على أي حال. إنها تختلق هذا كله..
بريجيت: أليس هذا صحيحاً يا مانوس؟
مانوس: أعتقد أن هذا صحيح.
بريجيت: ومنذ اليوم الأول الذي تذهب فيه، لن تسمع
كلمة واحدة تنطق باللغة الأيرلندية. سيتم
تعليمك الحديث بالإنجليزية وستدرس كل
مادة باللغة الإنجليزية، وسيصبح الكل أذكاء
مثل شعب بنكرانا.
تنخر سارة فجأة وتشير محذرة بأن المدير
قادم. يتغير الجو. الرؤوس منحنية، والكل
مشغول فجأة.
دوالتي: إنه هنا يا أولاد. والله سيجعل مني وجبة
حساء بسبب تلك الجداول اللعينة.
بريجيت: هل لديك ثمرة طبشور زيادة يا مانوس؟
مائير: ولي الأطلس.
يذهب دوالتي إلى مائير التي تجلس على
كرسي أقدام في الخلف.
دوالتي: استبدلي مقعدك.

مائيـر: لماذا .

دوالـتي: هناك مقعد فارغ بجانب الطفل العبقري .

مائيـر: أنا مرتاحة هنا .

دوالـتي: مائير، من فضلك، أريد أن أمزح هنا في الخلف .

تنهض مائير

أحبك الله (بصوت مرتفع) هل مع أي واحد منكم كتاب جداول لعين . يا إلهي، أنا محطم .
تعطيه سارة كتابا .

يا إلهي، إنني أموت من أجلك .

(أثناء تعجله الوصول إلى المقعد الخلفي،
يصطدم دوالتي ببريجيت الراكعة على الأرض
وهي تكتب بأنهماك على لوح مسند فوق
مقعد دراسي) .

بريجـيت: انتبه إلى طريقك يا دوالتي!

يقرص دوالتي بريجيت . فتطلق صرخة حادة .
الآن طنين العمل الهادئ : جيمي يقرأ هومر
بصوت خافت، وبريجيت تنسخ ترويستها،
ومائير تدرس الأطلس، ودوالتي يكرر من غير
فهم جداوله وعيناه مطبقتان تماما، وسارة
تحل مسائل حسابية . بعد بضع ثوان:

بريجـيت: هل حرف «الجيم» هذا صحيح يا مانوس، كل
تضع له ذيلًا؟

دوالتي: هلا أغلقت فمك! أنا لا أستطيع التركيز!
بضع ثوان أخرى من العمل. ثم يفتح دوالتي
عينيه وينظر حوله.
تحذير زائف يا أولاد. التافه ليس قادما أبدا.
لا ريب أن هذا التافه لا يستطيع المشي إلا
بالكاد.

وفورا، يدخل هيو. رجل ضخيم لديه
رواسب كرامة، يرتدي ملابس رثة، ويحمل
عصا. وكما هي العادة دوما فقد تناول
كمية مشروبات كبيرة، إلا أنه ليس ثملا
على أي حال. إنه في أوائل الستينيات من
عمره.

هيو: أنا حاضر يا دوالتي، أنا حاضر ربما لست
صاحيا تماما ولكنني صاح بما يكفي لأسترق
السمع إلى مزاحك.
تحيات مسائية لكم جميعا.
(إجابات متنوعة).

جيمي: مرحبا يا هيو.
هيو: جيمس.

يخلع قبعته ومعطفه ويناولهما مع عصاه إلى
مانوس كما لو أنه يناولهما إلى خادم.
أقدم اعتذاراتي عن وصولي المتأخر: كنا
نحتفل بتعميد ابن نيللي زودا.

بريجيت: (ببراءة) ما الاسم الذي منحته له يا أستاذ؟
 هي: هل كان إيمون؟ أجل، كان إيمون.
 بريجيت: إيمون دونال من تور! يا إلهي!
 هي: وبعد طقس التسمية... مائير؟
 مائير: طقس التسمية.
 هي: صحيح... ثم تناولنا بضع كؤوس من الشراب
 لإظهار المناسبة. على العموم كانت ممتعة
 جدا. ما هو اشتقاق كلمة «يعمد»؟
 أين تلاميذي في اللغة اليونانية؟ دوالتي؟
 دوالتي: هل هي... آ... آ...
 هي: أنت بطيء جدا. جيمس؟
 جيمي: يعمد يغطس أو يرتمس في الماء.
 هي: صحيح... صديقنا بلايني مانيور يتحدث عن
 المغطس الحمام البارد.
 دوالتي: أستاذ.
 هي: دوالتي؟
 دوالتي: افترضُ إذن أن بإمكانك الحديث عن
 تعميد خروف حين تُفسل الخراف، أليس
 كذلك؟
 (ضحك وتعليقات).
 هي: صحيح... هناك سابقة... في اليوم الذي سميت
 فيه دوالتي تسمية «مناسبة»... سبع ساعات؟
 دوالتي: ماذا قلت يا أستاذ؟

هيــــــــــــــــو: سبعة ضرب تسعة؟

دوالــــــــــــــــتي: سبع تسعات . سبع تسعات ... سبعة ضرب تسعة ... سبعة ضرب تسعة هي ... يا إلهي! إنها على طرف لساني يا أستاذ ... عرفتُها بالتأكيد في هذا الصباح ... أمر مضحك أن هذه هي الوحيدة التي تخذعني ...

بريــــــــــــــــجــــــــــــــــيت: (بحزم) ثلاث وستون.

دوالــــــــــــــــتي: ماذا حلَّ بي . بالتأكيد سبع تسعات هي ثلاث وستون يا أستاذ .

هيــــــــــــــــو: إن سوفوكليس من كولون يتفق مع دوالتي دان دوالتي من تولاك ألا يين على أن «أحلى حياة هي ألا يعرف المرء شيئاً» أين شين بيع؟

مــــــــــــــــانوس: إنه عند سمك السلمون.

هيــــــــــــــــو: ونورا دان؟

مــــــــــــــــائير: تقول إنها لن تعود إلى المدرسة أبداً .

هيــــــــــــــــو: آه، الآن تستطيع نورا دان كتابة اسمها ... تعليم نورا دان مكتمل . والتوأم دونالي؟ (وقفة قصيرة، ثم).

بريــــــــــــــــجــــــــــــــــيت: ربما يكونان في حلبة سباق الخيل . (تمضي إلى هيو) إليك الواحد والثمانية المدينة به لك من أجل الربع الأخير من مادة الحساب، وإليك

واحد وستة لهذا الربع من مادة الكتابة.

هيــــــــــــــــو: أنا أشكرك (يجلس أمام طاولته).

قبل أن نبدأ دروسنا لديّ ثلاث معلومات
أقدمها إليكم... (مخاطبا مانوس) آتني
طاسة شاي، شاي قوي، أسود...
يفادر مانوس

المعلومة أ: أثناء جولاتي اليوم... بريجيت؟
أنت بطيئة جدا. مائير؟

مائــــــــــــــــير: من يتجول أن يسير هنا وهناك.

هيــــــــــــــــو: صح... قابلت الكابتن لانسي من وحدة
المهندسين الملكيين العامل في المسح
لأغراض عسكرية في هذه المنطقة.
ويقول لي إنه في الأيام القليلة الماضية
ضلّ جوادان من جياده، ويبدو أن بعض
معداته ضاعت. عبرت له عن أسفي
واقترحت عليه أن يتكلم معكم بنفسه
فيما يتعلق بتلك المسائل. ثم أوضح أنه لا
يتكلم اللغة الأيرلندية. فسألته:
واللاتينية؟ ولا كلمة. واليونانية؟ ولا
مقطع من كلمة. إنه يتحدث، حسب
اعترافه هو، الإنجليزية فقط، ومما أعلى
من شأنه أنه ظهر باللاتينية، متواضعا
كما يجب... جيمس؟

جيمس: تعني متواضعا.

هيـو: صح... لقد عبر عن شيء من الدهشة
لأننا لا نتحدث لغته. فأوضحت أن بعضا
منا يتحدث بها في المناسبات، خارج
الأبرشية بالطبع، ثم في ما يتعلق بالتجارة
عادة...، وهو استخدام يبدو أن لسانه
يناسبه بشكل خاص... (ينادي بصوت
عال) وشريحة من خبز الصودا... وتابعت
ومقتحرا أن ثقافتنا الخاصة والألسن
الكلاسيكية أقامت اتحادا

دوالتي: من كلمة أضم أضم معا.

دوالتي مسرور جدا من نفسه إلى درجة أنه
صار ينخس ويغمز بريجيت.

هيـو: صح... قلت إن اللغة الإنجليزية لا يمكنها
في الحقيقة أن تعبر عنا. ومرة ثانية من
علو شأنه أنه أذعن لمنطقي أذعن...
مثير؟ مثير تستدير جانبا نافذة الصبر.
غير واع لهذه الإيماءة. بطيئة جدا.
بريجيت؟

بريجيت: يذعن.

هيـو: تابعي.

بريجيت: يذعن، مذن، مذنعة، إذعان.

هيـو: صح... والمعلومة ب...

مائير: أستاذ.

هيو: نعم؟

(تقف مائير على قدميها بارتباك ولكن بتصميم. وقفة قصيرة).
حسنا، أيتها الفتاة؟

مائير: ينبغي علينا جميعا أن نتعلم التحدث بالإنجليزية. هذا ما تقوله أمي. وهذا ما أقوله أنا. وهذا ما قاله دان أوكونيل الشهر الماضي في إينس. قال كلما أسرعنا في تعلم اللغة الإنجليزية، كان هذا أفضل. فجأة يتكلم عدد من التلاميذ معا.

جيمي: ماذا تقول؟ ماذا؟ ماذا؟

دوالستي: الأيرلندية هي ما يستخدم حين يطوف البلاد مستجديا أصوات الناخبين.

بريجيت: وينام مع نساء متزوجات. من المؤكد أنه لا توجد امرأة واحدة في مأمن من ذلك الفلاح.

جيمي: من... من... من؟ من هذا؟ من هذا؟

هيو: صمنا (وقفة)، عمّن نتحدث؟

مائير: إنني أتحدث عن دانيال أوكونيل

هيو: هل تعنين ذلك السياسي الصغير من كيري؟

مائير: إنني أتحدث عن المحرّر يا أستاذ كما تعرف جيدا. وما قاله هو التالي: «إن اللغة القديمة عائق في وجه التقدم الحديث». قال هذا في

الشهر الماضي. وهو على حق. أنا لا أريد
اللغة اليونانية. لا أريد اللاتينية. أنا أريد
الإنجليزية.

يظهر مانوس مرة أخرى على سلم المبنى في
الأعلى.

أريد أن أكون قادرة على التكلم بالإنجليزية
لأنني مهاجرة إلى أمريكا حالما يتم تخزين
المحصول بأكمله.

(تظل ماثير واقفة. يدخل هيو يده في جيبه
ويخرج قارورة ويسكي. يزيل السدادة، ويصب
منها جرعة، يتجرعها، يعيد السدادة إلى
مكانها، يعيد القارورة إلى جيبه).

هيــــــــــــــــو: لقد انحرفنا عن موضوعنا انحرف.. ينحرف
أين كنا؟

دوالــــــــــــــــتي: ثلاث معلومات يا أستاذ. أنت الآن لدى
المعلومة ب.

هيــــــــــــــــو: صح... المعلومة ب... المعلومة ب... نعم،
وأنا في طريقي إلى حفلة التعميد في
هذا الصباح، التقيت مصادفة بالسيد
جورج ألكسندر، قاضي الصلح. وناقشنا
مسألة المدرسة الوطنية الجديدة. ودعاني
السيد ألكسندر إلى تولي مسؤوليتها
حينما تفتح أبوابها. شكرته وشرحت له

أن بإمكانني القيام بذلك العمل فقط إذا
ما كنت حراً في إدارتها، كما أدركت هذه
المدرسة المتواضعة طيلة السنوات الخمس
والثلاثين الماضية، مائلاً ما يدعو صديقنا
يوروبيدس برميلاً لا يمكن أن يملأ...
جيمس؟

جيمس: «البرميل الذي لا يمكن ملؤه».
هيو: صح... وردّ السيد ألكسندر بلطف وتوكيد
بأنه يأمل أن هذه هي الطريقة التي ستدار
بها المدرسة.
تجلس مائير الآن.

لقد أمضيت يوماً صعباً حقاً، وأنا قلق عليكم
جميعاً (ينهض) سوف يهتم مانوس بكم.
يمضي هيو نحو الدرج.

يدخل أوين. أوين هو الابن الأصغر، وهو
شاب وسيم جذاب في العشرينيات من عمره.
يرتدي ملابس أنيقة... رجل مدينة. أسلوبه
في التعبير سهل وأسر: وكل ما يفعله يفعله
باهتمام وحماس. هو الآن يقف ضمن إطار
المدخل، وحقيقية سفر متصالبة مع كتفه.

أوين: هل يستطيع أحدكم أن يخبرني فيما إذا كان
هذا المكان هو الذي يدير منه هيو مو أودونيل
مدرسته المتواضعة؟

دوالـتـي: إنه أوين... أوين هيو! انظروا يا أولاد... إنه
أوين هيو!

يدخل أوين. وبينما هيو يعبر الغرفة يلمس كل
واحد من التلاميذ ويقول له كلمة.

أويــــــــــــــــن: دوالتي (مع كلمة مرحة) كيف حالك يا ولد؟
(باللاتينية) هل أنت بخير؟

دوالـتـي: ممتاز، ممتاز.

أويــــــــــــــــن: وبريجيت! أعطنا قبله، آ آ آه!

بريــــــــجـيت: مرحبا بك يا أوين.

أويــــــــــــــــن: أليست هذه...؟ نعم، إنها مائير تشاتاش!

يا إلهي! امرأة شابة!

مــــــــائير: كيف حالك يا أوين؟

أوين الآن أمام هيو. يضع كلتا يديه على كتفي
والده.

أويــــــــــــــــن: وكيف الرجل العجوز ذاته؟

هيــــــــــــــــو: حسن... حسن.

أويــــــــــــــــن: حسن؟ إكراما لله، إنك لم تبد بصورة أفضل

أبدا!

تعال إليّ (يعانق هيو بحرارة وصدق) رائع أن

أراك يا والدي. رائع أن أعود.

تترقرق عينا هيو بالدموع... جزئيا نتيجة

الفرح، وجزئيا نتيجة الشراب.

هيــــــــــــــــو: أنا... أنا... أنا... لا تهتم بـ

أويــــــــــــن: هيا... هيا... هيا (يعطي هيو منديله) هل
تعلم ما سنفعله أنا وأنت الليلة؟ سنذهب إلى
حانة آنانا سبريج...

دوالــــــــــــتي: لا تذهبا إلى هناك يا أوين.

أويــــــــــــن: ولم لا؟

دوالــــــــــــتي: الويسكي لديها أسوأ مما كان من قبل.

بريـــــــــجـــــــــيت: يقولون إنها تضع فيه ضفادع!

أويــــــــــــن: هذا أفضل (مخاطبا هيو) وسوف نثمل أنا

وأنت على نحو أحقق. هذا الأمر تم ترتيبه.

يرى أوين مانوس وهو يهبط الدرج يحمل

الشاي وخبز الصودا.

يلتقيان في أسفل الدرج.

ومانوس!

مــــــــــــانوس: أهلا بك يا أوين.

أويــــــــــــن: أعلم ذلك. وإنه لأمر رائع أن أكون هنا. (يدور

حول نفسه وذراعا ممدودتان) لا أصدق هذا.

أعود بعد مضي ست سنوات فأجد كل شيء

كما كان! لا شيء تغير! ولا شيء واحد!

(يتشمم) حتى تلك الرائحة... تلك هي الرائحة

ذاتها التي وجدت دوما في هذا المكان. ما هي

على أية حال؟ هل هي رائحة القش؟

دوالــــــــــــتي: إنها رائحة أقدام جيمي جاك.

(ضحك جماعي). هذه الدعابة تفتح جيوبا

صغيرة للحوار في أنحاء الغرفة.

أويــــن: كما أن دوالتي دان دوالتي لم يتغير أيضا.

دوالــــتي: أنت محق تماما يا أوين.

أويــــن: جيمي، هل أنت بخير؟

جيــــمي: أتقل هنا وهناك.

أويــــن: هل من خبر عن اليوم الكبير؟

يقابل هذا بآهات وتأوهات.

يكفيك كل هذا الوقت يا جيمي. من الأسهل

العيش مع هومر، أليس كذلك؟

مــــائير: سمعنا قصصا تقول إنك تملك عشرة حوانيت

كبيرة في دبلن... هل هذا صحيح؟

أويــــن: تسعة فقط.

بريدجــــيت: ولديك اثنا عشر حصانا وستة خدم.

أويــــن: أجل... هذا صحيح. يا إلهي العظيم، أصغ

إليهم وهم يشتركون في اللعب علي!

مــــانوس: متى وصلت؟

أويــــن: غادرنا دبلن البارحة صباحا، وأمضينا ليلة

أمس في أوماغ، ووصلنا إلى هنا قبل نصف

ساعة.

مــــانوس: أنت جائع إذن.

هيــــو: صح... أحضر له الطعام... أحضر له شرابا.

أويــــن: ليس الآن، شكرا، في ما بعد... اسمعوا...

هل قطعت عليكم ما أنتم فيه؟

هيــــــــــــــــو: أبدا . لقد فرغنا من مهمات اليوم.
أويــــــــــــــــن: رائع. سأخبركم عن السبب. هناك صديقان
لي ينتظران لدى الباب. يرغبان في لقاءكم،
وأرغب أنا أن تلتقوا بهما. هل لي أن
أدخلهما؟

هيــــــــــــــــو: بالتأكيد، جميعكم ستأكلون وت ...
أويــــــــــــــــن: ليس بعد يا والدي. لقد رأيت المهندسين
العسكريين يعملون في هذه المنطقة طيلة
الأسبوعين الماضيين، أليس كذلك؟ حسنا،
الرجل الأكبر سنا هو الكابتن لانسي ...
هيــــــــــــــــو: أنا التقيت الكابتن لانسي.

أويــــــــــــــــن: عظيم. إنه رسام الخرائط المسؤول عن كل
هذه المنطقة «رسام خرائط» ... جيمس؟
يبدأ أوين يلعب هذه اللعبة، لعبة والده،
ليشارك مستمعيه في الفصل من جانب،
وليظهر من جانب آخر أنه لم ينسها، ثم لأنه
يستمتع بها بالفعل.

جيــــــــــــــــمي: صانع خرائط.
أويــــــــــــــــن: صح ... والرجل الأصغر سنا الذي سافرت
معه من دبلن اسمه الملازم يولاند، وهو ملحق
بدائرة دراسة أسماء المواقع الجغرافية ...
والدي؟ (باللاتينية) أجب؟ أجب؟
هيــــــــــــــــو: هو يمنح الأماكن أسماء.

أوين: صح... مع أنه في الحقيقة خبير بتهجي
الأسماء... دوالتي؟... بطيء جدا...

مانوس: مانوس؟

أوين: التهجي السليم لتلك الأسماء.

صح... صح...

يضحك أوين ويصفق بيديه. ينضم إليه بعض
الآخرين.

جميل! جميل! أقسم بشرفي، إنها لمتعة كبرى
أن أكون هنا معكم جميعا مرة ثانية أيها
الناس «المتحضرين». على أي حال، أيمكنني
إدخالهما؟

هيو: أصدقاؤك أصدقاؤنا.

أوين: سأعود حالا.

(يتجاذب الموجودون أطراف الحديث في
الوقت الذي يتجه فيه أوين نحو الباب.
يتوقف بالقرب من سارة).
وجه جديد. من أنت

سارة: (تردد قصير جدا) اسمي سارة.

أوين: سارة من؟

سارة: سارة جون سالي.

أوين: بالطبع من بن نا باهان! أنا أوين. أوين هيو
مور من بايلي بيج. مسرور لرؤيتك.
وخلال هذا الحوار بين أوين وسارة

هيــــــــــــــــو: هلموا الآن. دعونا نرتب هذا المكان. (يمسح
سطح طاولته بكمّهُ) تحرك يا دوالتي... ارفع
تلك الكتب عن الأرض.

دوالــــــــــــــــتي: حسنا يا أستاذ، بالتأكيد يا أستاذ، إنني أفعل
ما بوسعي يا أستاذ.

يقف أوين لدى الباب.

أويــــــــــــــــن: شيء واحد صغير يا والدي
هيــــــــــــــــو: سكوت!

أويــــــــــــــــن: أنا على جدول رواتبهم.
(سارة تقف جانب مانوس مبتهجة بنجاحها).

ســــــــــــــــارة: مانوس، لقد قلت اسمي!
(مانوس يتجاهل سارة. إنه الآن مهتم بأوين
أكثر من اهتمامه بها).
مــــــــــــــــانوس: لم تتطوع، أليس كذلك؟
(سارة تبتعد).

أويــــــــــــــــن: أنا جندي؟ إنني موظف وظيفه جزئية
كمترجم مدني، ويدفعون لي أجرا أقل مما
أستحق. وعملي هو أن أترجم اللغة القديمة
المهجورة المثيرة للعجب - التي تستمرون أنتم
في الحديث بها - إلى اللغة الإنجليزية
الفصحى الجيدة (يخرج).

هيــــــــــــــــو: تحركوا... تحركوا... تحركوا! نظموا الأشياء.
هيا يا سارة... خبئي ذلك الدلو. لمن هذه

الألواح؟ ليأخذ أحدكم هذه الصحفون إلى
الخارج اسرعوا! اسرعوا (يصب لنفسه شرابا
للمرة الثانية).

يذهب مانوس إلى مائير المشغولة بالترتيب.

مانوس: لم تخبريني أنك مغادرة حتما.

مائير: ليس الآن.

هيو: أنت فتاة طيبة يا بريجيت. هذا هو الأسلوب.

مانوس: كان بإمكانك أن تخبريني على الأقل.

هيو: هل هذه كتبك يا جيمس؟

جيمي: شكرا لك.

مانوس: رائع! رائع! استمري! استمري!

مائير: نتحدث معي حول الزواج، وليس ثمة سقف

فوق رأسك ولا موطئ تحت قدميك. أقترح

عليك أن تقدم طلبا للعمل في المدرسة

الجديدة. ولكن لا... «والدي تقدم للحصول

على العمل» حسنا، لقد حصل عليه وانتهى

الأمر، والآن أنت لا تملك شيئا.

مانوس: استطيع دوما...

مائير: ماذا؟ تعلم، الأعمال الكلاسيكية للأبقار؟ آغ...

(تبتعد مائير عن مانوس).

(يدخل أوين مع لانسي ويولاند. الكابتن

لانسي في منتصف العمر وهو ضابط صغير

جازم ونضر، خبير في مجاله كرسام خرائط،

لكنه صعب مع الناس... وبخاصة المدنيين،
والأجانب منهم على وجه الخصوص. مهارته
تظهر بالأفعال لا الأقوال).

الملازم يولاند في نهاية العشرينيات وأوائل
الثلاثينيات من عمره. وهو طويل ونحيل
ومفرط الطول، شعره أشقر، وسلوكه أخرق
خجول. إنه جندي بالمصادفة).

أويــــن: ها نحن هنا. كابتن لانسي... هذا والدي.
لانســــي: مساء الخير.

يصبح هيو صريحا مع زواره، بل ولطيفا.
هيــــو: لقد التقينا سلفا، أنا وأنت، يا سيدي.
لانســــي: نعم.

هيــــو: ربما في ما بعد، حين...
لانســــي: سأقول ما ينبغي أن أقوله إذا سمحتم،
وباختصار قدر المستطاع. هل يتكلمون أي نوع
من الإنجليزية يا رولاند؟

أويــــن: لا تقلق، سأقوم بالترجمة.
لانســــي: فهمت (يجلو حنجرته. يتكلم كما لو أنه
يخاطب أطفالا... درجة الصوت عالية جدا
والنطق مبالغ فيه)

ربما رأيتموني... رأيتموني... أعمل في هذا
الجزء... الجزء؟ أعمل. نحن هنا... هنا...
في هذا المكان... أتفهمون؟... لنرسم

خريطة... خريطة... خريطة... و...

جيمي: ألا يتكلم اللاتينية؟ (يرفع هيويدا رادعة).

هيو: جيمس

لانسبي: (مخاطبا جيمي) أنا لا أتكلم اللغة الغالية يا سيدي (ينظر إلى أوين).

أوين: تابع

لانسبي: الخريطة هي تمثيل لشيء على الورق...

صورة... أتفهمون ما معنى صورة؟... صورة

ورقية... تبين، وتمثل هذه البلد... نعم؟...

تبين بلدكم بصورة مصغرة... رسم متدرج

على مقياس على ورق ال... ال... ال.

يضحك دوالتي فجأة ضحكة نصف

مكبوتة، ثم بريجيت، ثم سارة. يتدخل

أوين بسرعة.

أوين: ربما يكون من الأفضل لو افترضت أنهم

يفهمونك...

لانسبي: نعم؟

أوين: وسوف أترجم وأنت تواصل في الحديث.

لانسبي: فهمت، نعم، حسن جدا. ربما أنت على حق.

حسنا. إن ما نقوم به هو هذا.

ينظر إلى أوين فيومئ أوين مطمئنا له.

لقد أصدرت حكومة جلالة الملك أمرا بإجراء

أول مسح عام لهذا البلد بأكمله. مسح وفق

علم المثلثات سوف يضم معلومات مفصلة عن المصادر المائية والتضاريس الأرضية، وسينفذ على مقياس ست بوصات مقابل كل ميل إنجليزي.

هيــــــــــــــــو: (يصب شراباً) رائع... رائع.

(ينظر لانسي إلى أوين).

أويــــــــــــــــن: ثمة خريطة يتم إنجازها للبلد بأكملها.

ينظر لانسي إلى أوين نظرة تساؤل: هل هذا كل شيء؟ بيتسم أوين مطمئناً ويشير إليه أن يتابع.

لانــــــــــــــــسي: لقد جرى التصدي لهذا العمل الهائل حتى يتم تزويد السلطات العسكرية بمعلومات دقيقة وحديثة حول كل زاوية في هذا الجزء من الإمبراطورية.

أويــــــــــــــــن: والجنود هم الذين يقومون بهذا العمل لأنهم ماهرون به.

لانــــــــــــــــسي: وأيضاً حتى يعاد تقييم قاعدة تثمين الأراضي بأكملها لأهداف تخدم فرض ضرائب أكثر عدلاً.

أويــــــــــــــــن: ستحل هذه الخريطة محل خريطة وكيل العقارات بحيث تعرفون من الآن فصاعداً بالضبط ما هو لكم حسب القانون.

لانــــــــــــــــسي: وفي الختام أحب أن أقتبس مقطعين

مختصرين من الكتاب الأبيض الذي يمثل شرعتنا الحاكمة: (يقرأ) «لقد نجمت كل المسوحات السابقة لأيرلندا في الأصل عن التزوير ونقل الملكية بالعنف. أما المسح الحالي فالهدف منه هو إعتاق ملاك الأراضي ومحتليها على السواء من نظام ضرائب ظالم».

أوين: يأمل الكابتن أن الشعب سيتعاون مع المهندسين، وأن الخريطة الجديدة ستعني تخفيضا في الضرائب.

هيو: هذا مشروع ذو أهمية مهمة مشرفة، وما هو المقطع ب؟

لانسلي: «إيرلندا محظوظة. ليس ثمة مسح كهذا يجري تنفيذه في إنجلترا. لذلك فإن هذا المسح لا يمكن إلا الترحيب به كبرهان على حرص هذه الحكومة على تطوير مصالح أيرلندا وتقديري لكم أيضا.

أوين: وهذا الملازم يولاند... كلاهما من المهندسين الملكيين... هذا والدي.

هيو: على الرحب والسعة أيها السيدان.

يولاند: ولك أيضا... كيف أنت؟

هيو: مرحبا بكما

أوين: ولا تقديمات أخرى، سأكتفي بالقول إن هؤلاء

بعض من أهالي بايلي بيچ و... ماذا؟...
طيب... أنتم الآن بين أفضل الناس في
أيرلندا.

(يتوقف وقفة قصيرة ليسمح للانسي
بالكلام. لانسي لا يتكلم) هل تود قول بضع
كلمات يا كابتن؟

هيــــــــو: ما رأيك بقطرة يا سيدي؟

لانــــــــسي: ب... ماذا؟

هيــــــــو: ربما بقليل من الانتعاش؟ عينة صغيرة من ماء
حياتنا؟

لانــــــــسي: لا، لا.

أويــــــــن: يظهر هذا المسح اهتمام الحكومة بأيرلندا،
ويشكر لكم الكابتن على حسن استماعكم له.

هيــــــــو: بكل سرور أيها الكابتن.

لانــــــــسي: ملازم يولاند؟

يولانــــــــد: أنا... أنا... في الواقع... ليس لدي ما
أقوله...

أويــــــــن: الكابتن هو الرجل الذي يضع الخريطة
الجديدة بالفعل. أما مهمة جورج فهي التحقق
من أن أسماء الأماكن على هذه الخريطة...
صحيحة (مخاطبا يولاند)، فقط بضع كلمات
سيحبون الاستماع إليك (مخاطبا الفصل) ألا
تريدون سماع جورج، أيضا؟

مائير: هل لديه ما يقوله؟

يولاند: (مخاطبا مائير) عفوا... ماذا قلت؟

أوين: تقول إنها تتوق إلى الاستماع إليك.

يولاند: (مخاطبا مائير) هذا لطف كبير منك...

شكرا لك... (مخاطبا الفصل) أستطيع القول

فقط إنني أشعر... أنني أشعر بالغباء

الشديد لـ... لكوني أعمل هنا ولا أتحدث

لغتك. لكنني أنوي أن أتدارك هذا بمساعدة

رولاند... أنا أنوي هذا بالفعل.

أوين: يريدني أن أعلمه اللغة الأيرلندية.

هيو: ترحيب مضاعف بك يا سيدي.

يولاند: أعتقد أن ريفكم هو... هو... هو... هو جميل

جدا. لقد أحببته سلفا، أمل ألا نكون

متطفلين بالغبي... بالغبي الفظاظ... على

حياتكم، وأنا أعلم أنني سأكون سعيدا، سعيدا

جدا هنا.

أوين: إنه محب لأيرلندا وأهلها سلفا.

جيمي: إنه يحب...

أوين: حسنا يا جيمي... نحن نعرف... إنه يحب

بابلي بيچ، ويحبكم جميعا.

هيو: من فضلك... هل لي أن...؟

(هيو الآن ثمل. يتشبث بطرف طاولته).

أوين: تفضل يا والدي (يرفع يديه طالبا الهدوء)

تفضل... تفضل.

هيــــــــــــــــو: ونحن أيها السادة، من جانبنا سعداء بتقديم صداقتنا لكم، وكرمنا وكل مساعدة يمكن أن تطلبوها، أيها السادة... مرحبا بكم! (تصفيق متفرق قليل. انتهت الرسميّات. يتجاذبون أطراف الحديث، الجنديان يختاطان بالأهالي، مانوس وأوين يتحدثان عند مقدمة خشبة المسرح).

أويــــــــــــــــن: لانسي مدك بندقية لعين، لكن جورج طيب. على أي حال، كيف حالك؟

مــــــــــــــــانوس: أي نوع من الترجمة كانت تلك يا أوين؟

أويــــــــــــــــن: هل أفسدتها؟

مــــــــــــــــانوس: لم تكن تقول ما كان يقوله لانسي.

أويــــــــــــــــن: «أول مبادئ الشعر أن لا يقين في المعنى»... من قائل هذا؟

مــــــــــــــــانوس: لم يكن في ما قاله لانسي شيء غير يقيني، إنها عملية عسكرية لعينة يا أوين! وما هي وظيفة يولاند؟ وما هو «غير الصحيح»، في ما يتعلق بأسماء الأماكن التي لدينا؟

أويــــــــــــــــن: لا شيء على الاطلاق. فقط سيتم توحيدها.

مــــــــــــــــانوس: تعني تغييرها إلى اللغة الإنجليزية؟

أويــــــــــــــــن: حيث يوجد إبهام، ستصبح إنجليزية الصفة.

مــــــــــــــــانوس: ويسمونك رولاند! كلاهما يسميك رولاند!

الفصل الثاني

المشهد الأول

(بعد بضعة أيام)

قام المهندسون الآن برسم خرائط لمعظم أجزاء المنطقة. إن مهمة يولاند الرسمية، التي يقوم بها الآن أوين، هي أن يأخذ كل اسم من الأسماء الغالية... كل تل وجدول وصخرة، بل، وحتى كل بقعة صغيرة من الأرض كان لها اسمها الأيرلندي المتميز، «ويؤنجلزها»، إما عن طريق تغييرها إلى أقرب لفظ إنجليزي لها أو عن طريق ترجمتها إلى كلمات إنجليزية. فعلى سبيل المثال، اسم غاليّ مثل كنوك بأن يمكن أن يصبح نوكبان، أو يترجم مباشرة إلى تل جميل. هذه الأسماء الجديدة الموحدة أدخلت إلى كتاب الأسماء، وحين ظهرت الخرائط الجديدة كانت تحتوي على كل هذه الأسماء التي تمت أنجلزتها. أما عمل أوين الرسمي كمترجم فهو أن يلفظ كل اسم باللغة الأيرلندية ثم يأتي بالترجمة الإنجليزية. الجو ما زال حاراً، والوقت هو أواخر ما بعد الظهر بعد مرور بضعة أيام. على يمين الخشبة ثمة حبل غسيل ممدود

بصورة ارتجالية بين عرائش العربية ومسمار
في الحائط. ومنشور عليه بضعة قمصان
وجوارب.

خريطة كبيرة منشورة على الأرض وهي
إحدى الخرائط الجديدة الخالية من
الأسماء. نرى أوين جالسا على يديه وركبتيه
ينظر فيها. إنه منغمس تماما في عمله الذي
يقوم به بنشاط وكفاءة كبيرين.

تلاشى تردد يولاند... إنه يشعر الآن هنا
وكأنه في بيته، وهو يجلس على الأرض،
ورجلاه الطويلتان ممدودتان أمامه، وظهره
مستند إلى سلة، وعيناه مغمضتان. وعقله في
مكان آخر، وفي حضنه ثمة كتاب من كتب
المراجع هو سجل كنيسة.

حولهما يوجد عدد من المراجع وكتاب الأسماء،
وزجاجة خمر محلي، وبعض الأكواب... إلخ.
أوين ينهي مراجعة مادة في كتاب الأسماء،
 ويعود إلى الخريطة على الأرض.

أوين: والآن، إلى أين وصلنا؟ نعم... إلى النقطة
التي يدخل فيها ذلك الجدول البحر... ذلك
الشاطئ الصغير هناك... جورج!
يولاند: نعم، أنا أصغي. ماذا تدعوه؟ قل الاسم
الأيرلندي ثانية؟

أويــــن: بن نا هابهان.

يولانــــد: مرة ثانية.

أويــــن: بن نا هابهان.

يولانــــد: بن نا هابهان.

أويــــن: ذلك مزعج يا جورج.

يولانــــد: أعلم، أنا آسف. قلله مرة أخرى.

أويــــن: بن نا هابهان.

يولانــــد: بن نا هابهان.

أويــــن: هذا أفضل. بن هي الكلمة الأيرلندية التي

تعني قاع أو أسفل. وآبها تعني نهر. وهكذا

فالمعنى حرفياً هو مصب النهر.

يولانــــد: دعنا نتركها جانباً، فلا يوجد مقابل إنجليزي

لصوت مثل هذا .

أويــــن: ماذا تدعى في سجل الكنيسة؟

الآن فقط يفتح يولاند عينيه.

يولانــــد: دعنا نرى... بانوين.

أويــــن: هذا خطأ (ينظر في النص) قائمة ملاك

الأراضي الحرة يدعونه أوينمور... هذا خطأ

تام: أوينمور هو النهر الكبير عند النهاية

الغربية للأبرشية. (نص آخر) ويدعى في

قوائم هيئة المحلفين الكبرى... يا إلهي!

بينهون!... من أين حصلوا على هذا الاسم.

أعتقد أن بمقدورنا أنجلزته إلى بنوين، ولكن

بطريقة ما هذا الاسم لا هو سمكة ولا هو لحم.
يولاند يغمض عينيه مرة أخرى.

يولاند: أنا أستسلم.

أوين: (عند الخريطة) لنعد إلى المبادئ الأولى. ما
الذي نحن بصدده؟

يولاند: سؤال وجيه.

أوين: إننا نحاول أن نسمي، وفي الوقت ذاته نصف
تلك المنطقة الضيقة من الأرض الرملية
الصخرية التي تعوزها الحيوية حيث يدخل
ذلك الجدول إلى البحر، وهي منطقة تعرف
محليا باسم بن نا هابهان... بيرنفوت! ما
رأيك ببيرنفوت؟

يولاند: (بلا اكتراث) جيد يا رولاند. بيرنفوت جيد.

أوين: جورج، اسمي ليس..

يولاند: ب... ي... ر... ن... ف... و... ت؟

أوين: أظن ذلك. ما رأيك؟

يولاند: نعم.

أوين: هل يرضيك هذا؟

يولاند: أجل.

أوين: إذن الاسم هو بيرنفوت. (يدخل المعلومة في
كتاب الأسماء).

بن نا هابهان ب... ي... ر... ن...

يولاند: لقد أصبحت ماهرا جدا في هذا العمل.

أوين: إننا لا نتقدم بسرعة كافية.

يولاندا: (يفتح عينيه مرة أخرى) لكنني لانسى درسا مرة أخرى ليلة أمس.

أوين: متى ينهي عمله هنا؟

يولاندا: سوف ينسحب المهندسون في نهاية الأسبوع. المشكلة هي أن الخرائط التي فرغوا منها لا يمكن طباعتها من دون هذه الأسماء. وهكذا تصرخ لندن في وجه لانسى، ويصرخ لانسى في وجهي. لكنني لم أجبن. (يظهر مانوس في أعلى الدرج ويبدأ الهبوط).

قلت له: «أنا آسف يا سيدي، ولكن مهمات معينة تحتاج نصيبها من الوقت. إنك لا تستطيع إعادة تسمية بلد بأكمله في ليلة واحدة». لقد جعلني هواؤكم الأيرلندي جريئا. (مخاطبا مانوس) هل تريدنا أن نغادر؟

مانوس: ثمة وقت كاف. لن يبدأ الدرس قبل مضي نصف ساعة.

يولاندا: عفوا... ماذا قلت؟

أوين: ألا تستطيع التحدث بالإنجليزية؟

(يجمع مانوس الأشياء عن حبل الفسيل، ويعود أوين إلى الخريطة).
نأتي الآن إلى ذلك الشاطئ...

يولانـد: ترا تلك هي الكلمة الأيرلندية التي تعني شاطئاً (مخاطبا مانوس) إنني ألتقط الكلمة الغريبة يا مانوس.

مانوس: هكذا.

أوين: ... إلى الأمام وراء بيرنفوت. ولا يوجد شيء هنا له أي اسم أعرفه، إلى أن نهبط هنا إلى الطرف الجنوبي... هنا وهناك مباشرة لا بد أن تكون سلاسل صخور هنا... هل حددها المهندسون؟ لقد فعلوا. انظر، جورج.

يولانـد: أين نحن؟

أوين: هناك.

يولانـد: إنني ضائع.

أوين: هنا. واسم السلسلة هو درويم دوبيه. ضع مقابلا إنجليزيا لها أيها الملازم.

يولانـد: قلها ثانية.

أوين: درويم دوبيه.

يولانـد: دوبيه تعني أسود.

أوين: نعم.

يولانـد: وتعني درويم... ماذا؟ قلعة؟

أوين: صادفنا الكلمة الباردة في درويم لواشرا

يولانـد: سلسلة! السلسلة السوداء! (مخاطبا مانوس)

مانوس، رأييت؟

أوين: سوف نجعلك تتحدث اللغة الأيرلندية بطلاقة

قبل نهاية الصيف.

يولاندا: أوه أتمنى ذلك (مخاطبا مانوس العائد إلى الطابق العلوي) حصلنا على صندوق برتقال هذا اليوم من دبلن. سوف أرسل لك بعضا منه.

مانوس: شكرا. (مخاطبا أوين) من الأفضل أن تخفي هذه الزجاجة. لقد نهض والدنا للتو وسيكون في حال أفضل من دونها.

أوين: ألا تستطيع أن تتكلم الإنجليزية أمام هذا الذي يخاطبك؟

مانوس: لماذا؟

أوين: مجاملة.

مانوس: ألا يرغب هو في تعلم اللغة الأيرلندية؟ (مخاطبا يولاندا) ألا ترغب في تعلم اللغة الأيرلندية؟

يولاندا: عفوا... ماذا قلت؟ أنا... أنا...

مانوس: إنني أفهم الإنجليز أمثال لانسي تماما، لكن أشخاصا مثلك يحIRONني.

أوين: مانوس، إكراما لله!

مانوس: (لا يزال يخاطب يولاندا) كيف يسير العمل؟

يولاندا: العمل؟... أتعلم؟ آه، إنه... إنه يسير ببطء...

على ما أظن... (مخاطبا أوين)... أليس

كذلك؟ لكننا كنا سنضيع من دون رولاندا.

مانوس: (مغادرا) أنا متأكد. لكن ثمة من هم أمثال رولاند على الدوام، أليس كذلك؟ (يصعد الدرج ويخرج).

يولاند: ماذا قال؟ قال شيئاً حول لانسي، أليس كذلك؟

أوين: قال إن علينا أن نخفي تلك الزجاجة قبل أن تقع عليها يد والدنا. يولاند: أم.

أوين: إنه يحاول دوما حمايته.

يولاند: هل هو أعرج منذ الولادة؟

أوين: وقع حادث حينما كان صغيرا. سقط أبي من فوق مهد. ولهذا يشعر مانوس بمسؤولية كبيرة تجاهه.

يولاند: لماذا لا يتزوج؟

أوين: أظنه لا يقدر على ذلك.

يولاند: أليس له مرتب؟

أوين: أي مرتب؟ إن كل ما يحصل عليه هو الشلن الفريد الذي يرميه له والدنا... وهذا لا يكفي أبدا. لقد خرجت أنا في الوقت المناسب، أليس كذلك؟

يولاند يصيب مشروباً.

لا تكثر من هذه المادة... فجأة ستطرحك أرضاً.

يولاند: إنني أحبها.

أوين: لنعد إلى العمل. درويم دوبيه... ماذا تدعى في قوائم المحلفين؟ (ينظر في النصوص).

يولاند: بعض الناس هنا يمقتونا.

أوين: الاسم درامدوف... خطأ كالعادة.

يولاند: بالأمس كنت مارا بالقرب من فتاة صغيرة فبصقت علي.

أوين: واسمها دريمدو هنا. ماذا تدعى في السجل؟

يولاند: هل تعرف التوأم دونالي؟

أوين: من؟

يولاند: التوأم دونالي.

أوين: أجل. أفضل صيادي أسماك في هذه المنطقة. ماذا بشأنهما؟

يولاند: إن لانس ييحث عنهما.

أوين: من أجل ماذا؟

يولاند: يريد هما للاستجواب.

أوين: ربما سرقا شباك شخص ما. درامدفي! لم يسمها أحد درامدفي. اختر من هذه الأسماء الثلاثة.

يولاند: رأسي مشوش. دعنا نأخذ قسطا من الراحة. هل ترغب بشراب؟

أوين: شكرا، والآن، لقد غيرنا كل دوبيه.

صادفناها إلى دوف. إذن لو أردنا أن نكون

متناغمين، فإنني أعتقد أن درويم دوبيه ينبغي أن تصبح درومدوف.

رولاند ينظر الآن من النافذة إلى الخارج.
يمكنك رؤية نهاية السلسلة الصخرية من المكان الذي تقف فيه. ولكن هل هي درم أم دروم؟ (يعود إلى كتاب الأسماء) هل تتذكر... ما الاسم الذي اتفقنا عليه بخصوص درويم لوأشرا؟

يولاند: ذلك المنزل القابع مباشرة فوق المكان الذي نخيم فيه.

أوين: ماذا؟

يولاند: المنزل الذي تعيش فيه مائير.

أوين: مائير أم، مائير شاتاش.

يولاند: ماذا يعني ذلك؟

أوين: ذات الشعر الأجعد، الأسرة بأكملها تدعى ذات الشعر الأجعد. ماذا بشأن المنزل؟

يولاند: أسمع موسيقى آتية من ذلك المنزل كل ليلة تقريبا.

أوين: لماذا لا تذهب لزيارته؟

يولاند: أيمكنني ذلك؟

أوين: لم لا. استعملنا د - ر - و - م إذن ... إذن علينا أن نسميه دروم - د - و - ف - تمام؟

يولاند: ارجع إلى المكان الذي تبني فيه المدرسة

الجديدة وقل الأسماء مرة أخرى لي، لو
سمحت؟

أوين: هذه فكرة جيدة. بولكيري، بالي بيج...
يولاند: لا، لا، قلها كما هي بلغتك الأم.
أوين: بول نا بكوراتش.

يردد يولاند الأسماء بصمت خلفه.
بايلي بيج، سيان بالور، ليز ماول، ماشير
بيوده، بايلي ناج كال، كاريج ناري، مولاك
ديرج...

يولاند: هل تعتقد أنه يمكنني العيش هنا؟
أوين: عم تتكلم؟

يولاند: أستقر هنا... أعيش هنا.
أوين: بلا مزاح يا جورج.

يولاند: إنني أقصد ما أقول.
أوين: تعيش على ماذا؟ البطاطا؟ المخيض؟

يولاند: إنها في الحقيقة كالفردوس.
أوين: إكراما لله! إنه أكثر فصل صيف حرارة منذ

خمسين سنة، وتعتقد أنها جنة عدن. لا تكن
رومانسيا لعينا هكذا، انك لن تمضي شتاء
معتدلا واحدا وتبقى على قيد الحياة.

يولاند: ألا تعتقد ذلك. ربما أنت على حق.
يدخل دوالي مندفعاً.

دوالي: مرحبا يا شباب، هل مانوس موجود؟

أويــــــــــــــــــــن: إنه في الطابق العلوي. استدعه.

دوالــــــــــــــــتي: مانوس!

القطيع جن جنونه في هذا الحر... يا إلهي،
إنه يركض بجنون في كل أرجاء المكان
(مخاطبا يولاند) كيف حالك أيها الفتى الغر؟
يظهر مانوس

يــــــــــــــــولانــــــــــــــــد: شكرا لك على... أنا... أنا ممتن لك جدا
على...

دوالــــــــــــــــتي: أنت تضيع وقتك. أنا لا أفقه كلمة مما تقول.
مرحبا يا مانوس. هناك رجلان يسألان عنك
أسفل الطريق.

مــــــــــــــــانوس: (هابطا) من هما؟

دوالــــــــــــــــتي: لم تقع عيناى عليهما أبدا. يريدان الحديث
معك.

مــــــــــــــــانوس: بخصوص ماذا؟

دوالــــــــــــــــتي: لم يقولا. هيا فالحيوانات اللعينة سينتهي بها
الأمر في لوتش آن لوبهير إن لم تتم السيطرة
عليها، حظا طيبا يا شباب!

يخرج دوالتي مندفعاً، ويتبعه مانوس.

أويــــــــــــــــــــن: حظا طيبا! على ماذا كنت تشكر دوالتي؟

يــــــــــــــــولانــــــــــــــــد: كنت أغسل وجهي ويداي خارج خيمتي في
هذا الصباح وكان مارا ومعه منجل فوق
كتفيه، فجاء إلي وأشار إلى العشب الطويل ثم

شق ممرا حول خيمتي، ومن الخيمة إلى الطريق... حتى لا يبلل الندى قدمي. ألم يكن هذا لطفاً منه؟ ولم يكن عندي كلمات أشكره بها... أعتقد أنك على حق؛ أظن أنني لا أستطيع العيش هنا... قبل أن يأتي إلي دوالي في هذا الصباح بقليل، كنت أفكر أنني في تلك اللحظة كان يمكن أن أكون في بومباي بدلا من بوليبج. أتعلم، لقد فقد والدي صوابه معي، وأخيرا حصل لي على عمل في شركة الهند الشرقية... ووظيفة كتابية من نوع ما. حدث هذا قبل عشرة أشهر أو أحد عشر شهرا. وهكذا انطلقت إلى لندن. ولسوء الحظ أنا... أنا... أنا فقدت الباخرة، بالمعنى الحرفي. ولأنني لم أقدر على مواجهة والدي، ولأنه لم يكن لدي ما يكفي من المال لانتظار موعد الإبحار التالي، فقد التحقت بالجيش. وألحقوني بوحدة المهندسين وأرسلوني إلى دبلن. وأرسلتني دبلن إلى هنا. وبينما كنت أغسل وجهي ويدي في هذا الصباح وأنظر عبر تراهان، كنت أفكر كم أنا محظوظ جدا، جدا لأنني هنا ولست في بومباي.

أوين: هل تؤمن بالقدر؟

يولاندا: لانسي يشبه والدي تماما. كنت أراقبه في الليلة الماضية، اجتمع بكل مجموعة من مجموعات المهندسين وهي تقدم تقاريرها، وتفقد المطابخ الميدانية. وفحص الخيول. وتفحص كل تقرير على حدة، بل تفحص حتى نسيج الورق معلقا على جمال خط اليد ونظافته. إنه الموظف الاستعماري المثالي: ليس من الواجب أن ينجز العمل فقط، بل يجب أن ينجز بإتقان. لدى والدي هذا الدافع أيضا، هذا التفاني، وتلك الطاقة التي لا تعرف التعب. إنه يشق الطرقات... قافزا من أحد أطراف الإمبراطورية إلى الطرف الآخر. ولا يستطيع الجلوس هادئا لمدة خمس دقائق... إنه بذاته يقول إن أطول وقت جلسه في حياته وهو ساكن كان تلك الليلة قبل موقعة واترلو حينما كانوا ينتظرون ولينغتون ليتخذ قراره بالهجوم.

أوين: كم يبلغ من العمر؟

يولاندا: ولد سنة ١٧٨٩ في اليوم نفسه الذي سقط فيه الباستيل. لقد اعتقدت في أغلب الأحيان أن هذا ربما هو ما أعطى حياته بأكملها طابعها. هل تعتقد أن هذا ممكن؟ لقد ورث عالما جديدا في اليوم الذي ولد فيه... منذ

السنة الأولى. كان الزمن القادم يشرف على نهايته. لقد خلع العالم جلده القديم. ولم تعد هناك حدود أمام إمكانات الإنسان. كانت الإمكانيات مثيرة وبلا نهاية. وما زال يؤمن بهذا. وسفر الرؤيا على وشك أن يتحقق... وأخشى أنني خيبة أمل كبيرة له. فليس لدي لا طاقته، ولا تماسكه، ولا إيمانه. هل أؤمن بالقدر؟ في اليوم الذي وصلت فيه إلى بوليبيج... كلا، بايلي بيج... في اللحظة التي جئت بي فيها إلى هنا، تملكني إحساس غريب من الصعب وصفه. كان إحساسا خاطفا بالاكشاف، لا... ليس بالضبط إحساسا بالاكشاف... كان إحساسا بالتعرف، بالتأكد من شيء عرفت نصفه غريزيا، كما لو أنني خطوت...

أوين: عائدا إلى الزمن القديم؟

يولاندا: لا، لا، لم يكن ذلك وعيا باتجاه تغير، بل بتجربة ذات نظام مختلف كلياً. لقد انتقلت إلى وعي لا هو بالملق ولا هو بالمعرض، بل هو مطمئن ذو إيمان خاص به وذو ثقة. وعندما سمعت جيبي جاك ووالدك يتبادلان القصص حول أبولو وكوشولين وباريس وفيرديا... كما لو أن هذه الشخصيات تعيش

في نهاية الطريق ... عندها فكرت ... عرفت ...
 أنني ربما أستطيع العيش هنا (يشعر الآن
 بالارتياك) أين شراب البوت ... ين؟

أوليتين: البوتين؟

يولاندا: بوتين... بوتين... بوتين. حتى لو أنني تكلمت
اللغة الأيرلندية، سأظل غريبا هنا دوما أليس
كذلك؟ قد أتعلم كلمة السر، لكن لغة القبيلة
سوف تروغ مني دائما، أليس كذلك؟ إن اللب
الخاص سيكون دوما... كتوما أليس كذلك؟

أولاً: يمكنك أن تتعلم كيف تحل شيفرتنا.

يظهر هيو في الطابق العلوي وينزل. إنه يرتدي ملابس الخروج. اليوم هو يقظ وجذل جسديا وعقلياً... واع تقريبا ليقظته وجذله. وبالفعل، وخلال تقدم المشهد، يملك المرء إحساس بأن هيو يحاكي نفسه محاكاة ساخرة عن قصد.

في اللحظة التي يصل فيها هيو إلى أسفل الدرجات، يقفز يولاند واقفا على قدميه باحترام.

هـ — و: وهو ينزل

مهما تتأخر الشمس في مسارها الطويل
الرهق.

يجيء المساء أخيرا بأغنيته المقدسة.

أنا هاو للشعر أيها الملازم، على آثار أسلوب
أوفيد (يخاطب أوين) قطرة من ذاك الشراب
تقويني.

يولاند: سيكون عليك أن تترجمه لي.
هي: دعنا نر.

لا يهم كم هو طويل تلبث الشمس في رحلتها
الطويلة المرهقة.

ففي النهاية يجيء المساء بأغنيته المقدسة.

يولاند: جميل جدا يا سيدي.

هي: تتجح اللغة الإنجليزية في جعل هذا الشعر
يبدو... عاميا.

أوين: إلى أين أنت ذاهب يا والدي؟

هي: (باللاتينية) حملة (بالانجليزية) ذات ثلاثة

أهداف. الهدف أ: للحصول على شهادة من

كاهن أبرشيتا (مخاطبا يولاند) رجل صاحب

مكانة إلا أنه شبه أمي، ولأنه سيطلب مني

كتابتها بنفسي، فكيف يمكنني بكل تواضع أن

أنصف نفسي؟ (مخاطبا أوين) من أين جاء

هذا (الشراب)؟

أوين: من حانة آنا نامبريج.

هي: (مخاطبا يولاند) في تلك الحالة توجه إليها

بحذر (وبسرعة يرمي رأسه إلى الخلف ويبتلع

الشراب جرعة واحدة ويكشر (آآآآ) ويمد

كأسه لتماماً ثانية). أنا نامبريج تعني أنا
الأكاذيب. والهدف ب: لأتحدث إلى بناء
المدرسة الجديدة حول نوعية تجهيزات
السكن التي سأطلبها هناك. لقد عشت
طويلاً جداً مثل خياط بأجر يومي.

يولاندا: قبل بضع سنوات عشنا قريبين إلى حد ما من
شاعر... حسناً، على بعد حوالي ثلاثة أميال.

هي: ما اسمه؟

يولاندا: وردزورث... وليام وردزورث.

هي: هل حدثك عني؟

يولاندا: أنا لم أتحدث معه في الحقيقة أبداً. فقط
رأيت من بعيد... يسير في الطريق.

هي: وردزورث؟... كلا. أخشى أننا لا نألف أدبكم
أيها الملازم. نشعر أننا أقرب إلى البحر
الأبيض المتوسط الدافئ. إننا نميل إلى
تجاهل جزيرتكم.

يولاندا: إنني أتعلم التكلم باللغة الأيرلندية يا سيدي.

هي: جيد.

يولاندا: رولاند يعلمني.

هي: رائع.

يولاندا: أعني... أشعر أنني منقطع جداً عن الناس
هنا. وكنت أحاول أن أشرح قبل بضع دقائق
كم هو رائع هذا المجتمع. أن ألتقي بأناس

مثلك ومثل جيمي جاك يتحدثان فعلا
باللغتين الإغريقية واللاتينية. وأسماء
أماكنكم... ما هو الاسم الذي صادفناه هذا
الصباح؟ تيرمون المشتق من تيرمينوس إله
الحدود. إنه... إنه... إنه أمر مدهش حقا.

هيــــــــــــــــو: نحب أن نعتقد بأننا باقون حول حقائق
نفترض أن لها وجودا خالدا.

يــــــــولانــــــــد: وأدبكم الغالي... أنت بذاتك شاعر...

هيــــــــــــــــو: أخشى أنني شاعر في اللاتينية فقط.

يــــــــولانــــــــد: أفهم أنه أدب مزخرف وبالغ الفنى.

هيــــــــــــــــو: بالفعل أيها الملازم. لغة غنية. أدب غني.

ستجد يا سيدي أن ثقافات معينة تنفق على
مفرداتها وتراكيبها طاقات ومفاخرات مكتسبة
لا وجود لها إطلاقا في حياتها المادية. اعتقد
أنه يمكنك أن تدعونا شعبا روحيا.

أويــــــــــــــــن: (بلهجة ليست قاسية، بقدر ما هي نتاج
الارتباك أمام يولاند)

هلا أوقفت هذا الهراء يا والدي.

هيــــــــــــــــو: هراء؟ أي هراء؟

أويــــــــــــــــن: هل تعرف أين يعيش الكاهن؟

هيــــــــــــــــو: في ليزنا موك، هناك بالقرب من...

أويــــــــــــــــن: لا، ليس هناك، ليزناموك التي تعني حصن
الخنازير، لقد أصبحت (باللفظ الإنجليزي)

حصن الخنازير (يقلب أوين الآن صفحات كتاب الأسماء... صفحة لكل اسم). ولكي تصل (باللفظ الإنجليزي) إلى حصن الخنازير تمر عبر جرين كاسل وفير هيد وستراند هل وغورت ووايتبلنيز. والمدرسة الجديدة ليست في بول ناغ كاوراش... إنها في شيبسروك. هل ستكون قادرا على إيجاد طريقك؟
يصب هيو لنفسه شرابا آخر. ثم:

هيــــــــــــــــو: أجل، إنها لغة غنية أيها الملازم، مليئة بأساطير الخيال الجامح والأمل وخداع الذات... وتركيب ثري بأيام الغد. إن هذا ردنا على أكواخ الطين ووجبة بطاطا. نهجنا الوحيد للإجابة عما... ما لا يمكن الإفلات منه (مخاطبا أوين) هل تقرضني نصف كراون (جنيه ذهبي)؟ سوف أعيده لك من الاشتراكات التي أجمعها لنشر كتابي الجديد (مخاطبا يولاند) عنوانه «معلم اللغات الخمس أو المعهد الابتدائي للغات الإنجليزية، والإغريقية، والعبرية، واللاتينية، والأيرلندية، معد خصيصا للسيدات والسادة الذين ربما يرغبون في التعلم من دون مساعدة أستاذ».

يــــــــــــــــولاند: (يضحك) هذا عنوان رائع!

هيــــــــــــــــو: الكلام بيننا... هذا أفضل جزء من المشروع.

في الواقع أنا لا أتكلم العبرية حتى. وتلك العبارة الأخيرة... «دون مساعدة أستاذ» تلك التي كُتبت قبل أن تلقى المدرسة الجديدة على كاهلي... هل تعتقد أن علي إسقاطها الآن؟ في النهاية أنت لا تتخلص من البقرة فقط لأنها أنجبت عجلا رائعا، أليس كذلك؟

يولاندا: لا بالتأكيد.

هيو: العبارة تبقى. وأنا أقاطع عمل هذه اللحظة. (يمضي إلى الباب ويقف هناك) بالعودة باختصار إلى تلك المسألة الأخرى أيها الملازم، أنا أفهم إحساسك بالاقصاء، بكونك مقطوعا عن حياة هنا، وأنا واثق أنك ستجد السبيل إلينا بمساعدة ولدي. لكن تذكر أن الكلمات هي عبارة عن إشارات ونقائص. إنها ليست خالدة. ويمكن أن يحدث... دعني أستخدم صورة سوف تفهمها... يمكن أن يحدث أن تسجن حضارة ما في محيط لغوي لم يعد يتفق مع مشهد... الحقيقة. أيها السادة (يغادر).

أوين: حملة ذات ثلاثة أهداف: الأولاد يستهزئون به، فهو يعد بثلاث نقاط دائما لا يتعدى مطلقا نقطتي ألف وباء.

يولاندا: إنه رجل حاد الذهن.

أويــــن: إنه بالغ الغرور.

يولانــــد: لكنه ذكي جدا.

أويــــن: ويشرب الكثير من الخمر. هل من الذكاء

عدم القدرة على التكيف من أجل البقاء على

قيد الحياة؟ باقون حول حقائق نفرض أن لها

وجودا خالدا... هاه!

يولانــــد: إنه يعرف ما الذي يحدث.

أويــــن: ماذا يحدث؟

يولانــــد: لست متأكدا. ولكن يهمني دوري فيه. إنه نوع

من الطرد.

أويــــن: إننا نصنع خارطة للبلاد بمقياس ست

بوصات. هل ثمة ما هو شرير في هذا؟

يولانــــد: ليس في...

أويــــن: ونحن نأخذ أسماء الأماكن المثقلة بالتشوش و...

يولانــــد: من المشوش؟ هل الأهالي مشوشون؟

أويــــن: ... ونحن نوحّد تلك الأسماء بقدر ما

نستطيع من الدقة والحساسية.

يولانــــد: ثمة شيء يتأكل.

أويــــن: لنعد إلى قصة المغامرات ثانية. حسنا! ممتاز!

ممتاز! انظر إلى أين وصلنا. (ينحني على

يديه وركبتيه ويغمّد إصبعاً في الخارطة).

لقد وصلنا إلى هذا التقاطع. تعال إلى هنا

وانظر إليه يا رجل! انظر إليه! ونحن ندعو

ذلك التقاطع توبيير فري. ولماذا ندعوه توبيير فري؟ سأقول لك لماذا. توبيير تعني بئرا. ولكن ماذا تعني فري؟ إنها فساد برايان... (بتلفظ غالي) برايان... تأكل توبيير بهرايان. لأنه قبل مائة وخمسين عاما كانت توجد بئر هناك، ليس عند تقاطع الطرق، انتبه... لكان ذلك بسيطا للغاية... ولكن في حقل قريب من تقاطع الطرق. وكان ثمة رجل عجوز يدعى برايان تشوه وجهه بسبب تضخم هائل، ودخلت رأسه فكرة أن الماء في تلك البئر كان مباركا. وظل يذهب كل يوم طيلة سبعة أشهر إلى البئر ويغسل وجهه فيها ولكن تضخم الوجه لم يختف، وفي صباح أحد الأيام وجد برايان غريقا في تلك البئر. ومنذ ذلك الحين والتقاطع يدعى توبيير فري بالرغم من أن البئر قد جفت منذ زمن بعيد. أعرف القصة لأن جدي قصها علي. ولكن اسأل دوالتي، أو مائير، أو بريجيت وحتى والدي، وحتى مانوس: لماذا يسمى توبيير فري، فهل تعتقد أنهم سيعرفون؟ أنا أعلم أنهم لا يعرفون. إذن السؤال الذي أطرحه عليك أيها الملازم هو هذا: ماذا نصنع باسم مثل هذا؟ هل نمحو توبيير فري كلها ونسميه... ماذا؟ الصليب؟

تقاطع الطريق؟ نضل مشفقين على رجل ميت
منذ زمن طويل، ومنسي منذ زمن طويل،
اسمه «تاكل» فلا يمكن لأحد معرفته، صاحب
القصة الصغيرة السخيفة التي لا يتذكرها
أحد في الأبرشية.

يولانـد: سواك أنت.

أويــــن: لقد هجرت هذا المكان.

يولانـد: أنت تتذكرها.

أويــــن: إنني أسألك ماذا نكتب في سجل الأسماء؟

يولانـد: توبير فري.

أويــــن: مع أن البئر تبعد مائة ياردة عن التقاطع

الفعلي... وليس ثمة بئر هناك على أي

حال... وماذا تعني فري بحق الجحيم؟

يولانـد: توبير فري.

أويــــن: هل هذا ما تريده؟

يولانـد: أجل.

أويــــن: حسنا، حسنا. وهذا ما ستحصل عليه.

يولانـد: وهذا ما تريده أنت يا رولاند أيضا.

(وقفة)

أويــــن: (ينفجر) جورج! إكراما لله! اسمي ليس رولاند!

يولانـد: ماذا؟

أويــــن: (بصوت خافت) اسمي أوين.

(وقفة)

يولانـد: ليس رولاند؟

أوين: أوين.

يولانـد: تقصد أن تقول...؟

أوين: أوين

يولانـد: ولكن قيل لي...

أوين: أ...و...ي...ن.

يولانـد: من أين أتى اسم رولاند؟

أوين: لا أعلم.

يولانـد: لم يكن اسمك رولاند أبدا؟

أوين: أبدا.

يولانـد: آه، يا إلهي!

(وقفة)

يحدث أحدهما بالآخر. ثم تفاجئهما لا

معقولية الموقف فجأة، فينفجران ضاحكين.

يصب أوين مشروبا لهما، وبينما هما يتجولان

مترنحين تتراكب خطوط هيتتهما.

يولانـد: لماذا لم تخبرني؟

أوين: هل أبدو مثل شخص اسمه رولاند؟

يولانـد: تهج كلمة أوين مرة أخرى.

أوين: لقد بدأت أغرم باسم رولاند.

يولانـد: آه يا إلهي!

أوين: أ - و - ي - ن.

يولانـد: ماذا سنكتب...

مقابل، ومرجا بلا مقابل، وحليبا بلا مقابل،
وربع أكر مزروعا بالذرة، واثني عشر ثلما من
البطاطس و(يتوقف)

أوين: وماذا أيضا؟

مـانوس: ومرتبا سنويا يبلغ اثنين وأربعين جنيها
إسترلينا!

أوين: هذا رائع يا مانوس!

_____انوس: إنيك تتحدث مع رجل يعرف قدر نفسه.

أويــــــــــــن: أنا مسرور.

یولاندا: آین تقم آنیس میدھون؟

أويــــــــــــن: إنها جزيرة إلى الجنوب من هنا. وهم جاءوا
باحثين عنك؟

مـانوس: حسنا، أردت أن أقول...

(يلكم أوين مانوس بخفة).

أولاً: آآغا! هذا يتطلب احتفالا حقيقيا.

یولاند: تھانی۔

ممنونوس: شكرا لك.

أويــــن: أين أنت يا آنا؟

يولاندا: متى تبدأ؟

ممنوس: يوم الاثنين القادم.

أوبــــــــــــــن: سنمکث معك عندما نكون هناك (مخاطبا
یولاند) کم یستغرق وصولنا إلى آنیس
میدهون؟

يولاندا: كم تبعد نحو الجنوب؟
مانوس: حوالي خمسين ميلا.
يولاندا: هل نستطيع الذهاب إليها في شهر ديسمبر؟
أوين: سنحتفل بعيد الميلاد معا (يعني) «عيد الميلاد في آنيس ميدهون...»
يولاندا: (يرفع كأس) أمل أن تكون سعيدا هناك يا مانوس.
مانوس: شكرا لك.
 (يمد يولاندا يده. يتناولها مانوس. يتصافحان بحرارة).
أوين: (يرفع كأسه) مانوس.
مانوس: (يرفع كأسه) إلى آنيس ميدهون (يشرب بسرعة ويستدير لكي يغادر).
أوين: انتظر... انتظر... الكؤوس الممتلئة ثانية آتية.
مانوس: يجب أن أذهب.
أوين: هيا يا رجل، هذه مناسبة. إلى أين أنت مندفع؟
مانوس: علي أن أخبر مائير.
 (تدخل مائير مع علبة حليبها).
مائير: بماذا عليك أن تخبر مائير؟
أوين: لقد حصل على عمل.
مائير: مانوس؟
أوين: لقد تلقى دعوة لإقامة مدرسة متواضعة في آنيس ميدهون.

مائير: أين؟

مانوس: أنيس ميدهون... الجزيرة! سيدفعون لي
اثنتين وأربعين جنيها سنويا و...

أوين: منزل، ووقود، وحليب، وبطاطس، وذرة،
وتلاميد، وأشياء أخرى!

مانوس: سأبدأ يوم الاثنين.

أوين: ستأخذين جرعة. أليس هذا عظيما؟

مانوس: أريد أن أحدث معك حول...

مائير: هذا حليبك. أحتاج إلى العلبة.

يأخذ مانوس العلبة ويصعد الدرج راكضا.

مانوس: (وهو يمضي) ما رأيك في العيش في جزيرة؟

أوين: أنت تعرفين جورج أليس كذلك؟

مائير: إننا نلوح لبعضنا عبر الحقول.

يولاند: عفا... ماذا تقول؟

أوين: تقول إنكما تلوحان لبعضكما عبر الحقول.

يولاند: نعم صحيح، آه أجل، إننا نفعل، حقا.

مائير: ماذا يقول؟

أوين: يقول أنكما تلوحان لبعضكما عبر الحقول.

مائير: هذا صحيح. هذا ما نفعله.

يولاند: ماذا تقول؟

أوين: لا شيء... لا شيء... لا شيء (مخاطبا

مائير) ما الأخبار؟

تبتعد مائير وهي تلمس الكتب المدرسية

بأطراف أصابع قدميها.

مائير: لا شيء. أنتما مشغولان، كلاكما.

أوين: نعتقد أننا كذلك.

مائير: أسمع أن عازف الكمان أوشيا في الجوار.

وهناك حديث عن حفلة رقص غدا ليلا.

أوين: أين ستكون الحفلة؟

مائير: ربما على جانب الطريق. وربما في توبر فري.

يولاند: توبر فري!

مائير: أجل.

يولاند: توبر فري! توبر فري!

مائير: هل يعرف ما أقول؟

أوين: ولا كلمة.

مائير: أخبره إذن.

أوين: أخبره بماذا؟

مائير: حول حفلة الرقص.

أوين: تقول مائير إنه ربما ستكون هناك حفلة رقص ليلة غد.

يولاند: (مخاطبا أوين) صحيح؟ هل يمكنني المجيء؟

(مخاطبا مائير) هل سيعارض أحد إذا ما جئت؟

مائير: (مخاطبة أوين) ماذا يقول؟

أوين: (مخاطبا يولاند) من سيعارض؟

مائير: (مخاطبة أوين) هل أخبرته؟

يولانند: (مخاطبا مائير) عفوا ... ماذا قلت؟
أوين: (مخاطبا مائير) يسأل هل بإمكانه الحضور؟
مائير: (مخاطبة يولانند) هذا الأمر يرجع إليك.
يولانند: (مخاطبا أوين) ماذا تقول؟
أوين: (مخاطبا يولانند) تقول ...
يولانند: (مخاطبا مائير) ماذا ... ماذا؟
مائير: (مخاطبة أوين) ثم ماذا؟
يولانند: (مخاطبا أوين) عفوا ... ماذا تقول؟
أوين: (مخاطبا يولانند) هل ستذهب؟
يولانند: (مخاطبا مائير) أجل، أجل، إن كان هذا ممكنا.
مائير: (مخاطبة أوين) ماذا يقول؟
يولانند: (مخاطبا أوين) ماذا تقول؟
أوين: أه، إكراما لله! (مخاطبا مانوس الذي يهبط الدرج ومعه العلبة الفارغة) عليك أن تتولى هذه المهمة يا مانوس.
مانوس: سأرافقك إلى البيت، هل أمك في البيت؟ أود أن أتحدث معها.
مائير: ولم العجلة؟ (مخاطبة أوين) ألم تعرض علي شرابا؟
أوين: هل ستخاطرين وتشربين شراب أنا نا مبريج؟
مائير: ولم لا؟
 يولانند ثملاً. يقفز فجأة واقفا على مقعد

قدمين، ويرفع كأسه ويصرخ:
يولاند: أنا نا مبريج! بايلي بيچ! آنيس ميدهون!
بومباي! تويير فري! جنة عدن! وبوتين...
صحيح يا أوين؟
أوين: بالتمام والكمال.
يولاند: وهو شراب رائع لعين أيضا. إنني أحبه! رائع
لعين لعين لعين!

المشهد الثاني (الليلة التالية)

يمكن أن تجري أحداث هذا المشهد في غرفة المدرسة. ولكن يفضل تعميم قدر المستطاع من غرفة المدرسة بواسطة الإضاءة، وأن يمثل المشهد عند مقدمة الخشبة في منطقة مبهمة تبدو خارج المشهد.

ترتفع الموسيقى تدريجيا وتصل الذروة، ثم نسمع عن بعد مائير ويولاند يقتربان... يضحكان ويركضان. يركضان إلى الأمام يدا بيد. لقد غادرا حفلة الرقص للتو. اجعل صوت الموسيقى يتلاشى في الخلفية البعيدة. ثم بعد برهة يختفي وتحل محله موسيقى جيتار.

مائير ويولاند هما الآن في مقدمة المسرح، ولا يزال كت منهما يمسك بيد الآخر، مشاران بهروبهما المفاجئ الطائش من حفلة الرقص.

مائير: آه، يا إلهي إن تلك القفزة عبر الخندق كادت تودي بحياتي تقريبا.

يولاند: استطعت أن أجاريك بشق النفس.

مائير: انتظر حتى ألتقط أنفاسي.

يولاندا: لا بد أننا ظهرنا كما لو أننا كنا مطاردين.
يدركان الآن أنهما وحدهما وأيديهما
متشابكة... بدايات الشعور بالارتباك. تنفصل
اليدان. يبدأ كل منهما بالابتعاد عن الآخر.
وقفة قصيرة.

مائيير: سيتساءل مانوس إلى أين ذهبت؟
يولاندا: إنني أتساءل هل لاحظنا أحد ونحن نغادر؟
وقفة قصيرة. متباعدان أكثر بقليل.
مائيير: لا بد أن العشب رطب. قدماي مبللتان.
يولاندا: ينبغي أن تكون قدماك رطبتان. العشب مبلل.
وقفة قصيرة أخرى. يتباعدان. مرة أخرى
بضع خطوات. يقفان الآن وبينهما مسافة
طويلة.

(مشيرا إلى نفسه) جورج.
تومئ مائيير: أجل... أجل. ثم:
مائيير: الملازم جورج.
يولاندا: لا تتاديني بهذا اللقب. لا أفكر بنفسى كملازم
أبدا.

مائيير: ماذا... ماذا؟
يولاندا: عفوا... ماذا قلت؟ (يشير إلى نفسه ثانية)
جورج.
تومئ مائيير: أجل... أجل. ثم تشير إلى
نفسها.

مائير: مائير.

يولاند: أجل، أعلم أنك مائير. بالطبع أعلم أنك
مائير. أعني أنني كنت أراقبك ليل نهار
طيلة... ما مضى...

مائير: (باهتمام) ماذا... ماذا؟

يولاند: (مشيرا) مائير. (مشيرا) جورج (مشيرا إلى
كليهما) مائير وجورج.
تومئ مائير: أجل... أجل... أجل...
أنا... أنا... أنا

مائير: قل أي شيء مهما كان. إنني أحب صوت
حديثك.

يولاند: (باهتمام) عفوا... ماذا قلت؟

ينظر حوله شاعرا بإحباط شديد، أملا شيئا
من إلهام يمنحه وسيلة تواصل. والآن خطرت
له فكرة: يحاول أن يرفع صوته ويلفظ
بطريقة متقطعة، مع وضع تشديد غير معقول
وعلى نحو متساو على كل كلمة.

كل... صباح... أراك... تطعمين...
الدجاجات... السمرات... وتقدمين...
العلف... للعجل... الأسود... (يشعر بخيبة
هذا الأسلوب) أوه يا إلهي.

تبسم مائير. تقترب منه. ستحاول التواصل
معه باللغة اللاتينية.

مائير: أنت قائد مائة في الجيش البريطاني.
يولاند: أجل... أجل؟ تابعي... تابعي... قللي أي شيء مهما كان... أنني أحب صوت حديثك.

مائير: وأنت في المعسكر الموجود في الحقل.
(تشعر بفشل هذا الأسلوب)... أوه، يا إلهي.
(يبتسم يولاند. يتحرك نحوها. الآن تقول كلماتها الإنجليزية).
جورج... ماء

«ماء»؟ ماء! آه نعم... ماء... ماء... جيد
يولاند: جدا... ماء... جيد... جيد.
نار.

مائير: نار... صح... رائع... نار، نار، نار...
يولاند: رائع... رائع!
آه... آه...

مائير: ماذا؟ تابعي
يولاند: تراب.

مائير: «تراب»؟

يولاند: تراب. تراب.

مائير: يولاند ما زال لا يفهم ما تعنيه.
تتحني مائير نحو الأرض وتلتقط حفنة من التراب، وتمد راحة كفها مبسوطة.
تراب.

يولانـد: تراب! بالطبع... تراب! تراب. تراب. يا
إلهي العظيم، مائير إن لغتك الإنجليزية
ممتازة.

مائير: جورج...

يولانـد: هذا جميل... أوه هذا جميل حقا.

مائير: جورج...

يولانـد: قولها ثانية... قولها ثانية...

مائير: صه (ترفع يدها مشيرة له أن يصمت... إنها
تحاول أن تتذكر سطرها الوحيد بالإنجليزية.
الآن تتذكره، وتقول السطر كما لو أن
الإنجليزية لغتها... بسهولة وانسياب،
وبأسلوب حوارى:

جورج، نحن في نورفولك نلعب دائرين حول
سارية عيد مايو.

يولانـد: يا إلهي الطيب، هل تفعلون هذا؟ ذلك مسقط
رأس أمي... نورفولك. في الواقع نورويتش
ليس بالضبط بلدة نورويتش، ولكن قرية
صغيرة تدعى ليتل والسنجهام قريبة منها.
ولكن في قريتنا بالذات وينفارثنج، لدينا
سارية مايو أيضا، وفي أول مايو من كل
عام...

يتوقف فجأة، يدرك الآن فقط. يحدق بها.
وهي من جانبها تسيء فهم جيشانه.

مائيـر: (مخاطبة نفسها) بحق الله، لم تكن عمتي
ماري لتعلمني شيئاً بذيئاً، أليس كذلك؟
وقفة قصيرة.

يمد يولاند يده إلى مائيـر. تستدير مبتورة
عنه وتتحرك ببطء عابرة خشبة المسرح.

يولاند: مائيـر.

ما زالت تتحرك مبتعدة.

مائيـر شاتاش.

ما زالت تتحرك مبتعدة.

بن ناهابهان؟ (يقول الاسم بصوت خافت،
تقريباً لنفسه، ببالغ التردد، كما لو أنه يبحث
عن صوت يمكن لها أن تستجيب له. يحاول
مرة ثانية) درويم دوبيه؟

تتوقف مائيـر. إنها تصغي. يتشجع يولاند.

بول ناغ كاوراش... ليز ماول

تستدير مائيـر نحوه

ليز نانغال

مائيـر: ليز نانغال

(أحدهما يواجه الآخر الآن، ويبدأن بالتحرك

أحدهما نحو الآخر من دون إدراك تقريباً).

كارايج أن نويل. كاريج آن بهويل.

يولاند: كاريج نا ري. لوتش نانيان.

مائيـر: لوتش آن يوبهير. ماشاير بويده.

يولانـد: ما شاير مور. كنوك نا مونا

مائير: كنوك نا نغابهار

يولانـد: مولاتش

مائير: بورت

يولانـد: تور

مائير: لاج

تمد يديها إلى يولاند. يمسك بهما. والآن

يحادث كل واحد منهما نفسه.

يولانـد: أتمنى على الله لو كنت تستطيعين فهمي.

مائير: يدان ناعمتان؛ إنهما يدا سيد مهذب.

يولانـد: لأنك لو استطعت فهمي لقلت لك كيف

أني أمضي أيامي وأنا أفكر فيك أو أحرق

في منزلك هناك الأعلى آملا أن تظهرني

ولو للحظة.

مائير: في كل مساء تمشي وحدك على طريق ترا

بهان، وكل صباح تغتسل أمام خيمتك.

يولانـد: لأخبرتكم أنت جميلة، يا ذات الشعر

الأجعد يا مائير. ولوددت تأثقا أخبارك كم

أنت جميلة.

مائير: ذراعاك طويلان ونحيلان، والبشرة على

كتفيك ناصعة البياض.

يولانـد: ولكنك قلت لك...

مائير: لا تتوقف... إنني أعرف ما تقول.

يولانـد: ولكنـت قلت لك كم أود أن أكون هنا، أن أعيش هنا... دائما... معك... دائما، دائما.

مائـير: «دائما»؟ ما هذه الكلمة... «دائما»؟

يولانـد: أجل، أجل، دائما.

مائـير: أنت ترتجف.

يولانـد: نعم، أنا أرتجف بسببك.

مائـير: أنا أرتجف أيضا (تمسك وجهه بيدها).

يولانـد: لقد قررت أن...

مائـير: صه.

يولانـد: لن أغادر هذا المكان...

مائـير: صه... أصغ إلي. أنا أريدك أيضا أيها الجندي.

يولانـد: لا تتوقفي... إنني أعرف ما تقولين.

مائـير: إنني أرغب في العيش معك... في أي مكان...

في أي مكان مهما كان... دائما... دائما.

يولانـد: «دائما»؟ ما هذه الكلمة... «دائما»؟

مائـير: خذني معك بعيدا يا جورج.

(وقفة قصيرة. وفجأة يقبلان أحدهما الآخر).

تدخل سارة. تراهما. تقف مشدوهة وهي

تحقق بهما. يتحرك فمها، ثم كأنها تحدث

نفسها).

سارة: مانوس... مانوس!

تفر سارة.

تعلو الموسيقى تدريجيا حتى الذروة.

الفصل الثالث

(مساء اليوم التالي)

الليلة التالية. الجو ممطر.

سارة وأوين وحدهما في الفصل. سارة تبدو أكثر شرودا من ذي قبل، وهي تجلس بلا حركة على كرسي أقدام، وكتاب مفتوح على ركبته. إنها تتظاهر بالقراءة، لكن عينيها لالتفكان عن التطلع باتجاه الغرفة في الطابق العلوي. أوين يعمل على الأرض كما كان من قبل، تحيط به مراجعه، والخريطة، وسجل الأسماء... إلخ. لكنه يفتقد التركيز والاهتمام، ومثل سارة يختلس النظر إلى الغرفة في الطابق العلوي.

بعد بضع ثوان يظهر مانوس ويهبط الدرج حاملا حقيبة ورقية ضخمة تحتوي على ملابسه. حركاته تنبئ عن تصميم وعجلة. يتنقل في أرجاء الفصل يلتقط كتبا، ويتفحص كل عنوان بعناية، ثم يختار حوالي ستة من هذه الكتب ويضعها في حقيبته. وفي أثناء اختياره لهذه الكتب).

أوين: هل تعرف قرن الكلس القديم الواقع خلف حانة كون كوني تم، المكان الذي نسميه المورين؟ هل تعلم لماذا سمّي المورين؟

(مانوس لا يجيب).

لقد اكتشفت للتو. إنه فساد القديس مورانوس. يبدو أن القديس مورانوس كان له دير في تلك الأنحاء في بداية القرن السابع. ومع مرور السنوات تم اختزال الاسم إلى مورين. اسم لا جاذبية له أبدا، أليس كذلك؟ أعتقد أن علينا اللجوء إلى الأصل وهو القديس مورانوس. ما رأيك؟ الأصل هو القديس مورانوس. ألا تعتقد أنه ينبغي علينا العودة إلى ذلك الاسم؟

(لا استجابة. يبدأ أوين بكتابة الاسم في سجل الأسماء. مانوس ينقب الآن حوله بين الأدوات المنسية عن قطعة حبل. يجد قطعة. يبدأ ربط فتحة الحقيبة المحشوة الواهية، وتتفجر الحقيبة، وتتبعثر الأشياء على أرض الغرفة).

مانوس: أيتها الجحيم اللعينة، اللعينة، اللعينة!
(ينقطع صوته من القنوط، إنه على وشك البكاء. يقفز أوين واقفا على قدميه).
أوين: انتظر، لدي حقيبة في الطابق العلوي.
(يركض إلى الطابق العلوي. تنتظر سارة حتى يغيب أوين).

سارة: مانوس... مانوس، أنا...

(يسمع مانوس سارة لكنه لا يستجيب. يجمع أشياءه. يعود أوين إلى الظهور ثانية مع الحقيبة التي كانت معه لدى وصوله).

أوين: خذ هذه ... لا حاجة لي بها على كل حال. ويفترض أنها ضد المطر.

(ينقل مانوس أشياءه القليلة اليها. يعود أوين إلى مهمته اكتمل الآن وضع الأشياء في الحقيبة).

مانوس: ستبقى هنا لفترة؟ لأسبوع أو أسبوعين في كل الأحوال؟

أوين: أجل.

مانوس: أنت لست مغادرا مع الجيش؟

أوين: إنني لم أقرر بعد. لماذا؟

مانوس: سيرجع رجال آنيس ميدهون ليروا لماذا لم أذهب إليهم. قل لهم ... قل لهم إنني سأكتب إليهم بأسرع وقت ممكن. قل لهم إنني لم أزل أريد العمل، لكن ربما تنقضي ثلاثة أو أربعة شهور قبل أن أكون حرا للذهاب.

أوين: إنك تتصرف بغباء فظيع يا مانوس.

مانوس: هلا قمت بهذا لأجلي؟

أوين: اختف الآن وسيظن لانسي أنك متورط بشكل من الأشكال.

مانوس: هلا قمت بهذا لأجلي؟

مانوس: وقميصه الجيد مكوي ومعلق في الخزانة،
وجواربه النظيفة في صندوق الزبدة تحت
السريـر.

أويــــن: سأفعل.

مانوس: وقل له إنني سأكتب له.

أويــــن: ولو سألت ماثير إلى أين ذهبت؟

مانوس: سيحتاج الآن إلى نصف كمية الحليب، أليس
كذلك؟ بل أقل من النصف ... فهو يتناول
الشاي أسود عادة من دون حليب. (وقفه
قصيرة) وحينما يعود ليلا ... سوف تسمعه
لأنه يصدر ضوضاء كثيرة ... أنا عادة أنزل
وأساعده على الصعود. ذاك السلّم خطير
لأنه بلا درابزين. وربما جئت ببيع نيد فرانك
قبل أن تغادر ليضع نوعا ما من الدرابزين.
(وقفة قصيرة) وإذا كنت تستطيع أن تخبز
فإنه شغوف بخبز الصودا.

أويــــن: يمكنني أن أمنحك نقودا. أنا ثري. هل تعلم
كم يدفعون لي؟ يدفعون شلنين في اليوم ...
لقاء هذا ... هذا ... هذا.

يرفض مانوس العرض برفع يده مودعا.

إلى اللقاء يا مانوس.

(يتصافح مانوس وأوين).

(ثم يلتقط مانوس حقيبته بهمة ونشاط

ويتجه نحو الباب. يتوقف على بعد خطوات
وراء سارة ثم يستدير ويرجع إليها. يخاطبها
كما فعل في الفصل الأول، ولكن الآن بلا
حرارة أو اهتمام بها).

مانوس: ما اسمك؟ (وقفة قصيرة) هيا. ما اسمك؟
سارة: اسمي سارة.

مانوس: فقط سارة؟ سارة ماذا؟ (وقفة قصيرة) هيا؟
سارة: سارة جوني سالي.
مانوس: وأين تعيشين؟ هيا!

سارة: أعيش في بن نا هابهان (هي الآن تبكي بصمت).
مانوس: جيد جدا يا سارة جوني سالي. لا شيء يمكن
أن يوقفك الآن ... لا شيء في العالم بأسره.
(وقفة قصيرة. ينظر إليها وهي جالسة) لا
بأس ... لا بأس ... أنت لم تفعلي ما يؤدي
... أنت لم تفعلي ما يؤدي أبدا. (ينحني
فوقها ويقبل قمة رأسها ... كما لو أنه يغفر
لها ... ثم يخطو خطوات سريعة نحو الباب
ويخرج).

أوين: حظا سعيدا يا مانوس!
سارة: (بهدهوء) أنا آسفة... أنا آسفة... أنا آسفة
جدا يا مانوس...

يحاول أوين أن يواصل ما يقوم به، لكنه لا يستطيع
التركيز. يبدأ طي الخريطة. وخلال ذلك.

أوين: هل ثمة درس هذا المساء؟

تومئ سارة: نعم.

أعتقد أن والدي يعلم. أين هو على أي حال؟

تشير سارة.

أين؟

(تقلد سارة ايماء هز سرير طفل).

أنا لا أفهم ... أين؟

تكرر سارة إيماءها وتمسح دموعها. أويين لا

بیزال حائرا، لا یهم، ربما یأتی.

ربما يأتي بريجيت ودوالتي وهما يضمان

الأكياس فوق رأسيهما اتقاء للمطر. إنهما

يديركان أنهما أكثر ضجيجا، وأكثر حماسا،

وأكثر ثرثرة من قبل ... طافحن بالاثارة

واللغة والحيوية.

دوالتی: انکم تفتقرون إلى الدعابة يا أولاد! يا إلهی

إنكم تفتقرون إلى الدعابة! خمسون جنديا

زيادة وصلوا قبل ساعة!

بريجيت: وهم منتشرون في خط كبير طويل من بيت

شون نیلز حتی لاج، يتحركون قدما عبر

لحقول نحو كنوك نا نجا بهار!

دوال-تبی: ینخسون کل بوصۃ من الأرض أمامهم

حرا بهم ويشتون الحيوانات والدجاج فى

كل الاتجاهات.

بريجيت: ويقلبون كل شيء يلقونه أمامهم ... الأسيجة،

وقنوات الري، وأكوام القش، وأكوام العشب!

دوالتي: وصلوا إلى حقل ذرة بارني بيتي ... وعاثوا

والله فيه كله، كما لو أنه كان من نبات الخلنج.

بريجيت: ولم تترك فيه نبتة واحدة واقفة!

دوالتي: وكان بارني بيتي قد نهض لتوه من النوم،

وأخذ يركض خلفهم وهو لا يزال بملابسه

الداخلية «أنتم أيها الحيوانات» اخرجوا من

حقلي، أنتم أيها الحيوانات، أنتم!».

بريجيت: هي أول مرة يركض فيها في حياته.

دوالتي: لقد كان هذا الوضع أكثر كسلا من أن

يحصد ذرته حينما كان الطقس جيدا.

تبدأ سارة في إخراج المقاعد.

بريجيت: أخبرهم عن هيوي الكبير.

دوالتي: يا إلهي، لو كنت قد رأيت فلاحك العجوز

يا أوين.

بريجيت: كانوا جميعا داخل حانة آنا مبريج. كامل

المجموعة. القادمة من السهرة على الميت...

دوالتي: وها هم يسمعون الشغب وكلهم يخرج إلى

الشارع...

بريجيت: وأبوك في المقدمة، والطفل العبقري خلفه

حافي القدمين!

دوالتي: ويرى والدك الجيش منتشرا في أرجاء الريف...

بريجيت: أوه، يا إلهي!
دوالتي: وبيدأ، قسما بالله، بالزئير عليهم!
بريجيت: أيها القوط، أيها الهون! أيها الفاندال(*).
دوالتي: أيها الجهلة! الأغبياء!، القرويون،
الأجلاف!

بريجيت: وجيمي جاك الصغير يقفز صاعدا هابطا
ويصرخ «ثيرموبيلي! ثيرموبيلي! (**).»
دوالتي: أنتم لم تشاهدوا دعابة مثلها في حياتكم
أبدا، يا أولاد. تعالي اخرجي معي يا سارة
وستشاهدينها كاملة.

بريجيت: هيوي الكبير ليس في وضع يمكنه من إعطاء
دروس. هل مانوس موجود؟

أوين: مانوس ذهب.

بريجيت: أين ذهب؟

أوين: غادر ... رحل.

دوالتي: إلى أين؟

أوين: إنه لا يدري، ربما إلى ميبو.

دوالتي: ماذا يوجد في ميبو؟

أوين: (مخاطبا بريجيت) هل رأيت جورج ومائير
شاتاش يغادران حفلة الرقص ليلة أمس؟

(*) أسماء القبائل الشمالية التي اجتاحت أراضي الإمبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي، ووضعت حدا لوجود روما الإمبراطوري (المراجع).
(**) ثيرموبيلي: ممر جبلي تصدى فيه ٣٠٠ مقاتل إسبارطي للجيش الفارسي الذي غزا الأراضي اليونانية بجموع هائلة في عام ٤٨٠ ق م (المراجع).

بريجيت: نعم رأيناها، أليس كذلك يا دوالي؟
أوين: هل رأيتما مانوس يتبعهما إلى الخارج؟
بريجيت: لم أره يخرج، لكنني رأيته يدخل وحده في
ما بعد.

أوين: هل عاد جورج ومائير إلى حفلة الرقص؟
بريجيت: لا

أوين: هل رأيتهما ثانية؟
بريجيت: تركها لدى البيت. لقد مررنا بهما وهما
يصعدان الطريق الخلفي... أليس كذلك
يا دوالي؟

أوين: ومكث مانوس حتى نهاية حفلة الرقص؟
دوالي: نحن لا نعرف شيئاً. لماذا تسألنا؟
أوين: لأن لانسى سوف يسألني حين يسمع أن
مانوس قد رحل (يعود إلى بريجيت) هكذا.
إذن ذهب جورج إلى المنزل؟ من الطريق
الخلفي؟ هل رأيته هناك؟
بريجيت: أتركني وشأني يا أوين. لا أعرف شيئاً عن
يولاند. إذا أردت أن تعرف شيئاً عنه فاسأل
التوأم دونالي.

(صمت يتحرك دوالي نحو النافذة).
(مخاطبة سارة) إنه عازف كمان قدير
أوشيا هذا، أليس كذلك؟ لقد قال
لأخي شيموس أنه سيعود لإحياء عشية

عيد الهولويين(*)).

(يمضي أوين إلى دوالي التي الذي ينظر بحزم خارج النافذة).

أوين: ما هذا الأمر بشأن الأخوين دونالي؟ (وقفة قصيرة) هل كانا في الجوار ليلة أمس؟
دوالي: أنا لم أرهما حتى لو كانا في الجوار (يبدأ بالصفير خلال أسنانه)

أوين: جورج صديق لي.
دوالي: إذن.

أوين: أريد أن أعرف ما حلَّ به.
دوالي: لا أستطيع إخبارك.

أوين: ما علاقة الأخوين دونالي بهذا؟ (وقفة قصيرة) دوالي!

دوالي: أنا لا أعرف شيئاً يا أوين ... لا شيء مطلقاً ... أقسم بالله. كل ما أعرفه هو التالي: وأنا في طريقي إلى حفلة الرقص رأيت قاريهما راسياً في الميناء. ولم يكن هناك وأنا في طريقي إلى البيت بعد أن تركت بريجيت. وهذا كل ما أعرفه، والله شاهد على ما أقول إن المرات الست التي التقيته فيها لم أفقه كلمة واحدة مما قاله لي، لكنه بدأ على درجة من الاستقامة، من نوع ...

(*) عشية ٣١ أكتوبر يحتفل المسيحيون بعيد يدعى عيد القديسين، يرتدي فيه الناس ملابس تنكرية، ويسهرون في الخلاء، ويطبقون الحفلات في البيوت (المراجع).

(باهتمام مفاجئ شديد بالمشهد في الخارج).
يا إلهي، إنهم يزحفون في كل الأرجاء!
يا إلهي، ثمة الملايين منهم! يا إلهي، إنهم
يُسَوِّون كل شيء بالأرض!
يبتعد أوين.

تدخل مائير. إنها حاسرة الرأس وبللها المطر
وشعرها في حالة فوضى. تحاول أن تبدو
طبيعية، لكنها تشعر بضيق شديد، وهي على
حافة الذهول. إنها تحمل إناء الحليب.

مائير: أقسم بالله، لا بد أنني سأفقد عقلي. وأنا في
منتصف الطريق إلى هنا كنت أفكر مع نفسي
وأقول أليس هذا الإناء خفيفاً؟ فأنظر في
داخله لأجده فارغاً.

أوين: ليس ثمة مشكلة.

مائير: كيف ستتدبر أمورك الليلة؟

أوين: لدينا ما يكفينا.

مائير: هل أنت متأكد؟

أوين: لدينا الكثير، شكراً.

مائير: لن تستغرق العودة وإحضار بعض الحليب
مني وقتاً يذكر على الإطلاق.

أوين: صدقاً يا مائير، لدينا الكثير.

مائير: من الأفضل بالتأكيد أن تحصل أنت على
الحليب وليس ذاك العجل الأسود الذي...

ذاك... (تنظر حولها) هل سمعت أي شيء؟

أوين: لا شيء.

ماتير: ماذا يقول لانسي؟

أوين: لم أره منذ هذا الصباح.

ماتير: بماذا يفكر؟

أوين: لم نتحدث حقيقة. كان هنا بعض ثوان فقط.

ماتير: تركني لدى البيت يا أوين. وآخر شيء قاله

لي، وقد حاول الحديث باللغة الأيرلندية قال

«سأراك أمس»، وقصد أن يقول «سأراك

غدا» وضحكت كثيرا جدا حتى تظاهر

بالغضب وقال «عمودمايو!» «عمودمايو!»

لأنني أخطأت في تلفظ هذه الكلمة. وابتعد

ضاحكا، ضاحكا يا أوين! هل تعتقد أنه

بخير؟ ماذا تعتقد أنت؟

أوين: أنا واثق أنه سيظهر يا ماتير.

ماتير: إنه من مكان صغير يدعى وينفارشج (وتقع

فجأة على يديها وركبتيها أرضا، حيث وضع

أوين خارطته قبل بضع دقائق، وتتبع بإصبعها

خطا على الخريطة) تعال إلى هنا لترى.

انظر. هذه وينفارشج. وهاتان قرستان أخريان

صغيرتان قريها، إحداهما تدعى بارتون

بينديش... إنها هناك، والأخرى تدعى

ساكسنجهام نيزرجيت ... في الجوار. وهناك

ليتيل وولسنجهام ... تلك هي قرية أمه .
أليست هذه أسماء غريبة؟ بالتأكيد هذه
الأسماء لا توحى لي بأي معنى على الإطلاق .
وقرية وينفارتشج تقع على مقربة من مدينة
كبيرة تدعى نورويتش . وتقع نورويتش في
مقاطعة تدعى نورفولك . وتقع نورفولك
شرقي إنجلترا . لقد رسم لي خارطة على
الشاطئ الرطب وكتب الأسماء عليها . إنني
أحفظها كلها في رأسي الآن : وينفارتشج ...
بارتون بينديش ... ساكسنجهام ... نيدرجيت
ليتيل وولسنجهام ... نورويتش ... نوروفولك .
هذه أصوات غريبة أليس كذلك؟ لكنها
أصوات جميلة ، مثل جيمي جاك وهو يتلو
أبيات شاعرة هومر . (تنهض واقفة على
قدميها وتتطلع حولها هي الآن هادئة تقريبا)
(مخاطبة سارة) كنت تبدين جميلة ليلة أمس
يا سارة . هل كان ذاك الفستان هو الذي
حصلت عليه من بوسطن؟ اللون الأخضر
يناسبك (مخاطبة أوين) شيء سيئ جدا
أصابه يا أوين . أنا أعرف . لم يكن ليغادر دون
أن يخبرني أين هو يا أوين؟ أنت صديقة ، أين
هو؟ (مرة أخرى تتطلع إلى أرجاء الغرفة ، ثم
تجلس على كرسي قدمين) ليلة أمس لم أحظ

بفرصة إعداد واجبي في الجغرافيا .
سيغضب أستاذي مني . (تهض ثانية) أظن
أنني سأذهب إلى البيت الآن . ينبغي غسل
الصفار ووضعهم في أسرتهم ليناموا ، كما
عليّ إطعام ذلك العجل الأسود ... يداي
خشنتان كثيرا . إنهما لا تزالان متقرحتان من
القش . أنا خجولة منهما . أدعو الله ألا يكون
في بروكلين قش ينبغي ادخاره (تقف لدى
الباب) هل سمعت؟ مات طفل نيللي ذات
الشعر الأحمر في منتصف الليل ، علي أن
أذهب للسهر عند جثته . لم يعيش الطفل
طويلا ، أليس كذلك؟

(تغادر مائير . صمت . ثم) .

أوين: لا أعتقد أنه سيكون ثمة دروس . ربما ينبغي
عليكم أن ...

يبدأ أوين التقاط كتبه . يذهب إليه دوالي .

دوالي: هل رحل مانوس منذ فترة طويلة؟

أوين: منذ نصف ساعة .

دوالي: إنه غبي أحرق

أوين: قلت له هذا .

دوالي: هل يعرفون أنه رحل؟

أوين: من؟

دوالي: الجيش .

أويــــــــــــــــن: ليس بعد .

دوالــــــــــــــــتي: سيبحثون عنه مثل كلاب الصيد اللعينة .

أحمق في غاية الحمق، يعرج على طول الشاطئ . سيدركونه قبل حلول الظلام، يا إلهي .

يعود دوالتي إلى النافذة ... يدخل لانسي ...
الآن هو الضابط الأمر .

أويــــــــــــــــن: هل ثمة أخبار؟ أي كلمة؟

(يتحرك لانسي نحو وسط الغرفة وهو ينظر حوله) .

لانــــــــــــــــسي: فهمت أنه كان هنا درس، أين الآخرون؟

أويــــــــــــــــن: كان من المفترض أن يكون ثمة درس لكن والدي ...

لانــــــــــــــــسي: هذا يكفي . سوف أتحدث إليهم وسيكون من واجبهم نقل ما سأقوله إلى كل أسرة في هذه المنطقة .

يشير لانسي إلى أوين أن يترجم . يتردد أوين محاولاً تحديد مدى التغير في سلوك لانسي وأسلوبه .

أنا في عجلة من أمري يا أودونيل .

أويــــــــــــــــن: لدى الكابتن إعلان يقوله .

لانــــــــــــــــسي: الملازم يولاند مفقود . إننا نبحث عنه . فإذا لم نجده، أو إذا لم نتلق أي معلومات عن مكان

وجوده، فإنني سأتابع الخطوات التالية (يشير
إلى أوين كي يترجم).

أوين: إنهم يبحثون عن جورج. فإذا لم يجدوه ...
لانس: بعد مرور أربع وعشرين ساعة من الآن
سنطلق النار على كل المواشي في بالي بيج.
(يحدد أوين في لانس).
فورا.

أوين: في مثل هذا الوقت من يوم غدٍ سيقتلون كل
حيوان في بايلي بيج، إلا إذا تم إخبارهم عن
مكان جورج.

لانس: وإذا لم نحصل على نتائج، فإننا بعد ثمان
وأربعين ساعة من الآن سوف نبدأ سلسلة من
طرد السكان وتدمير كل مسكن في المناطق
المختارة التالية...

أوين: أنتم لن ...!
لانس: قم بعملك. ترجم.
أوين: وإذا لم يجدوه في غضون يومين فسوف
يبدأون بإخلاء وتدمير كل منزل ابتداء من
هذه البلدات
(يقرأ لانس من قائمته).

لانس: سوينفورت.
أوين: ليز ناموك.
لانس: بيرنفوت.

أويــــــــــــــــن: اسمها سارة جوني سالي.

لانســــــــــــــــي: أين تسكن؟

أويــــــــــــــــن: بن نا هابهان.

لانســــــــــــــــي: أين؟

أويــــــــــــــــن: بيرنفوت.

لانســــــــــــــــي: أريد أن أتحدث مع أخيك - هل هو هنا؟

أويــــــــــــــــن: هو غير موجود الآن.

لانســــــــــــــــي: أين هو؟

أويــــــــــــــــن: في سهرة وفاة.

لانســــــــــــــــي: سهرة من؟

دوالي التي الذي كان ينظر من خلال النافذة في

أثناء إعلانات لانسي يتكلم الآن ... وبهدوء

وبصورة عرضية تقريبا.

دواليــــــــــــــــتي: أخبره أن معسكره بالكامل تشتعل فيه النيران.

لانســــــــــــــــي: ما اسمك؟ (مخاطبا أوين) من ذلك الآخر؟

أويــــــــــــــــن: دوالي دان دوالي.

لانســــــــــــــــي: أين يسكن؟

أويــــــــــــــــن: تولاتش الين.

لانســــــــــــــــي: ماذا نسمي هذا المكان؟

أويــــــــــــــــن: فير هيل. يقول إن معسكرك كله تشتعل فيه

النيران.

(يندفع لانسي إلى النافذة وينظر إلى الخارج

ثم يعطف إلى دوالي).

لانسسي: سوف أتذكرك يا سيد دوالتي (مخاطبا أوين)
أنت تتحمل مسؤولية كبيرة في كل هذا
(يخرج).

بريجيت: أيتها العذراء، هل يعني ما يقول يا أوين؟
أوين: أجل، إنه يعني ما يقول.

بريجيت: علينا أن نخبئ الحيوانات في مكان ما. أخونا
شيموس يعرف أين. ربما في النهاية الخلفية
لـ ليزنا نجراد ... أو في الكهوف في أطراف
ترابهان. تعال يا دوالتي! تعال! لا تظل واقفا
هناك!

لا يتحرك دوالتي. تركض بريجيت نحو الباب
وتتوقف فجأة. تشم الهواء:

الرائحة العذبة! شُمّها! إنها الرائحة العذبة!
يا إلهي إنها آفة البطاطس!

دوالتي: إنها خيام الجيش تحترق يا بريجيت.

بريجيت: صحيح؟ هل أنت متأكد؟ هل تلك هي الرائحة؟
اعتقدت والله أننا دُمّرنا تماما. هيا! هيا!

(تهرع خارجة، يمضي أوين نحو سارة التي
تستعد للمغادرة).

أوين: كيف حالك؟ هل أنت على ما يرام؟
تومئ سارة: نعم

لا تقلقي. ستعود إليك اللغة ثانية؟
تهز سارة رأسها

ستعود. أنت الآن مضطربة. لقد أخافك. هذا
كل ما في الأمر من خطأ.
مرة أخرى تهز سارة رأسها ببطء وتصميم
وتبتسم لأوين. ثم تغادر
أوين يشغل نفسه بجمع مقتنياته. يغادر
دوالي النافذة ويذهب إليه.

دوالي-تي: سيفعلها أيضا.

أوين: إلا إذا ظهر يولاند.

دوالي-تي: هاه!

أوين: عندها سيفعلها بالتأكيد.

دوالي-تي: عندما كان جدي صبيا فعلوا الأمر نفسه
(ببساطة، ومن دون سخرية) وبعد كل هذه
المتاعب التي عانيت، راسما خريطة للمكان
ومفكرا بأسماء جديدة له.
(أوين يشغل نفسه).

(وقفة قصيرة).

(بلهجة تكاد تكون حاملة) أنا ملعون قليلا
لأنني لم أدافع، لكن لن يطردني من دون
معركة. وسيكون ثمة آخرون يفكرون بالطريقة
ذاتها التي أفكر بها.

أوين: هذا أمر يخصك أنت.

دوالي-تي: لو أننا اتحدنا جميعا. لو عرفنا كيف ندافع
عن أنفسنا.

أَوِي—ن: ضد جيش مُدْرَب.

دوالتي: الأخوان دونالي يعرفان كيف يفعلان هذا.

أوبــــــــــــــن: إذا كان بالإمكان العثور عليهما.

دوالتي: إذا كان بالإمكان العثور عليهما (يتجه إلى

(الباب) نادني بعد أن تكون قد فرغت من

لانسى. ربما أعرف شيئاً عندها (يغادر).

يلتقط أوين سجل الأسماء ينظر إليه لحظة،

ثم يضعه فوق الكومة التي يحملها. يسقط

السجل على الأرض. ينحني ليلقطه ...

يتردد ... يتركه. يصعد السلم إلى الطابق

العلوي. وبينما يصعد أوين، يدخل هيو

وجيمي جاك. كلاهما مبلل وثلج. جيمي

مترنج جدا. إنه يهرول خلف هيو محاولا

مقاطعة خطاب هیو.

هيو ثمل بالمثل، لكنه أكثر خبرة بالسُّكَّر؛ ثمة

جزء من عقله يحتفظ بصفائه.

هيــــــــــــــــو: هناك كنت، مستعدا استعدادا مناسباً لتقديم

تعازيّ للأم الثكلى...

جیامی: هیو...

هيــــــــــــــــو: وعلى وشك أن أدخل بيت العزاء ...

مائیرشاتاش؟

جـيمى: بيت السهر على الميت.

هيـــــــــــــو: بالفعل. حين أحسست بنقر على كوعي، فإذا

بالسيد جورج أليكساندر، قاضي الصلح،
يقول أخبار غير سعيدة ... بريجيت؟ بطيئة
جدا، دوالتي؟

جيمي: غير سعيدة.

هي: صح غير سعيدة «تم تعيين الأستاذ بارتلي
تيملين في المدرسة الوطنية الجديدة».
«تيملين؟ من هو تيملين؟».

«مدير مدرسة من كورك وسيكون أصلا
استثمارا كبيرا للمجتمع: إنه أيضا طبيب
خنازير ماهر جدا».

جيمي: هيو ...

هي: ها ... ها ... ها ... ها! طبيب الخنازير من
كورك! أنا بريري هنا لأن لا أحد يفهمني ...
جيمس؟

جيمس: أوفيد.

هي: واصل

جيمي: «أنا بريري في هذا المكان لأنه لا أحد يفهمني».

هي: صح ... (يصرخ) يا مانوس! اجلب الشاي!
سوف أنظم قصيدة أهجو بها الأستاذ
بارتلي تيملين، مدير المدرسة وطبيب
الخنازير. لكن هذا سيكون أمرا غاية في
السهولة، أليس كذلك؟ (يصرخ) شاي
قوي! أسود!

الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها جيمي
لفت انتباه هيو، هي الوقوف أمامه والإمساك
بيديه.

جيمي: هلا أصغيت لي يا هيو.

هيو: جيمس (يصرخ) وشريحة من خبز الصودا.

جيمي: سأتزوج.

هيو: حسنا!

جيمي: في عيد الميلاد.

هيو: رائع.

جيمي: من أثينا.

هيو: من؟

جيمي: أثينا، إلهة الحكمة.

هيو: أثينا ذات العيون البراقة؟

جيمي: العيون البراقة يا هيو، العيون البراقة (يحاول

الإيماءة التي قام بها قبلا: الوقوف بانتباه،

التشنج المؤقت، التحية، الوجه مرفوع بنشوة

مشوبة بالألم ... لكن الجسد هذه المرة لا

يستجيب بصورة فعالة. الإيماءة غريبة

مضحكة).

هيو: هل وافقت السيدة؟

جيمي: هي التي طلبتني ... ووافقت.

هيو: آه. متى حدث هذا؟

جيمي: ليلة أمس.

هيــــــــــــــــو: ماذا تقول أمها؟

جيــــــــمي: ميتيس من هيليسبونت؟ شعب كريم ...
أصل خير.

هيــــــــــــــــو: ووالدها؟

جيــــــــمي: سألتقي زيوس غدا. هيو، هل توافق على أن
تكون وكيلتي.

هيــــــــــــــــو: هذا يشرفني يا جيمس، يشرفني جدا.

جيــــــــمي: أنت تعرف عمّ أبحث يا هيو، أليس كذلك؟
أقصد أن أقول ... أنت تعرف ... أنا ... أنا ...
... أمزح مثل بقيتهم ... أنت تعرف؟ (مرة
أخرى يحاول الإتيان بالحركة العاطفية
المعتادة، لكنه يتخلى عن ذلك فورا) أنت
تعرف بنفسك يا هيو أليس كذلك؟ أنت تعرف
كل شيء عن هذا. ولكن ما أبحث عنه حقيقة
يا هيو ... ما أريده في الحقيقة هو الصحبة
يا هيو ... في مثل سني، الصحبة، الرفقة،
شخص أتحدث معه. في أعالي بين ناغايوتي
... أنت ليس لديك فكرة كم أشعر بالوحدة.
الصحبة ... صحيح يا هيو؟ صحيح؟

هيــــــــــــــــو: صحيح.

جيــــــــمي: وأنا أحببتها دائما يا هيو، صحيح؟

هيــــــــــــــــو: صحيح يا جيمس.

جيــــــــمي: شخص أتحدث معه.

هيــــــــــــــــو: بالفعل.

جــــــــــــــــيــــــــمي: هذا كل ما في الأمر يا هيو. القصة كلها.

أنت تعرفها الآن كلها يا هيو. تعرفها كلها.
بيكي جيمني وهو يقول تلك السطور الأخيرة،
هاذا رأسه محاولا الحفاظ على توازنه،
ورافعا إصبعه من أصابعه إلى شفتيه
بإيماءات عابثة توحى بالسرية والصدقة
الحميمة. الآن يترنح مبتعدا، يحاول أن
يجلس على كرسي أقدام، يخطئ الكرسي،
ينزلق إلى الأرض، قدماه أمامه، ظهره
مستند إلى العربة المحطمة. وسرعان ما
يفط في النوم.

هو يراقب كل هذا ثم يخرج قارورته، وما أن
يهم يصب جرعة. حتى يقع نظره على سجل
الأسماء على الأرض. يلتقطه ويتصفح،
متلفظا بالأسماء الغريبة وهو يقلب أوراقه. في
اللحظة التي بدأ فيها، يظهر أوين ويهبط
الدرج حاملا طاستين من الشاي.

هيــــــــــــــــو: باليبيج، بيرنفوت، كينجزهيد، وايبيلينز،

فيرهيل، دنبوي، جرين بانك.

يختطف أوين السجل من هيو.

أويــــــــــــــــن: سأخذ هذا (معتذرا)، إنها مجرد قائمة أسماء.

هيــــــــــــــــو: أنا أعرف ما هو.

أويــــــــــــــــــــن: لا تعطني محاضرة يا والدي.
هيــــــــــــــــــــو: ب: ينبغي علينا ألا نتوقف أبداً عن إعادة
تجديد تلك الصور، لأننا ما إن نتوقف،
حتى يصبنا التحجر. ألا يوجد خبز
صودا.

أويــــــــــــــــــــن: ج: يا والدي هي «واقعة» وحيدة واحدة لا بديل
لها: إذا لم يتم العثور على يولاند، فسوف
نُطرد جميعاً. لقد أصدر لانسى الأمر.
هيــــــــــــــــــــو: مرسوم القائد.

أويــــــــــــــــــــن: ينبغي أن تخلع هذه الملابس المبتلة. عليّ أن
أذهب، عليّ أن أرى دوالتي دان دوالتي.
هيــــــــــــــــــــو: من أجل ماذا؟

أويــــــــــــــــــــن: سأعود في الحال.
(بينما يخرج أوين).

هيــــــــــــــــــــو: اعن بنفسك يا أوين. أن يتذكر المرء كل شيء
هو شكل من أشكال الجنون. (ينظر في أرجاء
الغرفة بعناية كما لو أنه على وشك أن
يفادرها إلى الأبد، ثم ينظر إلى جيمي الذي
عاد إلى النوم مرة أخرى).

في الطريق إلى سيلجو في صباح يوم ربيعي
سنة ١٧٩٨ ونحن ذاهبان إلى خوض المعركة.
هل تتذكر ذلك يا جيمس؟ شابان فتيان
يحملان الرماح على أكتافهما وملحمة

الإنيادة(*) في جيوبهما . بدا كل شيء واضح
المعالم في ذلك الربيع ... تناغم ... تطابق
معجز بين الأمل والماضي والحاضر والإمكان .
وبينما كنا نخطو عبر الأرض الخضراء
النضرة، ارتفعت إيقاعات الإدراك، وتسارع
م شروع الوعي بأكمله . كنا آلهة في ذلك
الصباح يا جيمس، وكنت قد تزوجت منذ
وقت قريب كاتلين دويه نيك رياكتاين يرحمها
الله . وأن أتركها وولدي الرضيع لا يزال في
مهد، ذاك كان بطوليا أيضا . والله يا سيدي
لقد كنا رائعين . لقد سرنا حتى وصلنا ...
أين؟ جلينتايز! ثلاثة وعشرون ميلا كاملة في
يوم واحد . وهناك في حانة فيلان أخذنا
الحنين إلى أثينا تماما يوليسيس التوق إلى
أهلنا الحاجة إلى أشياءنا . كان ولاؤنا يا
جيمس لأشياء أقدم وأهدأ . وتلك كانت أطول
ثلاثة وعشرين ميلا أرجعها في حياتي
(يشرب نخب جيمس) الحيرة، يا صديقي،
ليست حالة خسيصة .
(تدخل مائير) .

مائير: ها أنا عدت ثانية . خرجت بحثا عن مكان ما ،

(*) الإنيادة: ملحمة للشاعر الروماني فيرجيل (٧٠-١٩ق.م) بطلها إنياس الذي يصل هاربا من طروادة إلى إيطاليا، بعد مغامرات عديدة، ليضع الحجر الأساس للأمة الرومانية حسب الأسطورة التي يمتنقها الرومان القدماء (المراجع).

ولكنني لم أستطع تذكر أين هو، وهكذا عدت إلى هذا المكان.

هيــــــــــــــــو: أجل، سوف أدرّسك اللغة الإنجليزية يا ماثير شاتاش.

ماثيـــــــــــــر: هل ستفعل يا أستاذ؟ يجب أن أتعلّمها. أحتاج إلى أن أتعلّمها.

هيــــــــــــــــو: في الحقيقة قد تكونين تلميذتي الوحيدة (يذهب نحو السُّلّم ويبدأ في الصعود)

ماثيـــــــــــــر: متى يمكننا أن نبدأ؟

هيــــــــــــــــو: ليس اليوم. ربما غدا. بعد الجنازة. سنبدأ غدا (صاعدا) لكن لا تنتظري الكثير. سوف أزودك بالكلمات وقواعد النحو المتوافرة، ولكن هل سيساعدك هذا في الترجمة بين خلوة وأخرى؟ ليس لدي فكرة. لكن هذا كل ما نملك. ليس لدي أي فكرة أبدا. (هو الآن في الأعلى).

ماثيـــــــــــــر: أستاذ، ماذا تعني الكلمة الإنجليزية «دائما»؟.

هيــــــــــــــــو: (باللاتينية) دائما، طوال الوقت. هي «أي» عند اليونان، هي ليست من الكلمات التي أبدأ بها كلامي. إنها كلمة سخيفة يابنت (يجلس).

(يستيقظ جيمي. يقف على قدميه).

ترى ماثير سجل الأسماء، تلتقطه، وتجلس وهي تضعه على ركبته.

مائير: حينما يعود فإنه سيرجع إلى هنا. أخبرني أنه هنا يشعر بأعلى درجات السعادة.

(يجلس جيمي قرب مائير).

جيمي: هل تعرفين معنى الكلمة اليونانية «إندوجامين»؟ معناها أن يتزوج المرء من داخل القبيلة. وتعني كلمة «إكسيوجامين» أن يتزوج المرء من خارج القبيلة. والمرء لا يعبر تلك الحدود ببساطة، فكلا الطرفين يغضب. المشكلة الآن هي ما يلي: هل أثينا مخلوقة فانية فناء وافيا، أو إنني أشبه إلها شبها وافيا بحيث يكون الزواج مقبولا لدى أهلها وأهلي؟ فكري بذلك.

كانت هناك مدينة في الأزمنة القديمة قيل إن جونو أحببتها أكثر من أي بقعة من بقاع الأرض. وكان هدف الإلهة وأملها المنشود أن تكون هنا عاصمة كل الأمم ... إذا تصادف وسمحت الأقدار بهذا. ومع ذلك اكتشفت في الحقيقة أن عرقا كان ينشأ من الدم الطروادي ليدمر في أحد الأيام هذه الأبراج الصورية(*) ... شعب ملوك فخورون بالحرب ذوو عوالم واسعة،

(*) نسبة إلى مدينة «صور» الكنعانية على الساحل السوري. ولكن المقصود هنا أبراج قرطاجنة (في تونس الحالية)، التي يقال إن بُناتها كانوا مهاجرين من «صور»، والإشارة هي إلى تدمير الرومان لقرطاجنة الكنعانية في عام ٢٠٢ ق.م. (المراجع)

سيتقدمون لإسقاط ليبيا .. هكذا كان
هكذا كان المسار ... هكذا كان المسار
المفروض ... الذي فرضه القدر... ما
خطبي بحق الجحيم؟ بالتأكيد أنا أعرفها
معكوسة، سأبدأ مرة أخرى كانت هناك
مدينة في الأزمنة القديمة أحببتها بنو أكثر
من أي بقعة من بقاع الأرض.
(يبدأ تخفيف الأضواء)

وكان هدف الآلهة وأملها المنشود أن تكون هنا
عاصمة كل الأمم ... تصادف وسمحت
الأقدار بهذا، ومع ذلك اكتشفت في الحقيقة
أن عرقا كان ينشأ من الدم الطروادي ليدمر
في يوم من الأيام تلك الأبراج الصورية ...
شعب ملوك فخورين بالحرب، ذوي عوالم
واسعة سيتقدمون لإسقاط ليبيا.
ظلمة تامة...

المترجم في سطور

- محمد بن عبدالغني محمد غنوم
● من مواليد ١٩٥٨، سوريا.
- حاصل على الإجازة الجامعية في اللغة الإنجليزية، جامعة دمشق، ١٩٨٠.
- والماجستير في النقد الأدبي، جامعة كولومبيا - نيويورك، عام ١٩٨٩، وحاصل على شهادة الدكتوراه في النظرية النقدية المعاصرة، جامعة كولومبيا - نيويورك، عام ١٩٩١.
- أستاذ مساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية اللغات والترجمة للنقد الأدبي والرواية والمسرحية (المملكة العربية السعودية).
- عضو جمعية اللغة الحديثة الأمريكية، نيويورك، ١٩٨٦.
- له أنشطة علمية وقدم دراسات لكل من: دار الدائرة للنشر والتوثيق، دار الملك عبدالعزيز، جامعة الملك سعود.

العراجم في سطور

- محمد الأسعد
● من مواليد فلسطين، ١٩٤١.
- حاصل على بكالوريوس تجارة واقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٦٧، وعلى ليسانس آداب، جامعة بيروت العربية، ١٩٧٥.
- صحافي وكاتب وشاعر وناقد أدبي ومترجم وباحث، له عدة دراسات وترجمات منشورة في الدوريات العربية، مثل: الآداب (بيروت)، الفكر العربي المعاصر (بيروت)، المصور الجديدة (القاهرة)، الثقافة العالمية وجريدة الفنون ومجلة الكويت وجريدة البيان (الكويت).
- كاتب عمود يومي في «القبس»، منذ عام ٢٠٠٢.
- له عدة مقالات في صحيفة الحياة (لندن)، صحيفة الخليج (الإمارات العربية المتحدة)، صحيفة المستقبل (بيروت).
- له عدة أعمال شعرية مطبوعة، وهي: الغناء في أقبية عميقة، حاولت رسمك في جسد البحر - لساحلك الآن تأتي الطيور - مملكة الأمثال.
- له عدة أعمال روائية مطبوعة، وهي: «أطفال الندى»، «نص اللاجئ»، «حدائق العاشق»، «شجرة المسرات: سيرة ابن فضلان السرية».
- له عدة أعمال مترجمة، وهي:
مسرحية «بعد السقوط»، من سلسلة «من المسرح العالمي»، «واحدة بعد الأخرى تتفتح أزهار البرقوق»، «دراسة في جماليات قصيدة الهايكو اليابانية»، سلسلة «إبداعات عالمية»، «ست وصايا للألفية القادمة»، سلسلة «إبداعات عالمية».

● صناعة التاريخ ● ترجمات

تقدم سلسلة «إبداعات عالمية» لقرائها في هذا العدد مسرحيتين من الأدب الأيرلندي، للكاتب برايان فرييل، وهما «صناعة تاريخ» و«ترجمات».

تلقي مسرحية «صناعة تاريخ» الضوء على عملية كتابة التاريخ وتفسير الحقائق، حيث سيجد القارئ أن ثمة طريقتين متصارعتين لكتابة التاريخ في المسرحية، يمثل الطريقة الأولى بطل المسرحية ذاته هيو أونيل، الذي يرغب في كتابة تاريخه بكل ما يحتوي من أحداث، سواء أكانت أحداثاً عظيمة وانتصارات أم أحداثاً مخزية من فقر وهزيمة ومنفى.

أما الطريقة الثانية في كتابة التاريخ فيمثلها بيتر لومبارد، الذي شهد الأحداث بنفسه، لكنه يقرر أن يكتب سيرة حياة هيو أونيل حسب ما يراه صالحاً للنشر، فهو ينتقي الأحداث ويصوغها على شكل قصة شائقة للأجيال القادمة في أيرلندا. فيصور هيو أونيل على أنه بطل قومي أسطوري يحتذى.

أما المسرحية الثانية في هذا العدد (ترجمات) فيسلط الكاتب الضوء فيها على أسرة من منطقة «بايلي بيغ» في أيرلندا، أفرادها هم مانوس وأوين، وهما أخوان، ووالدهما هيو، وهو يدير مدرسة متواضعة يعلم فيها اللغة اللاتينية.

يصور فرييل مجتمع بايلي بيغ وثقافته على أنه مجتمع يمر بمرحلة خطيرة في تاريخه، فالمدرسة تفقد مكانتها يوماً بعد يوم، والبريطانيون بدأوا يفتحون المدارس الوطنية التي تدرس باستخدام اللغة الإنجليزية. هذا المجتمع الذي أغلب أعضائه معاقون، لا يقوى على الصمود أمام الغزو البريطاني. فالمسرحية إذن تدور أحداثها حول اللغة، وموت اللغة الأيرلندية بوجه خاص، وبموتها تضيق الهوية الثقافية والقومية الأيرلندية، التي تعيش في ظل آفة التشريد والهجرة.